شرح الأصول الثلاثة

تأليف

د. قذلة بنت محمد القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١)،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد..

لقد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على فضل العلم والتفقه في الدين ، وما يترتب على ذلك من الخير العظيم والأجر الجزيل ، والذكر الجميل ، والعاقبة الحميدة لمن أصلح الله نيته ، ومنَّ عليه بالتوفيق.

والنصوص في هذا كثيرة معلومة ، ويكفي في شرف العلم وأهله أن الله ﷻ استشهدهم على وحدانيته ، وأخبر أنهم هم الذين يخشونه على الحقيقة والكمال، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

(١) [آل عمران:١٠٢]
(٢) [النساء:١]
(٣) [الأحزاب:٧١]

بِالْقِسْطِ﴾ [١]، فاستشهد الملائكة وأولي العلم على وحدانيته سبحانه ، وهم العلماء بالله ، العلماء بدينه ، الذين يخشونه سبحانه ويراقبونه ، ويقفون عند حدوده ، وأشهد الله سبحانه ملائكته وأولو العلم بألوهيته، فهذا أعظم شاهد وأعظم شهادة وأعظم مشهود، ولهذا خص الله ﷻ الملائكة وأولو العلم بهذه المنزلة، لمنزلتهم عند الله وكونهم أهل المعرفة وأهل الخشية، فالعلم هو طريق المعرفة وطريق الخشية، كما قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [٢] .

ومعلوم أن كل مسلم يخشى الله ، وكل مؤمن يخشى الله ، ولكن الخشية الكاملة إنما هي لأهل العلم ، وعلى رأسهم الرسل عليهم السلام ، ثم من يليهم من العلماء على طبقاتهم[٣].

فضائل طلب العلم: -

- **إنه إرث الأنبياء:** فالأنبياء عليهم السلام لم يورِّثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا العلم، فمَنْ أخذ بالعلم فقد أخذ بحظ وافر من إرث الأنبياء، فأنت الآن في القرن الخامس عشر إذا كنت من أهل العلم ترث محمدًا ﷺ وهذا من أعظم الفضائل.

- **إنه يبقى والمال يفنى:** فعليك يا طالب العلم أن تستمسك بالعلم فقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٤] ، وكان أبو هريرة

(١) [آل عمران: ١٨].
(٢) [فاطر:٢٨].
(٣) موقع الإمام عبد العزيز ابن باز / " فضل العلم وشرف أهله ".
(٤) رواه مسلم (٢٦٨٢).

رضي الله عنه من فقراء الصحابة وكان يسقط مغمى عليه من الجوع رضي الله عنه ولكن الله رفعه بالعلم ، وأحيا ذكره باهتمامه بحديث رسول الله ﷺ.

- **إن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق**، والدليل قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[١]، فهل قال: أولو المال؟ لا، بل قال: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فيكفيك فخرًا يا طالب العلم أن تكون ممن شهد الله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله ﷻ.

- **إن أهل العلم هم أحد صنفي ولاة الأمر** الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى: ﴿يأيّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [٢]، فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها.

- **إن أهل العلم هم هو القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة،** ويستدلُ لذلك بحديث معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »[٣].

- **إن الرسول ﷺ لم يرغب أحدًا أن يغبط أحدًا على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين** هما:

* طلب العلم والعمل به.
* التاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام.

---

(١) [آل عمران: ١٨].
(٢) [النساء: ٥٩] .
(٣) رواه البخاري (٧١).

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها ويُعلّمها»(١).

- **ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ** قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقُه في دين الله ونفعهُ ما بعثني الله به، فعلم وعلّمَ ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلتُ به»(٢).

- **إنه طريق الجنة**: كما دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» رواه مسلم(٣).

- **ما جاء في حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من يرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين»**(٤) .

قال الإمام النووي ﷺ: " فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى"(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٩) ، مسلم (٨١٦).
(٢) رواه البخاري(٧٩).
(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٤) رواه البخاري (٧١)، مسلم (١٠٠٠).
(٥) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكل من أراد الله به خيرا لا بد أن يفقهه في الدين فمن لم يفقهه في الدين لم يرد الله به خيرا والدين: ما بعث الله به رسوله؛ وهو ما يجب على المرء التصديق به والعمل به وعلى كل أحد أن يصدق محمدا ﷺ فيما أخبر به ويطيعه فيما أمر تصديقا عاما وطاعة عامة[1]".

والمعنى: يجعله فقيهًا في دين الله ﷻ، والفقه في الدين ليس المقصود به فقه الأحكام العملية المخصوصة عند أهل العلم بعلم الفقه فقط، ولكن المقصود به هو: علم التوحيد، وأصول الدين، وما يتعلق بشريعة الله ﷻ ولو لم يكن من نصوص الكتاب والسنة إلا هذا الحديث في فضل العلم لكان كافياً في الحثّ على طلب علم الشريعة والفقه فيها.

- **إن العلم نور يستضيء به العبد فيعرف كيف يعبد ربه**، وكيف يعامل عباده، فتكون مسيرته في ذلك على علم وبصيرة، وأن العالم نور يهتدي الناس به في أمور دينهم ودنياهم.

- **إن الله يرفع أهل العلم في الآخرة وفي الدنيا**، أما في الآخرة فإن الله يرفعهم درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله ﷻ والعمل بما علموا، وفي الدنيا يرفعهم الله بين عباده بحسب ما قاموا به.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [2].

-**إن العلم هو قوت القلوب وهو رزق يؤتيه الله من يشاء**، كما قال السعدي رحمه الله: الرزق نوعان :ـ

رزق عام: يشمل البر والفاجر والأولين والأخرين وهذا رزقُ الأبدان.

ورزق خاص: وهو رزق القلوب، وهذا معنى هام جداً في اسم الله الرزاق، فمتى تحدثنا عن "الرزاق" سبحانه تجد الناس انصرفت قلوبهم وعقولهم إلى

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٨٠).

(٢) كتاب فضائل العلم للشيخ محمد بن عثيمين / (ص : ١٩ ـ ٢٢).

رزق الأبدان فقط من المال وغيره. ولكن أعظم الرزق هو رزق القلب، وهو بأن يُغذيه الله تعالى بالعلم والإيمان هذا هو الرزقُ الحلال الذي يعين على صلاح الدين وهذا خاصٌ بالمؤمنين على مراتبهم بحسب ما تقتضيه حكمة الله تعالى ورحمته [١] .

يقول النبي ﷺ: «إن الله قسم بينكُم أخلاقكُم كما قسم بينكُم أرزاقكُم وإن الله ﷻ يعُطى الدنيا من يُحب ومن لا يُحب ولا يُعطى الإيمان إلا من أحب»[٢].

ومن هنا أوصيكم بالصبر والمصابرة واستحضار النية في طلب العلم

قال الإمام أحمد رحمه الله:" العلم لا يعدله شيء لمن صحّت نيته "، قالوا: وكيف تصح نيته؟ قال:"ينوي أن يرفع الجهل عن نفسه وعن غيره".

فمن فتُح له باب العلم فقد وفّق لخير عظيم بفضل الله تعالى.. وهذه أقوال ولطائف حول العلم وما يشمله اقتنيتها مما جمعه أحدهم، لنغذي الهمم ونشحذها لتطلب علماً يُقربها للمولى ﷻ.

فالعلم هو حياة القلوب ، فينبغي للعلم أن يصان فلا يطلب به الدنيا، وإنما يطلبه طالب العلم لوجه الله تعالى ، ناوياً فيه رفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن غيره، وينوي به حفظ العلم وحفظه من الضياع ، وأن يعمل به، وهذه أركان الإخلاص في طلب العلم .

وهو من ميراث النبوة، فيجب على طالب العلم أن يخلِّص نفسه من كل ما يشوش طلب العلم وكل ما ينقص طلب العلم، وهذه التخلية تعقبها التحلية بهذا العلم ، فالرسول ﷺ لم يؤمر بالاستزادة من شيء إلا بالعلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْما﴾[٣]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

(١) تفسير السعدي رحمه الله (٥/ ٣٠٢) .
(٢) رواه أحمد (٦/ ١٨٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٧١).
(٣) [طه:١١٤].

الله ﷺ : «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

فينبغي على طالب العلم أن يستعين بالله ولا يعتمد على نفسه فالإنسان ضعيف ليس له حول ولا قوة إلا بالله، فعليه أن يستعين بالله ويخلص النية لله تعالى في هذا الطلب، ويدعو الله تعالى أن يزيده من فضله وأن يشكر الله على هذه النعمة .

وأعظم الشكر شكر الله على العلم بل هو أعظم نعمة وأجلُّ نعمة أوتيتها أيها العبد، فليفرح العبد بنعمة العلم.

واستحضروا ما ورد فيه من النصوص في فضل العلم وطلب العلم، فهو من أجل الأعمال وأفضل الأعمال، بل قُدم على الجهاد، وإذا كان لم يكن خالصاً لله تعالى ووفق سنة نبينا محمد ﷺ لم يقبل، فأركان قبول العمل الصالح الإخلاص، والمتابعة.

والمنازل العالية هي لأهل العلم، ولهذا ينبغي أن نعظّم العلم، فلو لم يتعلم الإنسان إلا مسألة واحدة فليفرح بفضل الله تعالى، وهي تعدل الدنيا وما فيها، فلو لم يُنشر العلم ويتعلم لضاعت الدنيا والآخرة، فمن يحكم بين الناس في أعراضهم وأموالهم؟

كيف يقوم الميزان بالقسط بين الناس إلا بالعلم؟

فالعلم الشرعي هو سبب سعادة الناس في الدنيا والأخرة، فلو ضاع العلم فلا حياة للناس، و إنما يكونوا كالبهائم، فالعلم نور، وبقدر الاستزادة من

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

هذا العلم بقدر ما ينور الله القلب، وينور الله الحياة والآخرة، وينور للعبد وهو على الصراط، فهذا العلم هو النور الذي ينير الظلمات وينير الحياة، فاذا كان الإنسان في غابة مليئة بالوحوش والثعابين فكيف يستطيع الإنسان الخروج منها إن لم يكن معه مصباح يضيء له الطريق؟

وهذه حالنا في هذه الدنيا وما فيها من الفتن وما فيها من الصوارف عن طاعة الله وعن عبادة الله لن تعرف الطريق إلا بالعلم، فالعلم هو أعظم ميراث، وهو ميراث محمد ﷺ ، وبقدر ما يحصل من هذا الميراث يكون النور في الدنيا وفي القبر ونور البصيرة ونور الصراط ..

اللهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في السر والعلن.

وقبل البدء في الشرح يجدر بنا أن نأخذ نبذة مختصرة في ترجمة مؤلف الكتاب الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

نسبه:

هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من بني تميم.

مولده:

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة ١١١٥ هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

نشأته:

حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً، وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجدَّ في طلب العلم ليلاً ونهاراً، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض، وعرَّفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قد وهبه الله فهماً ثاقباً وذكاءً مفرطاً وأكب على المطالعة والبحث، والتأليف، وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث، وكان لا يسأم من الكتابة، وقد خط كتباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله لا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف، ولما توفى والده – سنة

١١٥٣ هـ – أخذ يعلن جهراً بالدعوة إلى توحيد الله وإنكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل الأوثان والأصنام، وقد شد أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره[١] .

رحلاته في طلب العلم :

ـ رحل إلى الحجاز (مكة والمدينة)

ـ رحل إلى البصرة

ـ رحل إلى الأحساء [٢]

ـ رحلته إلى حريملاء .

عاد الشيخ من الحجاز إلى نجد، فذهب إلى حريملاء حيث يوجد أبوه، فصار يدعو بدعوته، إلا أنه كان يدعو بها سراً حتى توفي أبوه عام ١١٥٣هـ فجهر بدعوته .

وأخذ الشيخ في محاربة الشرك والضلال والخرفات[٣] .

وانتقل الشيخ من حريملاء إلى العيينة عام ١١٥٧ هـ بعد قبول أمير العيينة دعوته .

وبقى فيها إلى أن أخرج منها فخرج منها إلى الدرعية عام ١١٥٨هـ

وانتقل الشيخ إلى الدرعية .

وبعد انتقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية شرع في تعليم الناس فكثر عنده التلاميذ وأخذت الدرعية في الازدهار، وفيها شيد الأمير محمد

(١) مقدمة كتاب شرح الأصول الثلاثة (للشيخ محمد بن عثيمين /) (ص : ٩ . ١٠).
(٢) انظر كتاب الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته وآثار دعوته . أ. طرفة عبد العزيز إبراهيم آل الشيخ .
(٣) علماء نجد للشيخ عبد الله البسام ج ١ ص ١٦٥ ".

بن سعود مسجد الدرعية الكبير، وفي عهد ابنه عبد العزيز زاد ازدهار الدرعية، وقصدها الناس من كل مكان [١] .

مؤلفاته:

١- كتاب التوحيد .
٢- كتاب كشف الشبهات .
٣- كتاب الكبائر.
٤- كتاب السيرة المختصرة.
٥- كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها.
٦- كتاب أصول الإيمان.
٧- كتاب فضل الإسلام.
٨- كتاب شروط الصلاة وأركانها: كتاب في الصلاة عرف باسم الفصل الأول منه"آداب المشي إلى الصلاة".
٩- كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه.
١٠- كتاب مختصر الشرح الكبير والإنصاف.
١١- كتاب الهدي النبوي.
١٢- كتاب مسائل الجاهلية[٢] .

(١) علماء نجد للشيخ عبد الله البسام ج / ١ ص ١٦٥ . ١٦٦ ".
(٢) انظر (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالرحمن الحقيل ص ٦٤).

المعالم التي تميزت بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المعلم الأول :

أول معلم من معالم المنهج: الدعوة إلى دين الإسلام من مصادره الصحيحة التي سار عليها سلف الأمة في الاعتماد على مصادر التلقي التي تلقى منها الصحابة ومن سار على نهجهم، وهي الكتاب والسنة واجماع الأمة وهذا واضحاً جلياً في جميع مؤلفات الإمام رحمه الله تعالى .

المعلم الثاني:

الاهتمام بالعقيدة وتعليمها وهذا منهج الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه فلما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم معاذ إلى اليمن قال له : «إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أو ل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[١] وفي رواية أخرى عند البخاري في كتاب التوحيد «فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله»[٢] وعند مسلم في أول صحيحه «إلى أن يعرفوا الله»[٣] وهذا يدل على أن أولى الأولويات في الدعوة هو الدعوة إلى التوحيد.

المعلم الثالث:

كانت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عامة لسائر أصناف الناس ولم تكن خاصة لفئة دون فئة .

فدعوته خاطبت العلماء، و العامة، وخاطبت الحضر، و البادية، وخاطبت النساء والرجال، والشباب والصغار وسائر طبقات المجتمع .

---

(١) رواه البخاري(٧٣٧١) .

(٢) رواه البخاري(١٤٥٨).

(٣) رواه مسلم(١٩).

المعلم الرابع:

قرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونشره بالطريقة الشرعية على ما توجبه الشريعة دون غلو فيه ودون تفريط، وقرر طاعة ولاة الأمر في ذلك، والسمع والطاعة لهم فيما لم يأمروا فيه بمعصية، والجهاد معهم. وقرر المنهج في التعامل مع المخالفين من المشركين والمبتدعة.

المعلم الخامس:

تربية الناس من طلبة العلم ومن غيرهم بل جميع فئات المجتمع على السلوك الحسن والتعبد لله جل وعلا.

وتربية الناس على العمل بالعلم وحسن الخلق والعبودية لله تعالى .

المعلم السادس:

تبسيط الدعوة وتقرير السنة والحث على الإتباع والدعوة بأسلوب سهل وميسر بعيداً عن التعقيدات والعقليات .

فيقول لقائل في مسائل مثلا في بعض البدع العامة ممن تربوا عليها وأخذوا على نشر البدع والعمل بها فيسأل في مسألة مما يستحسنها الناس يقول هل فعلها النبي ﷺ؟ هل فعلها الصحابة؟ فإذا قالوا: لا. يقول إذن الجواب واضح.

مع ذلك فله ردود تفصيلية إذا لزم الرد على مخالف في مسألة أو أصل من أصول الاعتقاد . . [١].

(١) انظر الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وآثار دعوته أ . طرف آل الشيخ . وانظر حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحقيقة دعوته، تأليف الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالرحمن الحقيل ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م.

وفاته:

توفي محمد عبد الوهاب ﷺ عام ١٢٠٦ هـ حيث مرض الشيخ مرضاً شديداً ولقى فيه ربه ، ودفن في مقبرة الطريف بالدرعية [١].

رحمه الله وغفر الله له، وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) انظر كتاب علماء نجد للشيخ عبد الله عبد الرحمن البسام (ص : ١٦٨) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المتن

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1] .

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[2]

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ)

الشرح

بدا المؤلف بالبسملة اقتداء بكتاب الله وتأسيء بالرسول ﷺ

معاني أسماء الله الحسنى التي وردت في البسملة ..

واشتملت البسملة على ثلاث أسماء من أسماء الله الحسنى، وهي لفظ الجلالة " الله، الرحمن، الرحيم " .

---

(١) [العصر :١-٣].

(٢) [محمد:١٩]

اللهَّ:-

ومعناه: الإله المألوه المعبود ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية والربوبية الذي تألهه القلوب محبة وتعظيما [١].

قال ابن القيم:

" الإله هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح أن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وأن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى" اهـ [٢] .

ـ إن هذا الاسم ما أطلق على غير الله تعالى ، فإن العرب كانوا يسمون الأوثان آلهة إلا هذا الاسم فإنهم ما كانوا يطلقونه على غير الله ﷻ ، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[٤] معناه هل تعلم من اسمه الله سوى الله، ولما كان هذا الاسم في الاختصاص بالله تعالى على هذا الوجه، وجب أن يكون أشرف أسماء الله ﷻ.

ـ إن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله ﷻ وسائر الأسماء مضافة إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[٥]، فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة؛ ولأنه يقال: الرحمن، الرحيم،

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى ابن السعدي (ص١٦٤)، وتفسير ابن عثيمين (سورة غافر).
(٢) بدائع الفوائد (٢١٢/١).
(٣) [لقمان: ٢٥].
(٤) [مريم:٦٥]،انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى د.محمد الحمود النجدي(٥٠).
(٥) [الأعراف: ١٨٠].

الملك، القدوس، كلها من أسماء الله تعالى، ولا يقال الله اسم الرحمن الرحيم؛ فدل هذا على أن الاسم هو الأصل [١].

ـ إنه الاسم الوحيد الذي ورد في كل الأحاديث التي أخبر الرسول ﷺ أن فيها اسم الله الأعظم.

ـ كثرة وروده في كتاب الله تعالى، ورد في كتاب الله (٢٧٢٤) مرة.

ـ اسم الله مستلزم لجميع معاني أسمائه الحسنى، دال عليها بالإجمال، وكل أسمائه وصفاته تفصيل وتبيين لصفات الألوهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله يدل على كونه – سبحانه – معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في النوائب والحاجات.

ـ تعرف الله إلى عباده باسمه "الله" كثيرًا، ومن هؤلاء نبي الله موسى عليه السلام عندما أرسله إلى قومه، فعندما كان موسى عليه السلام، عائدًا بأهله من مدين في طريقه إلى مصر في ليلة ظلماء باردة، رأى على البعد بجانب الطور نارًا، فقال لأهله:﴿امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢]

وقال له: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [٣].

ـ فتعريف الله نبيه موسى بأنه اللهُ ربُّ العالمين، وأنه اللهُ الحق الذي لا يستحق العبادة إلا هو.

---

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى د.محمد الحمود النجدي(ص٥٠).
(٢) [القصص: ٢٩-٣٠].
(٣) [طه: ١٣-١٤].

ـ وقد تعرف الله إلى عباده في كتابه المنزل على عبده ورسوله محمد ﷺ بمثل ذلك، ومن هذا ما جاء في فاتحة أعظم آيات هذا الكتاب، وهي آية الكرسي، فقد جاء في أولها ﴿اللهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (١).

ـ دعاؤه – تبارك وتعالى – بهذا الاسم: أكثر ما يدعى الله – تبارك وتعالى – بلفظ: "اللهم"، ومعنى: اللهم، يا الله، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني (٢)

ـ "ومن خصائصه أنه الاسم الذي اقترنت به عامة الأذكار المأثورة، فالتهليل، والتكبير، والتحميد، والتسبيح، والحوقلة، والحسبلة، والاسترجاع، والبسملة، وغيرها من الأذكار مقترنة بهذا الاسم غير منفكة عنه، فإذا كبَّر المسلم ذكر هذا الاسم، وإذا حمد ذكره، وإذا هلل ذكره، وهكذا في عامَّة الأذكار.

ـ ومن خصائصه ... قد افتتح الله جلَّ وعَلا به ثلاثا وثلاثين آية"(٣).

ـ "هذا الاسم يختص عن سائر الأسماء بخواص:-

أولها: – أنه أولها.

وثانيها: أنه أعظمها.

وثالثها: أنه أعمها مدلولا.

ورابعها: أن مدلولاته لا تنحصر.

وخامسها: أنه أولى بالاسمية وسائر أسمائه أولى بالأوصاف.

وسادسها: اختصاصه بالله شرعًا ونقلًا.

---

(١) [البقرة: ٢٥٥].

(٢) راجع: التفسير القيم:(٢٠٢) ، أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به د. عمر سليمان الأشقر (ص ٣٣-٣٤).

(٣) فقه الأسماء الحسنى د . عبد الرزاق البدر (ص ٩٠-٩١).

وسابعها: أن الله سبحانه قبض عنه الأفئدة والألسنة فلم يتجاسر أحد على التسمي به.

وثامنها: أنه الذي يفتتح به كل أمر تبركـًا وتيمنًا.

وتاسعها: أنه متعارف عند الجميع لم تنكره أمة من الأمم.

وعاشرها: أنه إذا ارتفع من الأرض قامت الساعة" اهـ [١].

ـ **ومنها: أنه لا يُثنى ولا يُجمع.**

ـ من خصائصه وهي أجلها أنه لا يثقل معه شيء كما جاء في حديث البطاقة: «لا يثقل مع اسم الله شيء».

ـ وهو الاسم الذي يبقي ذكره في الأرض كما في الحديث «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله»[٢].

ـ لا تفتتح الصلاة إلا به ولا تصح بغيره من الأسماء الحسنى على الراجح من أقوال أهل العلم.

ـ به يرتفع النداء للصلاة في كل يوم خمس مرات.

ـ بالتكبير والتهليل يُنتصر على أعداء الله وتفتح مدينة القسطنطينية كما جاء في صحيح مسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ الله قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (ص ٢٧٩).
(٢) رواه مسلم (١٤٨) بلفظ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ ».
(٣) رواه مسلم (٢٩٢٠).

يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ »، وهذا من علامات الساعة[1].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله :

"أما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق ﷺ : «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2]، وكيف تُحصى خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح، وكل حمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال، وكل إكرام، وكل عز، وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وبر وفضل؛ فله ومنه. فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثَّره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هَمٍّ وغَمٍّ إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز، ولا فقير إلا أصاره غنيا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه.

فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات. وهو الاسم الذي قامت به السموات والأرض، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عبد رب العالمين وحمد، وبحقه بعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام، وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة

(١) اسم الله الأعظم د . عبد الله بن عمر الدميجي (ص ١٣٥).
(٢) رواه مسلم (٤٨٦).

والمعاداة، وبه سعد من عرفه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر، وبه قاما، وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق والأمر به، وإليه، ولأجله، فما وجد خلق، ولا أمر، ولا ثواب، ولا عقاب، إلا مبتدئا منه، ومنتهيا إليه، وذلك موجبه ومقتضاه،﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [١]" اهـ [٢].

"الرحمن الرحيم": اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم فالرحمن يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٣] ، والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾.[٤]

وقال ابن السعدي رحمه الله:

"الرحمن الرحيم": اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة، لأنه الذي دفع هذه الرحمة وأباها بتكذيبه للخبر وتوليه عن الأمر فلا يلومن إلا نفسه. [٥]

وقال ابن القيم رحمه الله: "إن الرحمنَ دالٌّ على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دالٌّ على تعلُّقِها بالمرحوم، فكان الأولُ للوصف، والثاني للفعل، فالأولُ دالٌّ على أن الرحمةَ صفتُه، والثاني دالٌّ على أنه يَرحَمُ خلقَه برحمتِه،

---

(١) [آل عمران: ١٩١].
(٢) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ال الشيخ (ص ١٣ . ١٤)
وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب (ص ٣٢. ٣٣) .
(٣) [طه : ٥]
(٤) معارج القبول لحافظ أحمد الحكمي (ص : ٧٨)
(٥) تفسير أسماء الله الحسنى لابن سعدي (ص ٢٠٠)

وإذا أَرَدْتَ فهمَ هذا، فتأمَّل قولَه: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[١] ، ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٢] ولم يجِئ قطُّ (رحمنٌ بهم) ..." [٣].

قال: **(اعلم رحمك الله)**

(اعلم) اطلب العلم وتعلم يا أيها الطالب واسعى في طلب العلم وأعظم علم تتعلمه هو العلم بالله .

وما عبد الله بشيء أفضل من العلم .

قال الامام أحمد رحمه الله: " قَالَ مُهَنَّا: "قُلْتُ لِأَحْمَدَ: حَدِّثْنَا مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ؟، قَالَ: "طَلَبُ الْعِلْمِ"، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ"، قُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يُصَحِّحُ النِّيَّةَ؟، قَالَ: "يَنْوِي يَتَوَاضَعُ فِيهِ، وَيَنْفِي عَنْهُ الْجَهْلَ" [٤].

فهو الميراث النبوي ونور القلوب وأهله هم أهل الله وحزبه وهم أولى الناس به وأقربهم إليه وهو من أجل الأعمال ولا يعدله شيء .

قال ابن القيم رحمه الله:

"العلم تركة الأنبياء وتراثهم، وأهل عصبتهم ووراثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، لذة الأرواح وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان التي توزن الأقوال به، والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال، به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، به اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه تعالى الواصلون، به تعرف شعائر الأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام،

---

(١) [الأحزاب: ٤٣]

(٢) [التوبة: ١١٧]

(٣) بدائع الفوائد للإمام ابن القيم / (ج / ١ ص : ٤٢)

(٤) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، (٤٧٦/٢)

وبه تعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب، هو إمام والعمل مأموم، وهو قائد والعمل تابع، وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكهف الذي لا ضيع على من أوى إلى حرزه، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، مدارسته تعدل الصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الشراب والطعام" (١)

قال الإمام أحمد رحمه الله:

" الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن المرء يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد الأنفاس"(٢).

إذا لم نتعلم العلم كيف نعبد الله ؟! كيف نصلي ؟! كيف نوحد الله ؟! كيف نصوم ؟!

وكيف تكشف الشبهات إلا بالعلم؟

أعظم رزق وأعظم فضل طلب العلم الذي يقرب إلى الله تعالى.

فطلب العلم من أعظم العبادات بل هي مرتبة من مراتب الجهاد في سبيل الله.

بل بعض العلماء عدّه أفضل من الجهاد؛ لأن المجاهد لا يعرف الجهاد إلا بالعلم.

فالعلم هو النور والسعادة التي يهتدى بها

ولكن نظراً لوعورة و صعوبة الطريق تجد الناس زاهدة في العلم .

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤٣٩ – ٤٤٠).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/٣٣٧)

ولم يأمر الله نبيه ﷺ بالاستزادة من شيء إلا العلم.

قال تعالى ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١).

وقال ﷺ : ﴿مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ﴾ (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :ـ

" الْفِقْهُ فِي الدِّينِ : فَهْمُ مَعَانِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، لِيَسْتَبْصِرَ الْإِنْسَانُ فِي دِينِه ، أَلَا تَرَى قَوْله تَعَالَى :﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٣).

فَقَرَنَ الْإِنْذَارَ بِالْفِقْهِ ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْفِقْهَ مَا وَزَعَ عَنْ مُحَرَّمٍ ، أَوْ دَعَا إلَى وَاجِبٍ ، وَخَوَّفَ النُّفُوسَ مَوَاقِعَهُ ، الْمَحْظُورَةَ " (٤).

فلولا العلم ما عبد الله وحمد .

ولولا العلم ما عرف فضل الإسلام على غيره .

ولولا العلم ما عرف الحلال والحرام .

فهو الدليل إلى الجنة والدار الآخرة .

فما صلا ح العالم إلا بالعلم وما خراب العالم إلا بالجهل .

وإذا خفي العلم ظهر الشر والفساد، وانتشرت البدع والشركيات.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾(٥) ، والدليل على أن هؤلاء المذكورين كانوا في قوم نوح؛ الروايات الحديثية التي وردت في تفسير الآية من أشهرها:

---

(١) [طه :١١٤]

(٢) رواه البخاري (٧١) ، ومسلم (١٠٣٧)

(٣) التوبة ١٢٢

(٤) الفتاوى الكبرى (٦/ ١٧١) ، وينظر : "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ٢١٢)

(٥) [نوح: ٢٢]

ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما (هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت) (١).

(**رحمك الله**) يدعو له بالرحمة ويدعو أن ينزل عليك رحمته التي تُحصِّل بها مطلوبك وتنجو بها من محذورك . وهذا دأب العلماء في الدعاء لتلاميذهم وطلابهم .

(أنه يجب تعلم أربع مسائل)

أي يجب تعلم هذه الأصول (أصول الإيمان) وما يجب عليه .

الأربع مسائل .

(الأولى العلم) ثم فصل هذا العلم .

والعلوم أقسام فهناك علوم نحتاجها في الدنيا وهي فرض كفاية إذا تعلمها البعض سقط الأثم عن الباقين .

ولكن هذا العلم واجب على كل مسلم فما هو ؟

ـ المتعلق بثلاثة أمور وهي مهمات الدين وهي : ـ

ـ معرفة العبد ربه ﷻ .

ـ معرفة العبد نبيه ﷺ

ـ معرفة العبد دين الإسلام بالأدلة .

(وهو معرفة الله)

أعظم علم وهو العلم الواجب

كيف تعبد الله ؟

---

(١) رواه البخاري (رقم : ٤٩٢٠)

ـ كيف تعظم الله وتعبد وانت لم تعرفه ؟

قال ابن القيم رحمه الله :

" من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، أحبَّه لا محالة " (١)

فمعرفة الله تتعلق بأربعة مسائل وهي : ـ

ـ الإيمان بوجوده .

ـ الإيمان بربوبيته .

الإيمان بألوهيته .

ـ الإيمان بأسمائه وصفاته .

الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى:

أدلة وجود الله تعالى من الفطرة، والعقل، والشرع، والحس:

دليل الفطرة:

إن الفطرة لا تتوجه إلى غير خالقها، ودليل ذلك ما ذكره الرب جل وعلا في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (٢)

أي: عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينئذ تعلقهم بالمخلوقين، وعرفوا أنه لا ينجيهم من هذه الشدة إلا الله وحده، فدَعَوُه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا: ﴿ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾(٣) .

---

(١) الجواب الكافي (ص : ٩٩)

(٢) [يونس:٢٢]

(٣) [يونس:٢٣]

أي: نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، فهلا أخلصوا لله العبادة في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة ، ولكن هذا البغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[١]

أي: غاية ما تؤملون ببغيكم، وشرودكم عن الإخلاص لله، أن تنالوا شيئًا من حطام الدنيا وجاهها النزر اليسير الذي سينقضي سريعًا، ويمضي جميعًا، ثم تنتقلون عنه بالرغم منكم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في يوم القيامة ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢] ، وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على عملهم [٣].

وهذا من أبرز دلائل التوحيد فمادام أنهم لا يلجئون في الشدة إلا إلى الله ولا يكشفها عنهم إلا هو، إذن فالإخلاص والتوحيد هو المطلوب في سائر الأوقات والأزمان، ولما ركب عكرمة بن أبي جهل[٤] البحر، وماج البحر، وأخذوا يتضرعون إلى الله جل وعلا ،كان ذلك سبب إسلامه والقصة، كما رويت عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين

(١) [يونس:٢٣]
(٢) [يونس:٢٣]
(٣) تيسر الكريم المنان في تفسير كلام المنان (ص: ٣٥٧) للشيخ عبد الرحمن ابن سعدي / الطبعة السابعة (١٤٣٠ هـ)
(٤) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله ﷺ ثم أسلم عام الفتح وجاهد في سبيل الله في قتال المرتدين في زمن أبي بكر ﷺ، مات شهيداً بأجنادين، وقيل يوم اليرموك سنة ١٥هـ وقيل سنة ١٣(انظر: الإصابة ٤/٢٥٨) (وانظر: تهذيب التهذيب ٧/٢٣٠) (وانظر: الأعلام ٤/٢٤٤-٢٤٥).

بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل، وعبدالله بن خطل [١] ، ومقيس بن صبابة[٢]، وعبدالله بن أبي السرح [٣] ، فأما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث [٤] وعمار بن ياسر وكان أشب الرجلين فقتله، وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفة فقال أصحاب السفينة أخلصوا آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجني في البر غيره اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريما، فجاء فأسلم .. » [٥] الحديث

(١) عبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب، وأمر الرسول ﷺ بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه.. فأمره بأمر فلم يعمله فقتله، ثم ارتد مشركاً وكان له قيناتان تهجوان النبي ﷺ (انظر: السيرة ٧٤/٤) (وانظر: فتح الباري ٧-٦٠٤).

(٢) مقيس بن صبابة بن حزن بن يسار الكناني القرشي: شاعر، اشتهر في الجاهلية، كانت إقامته بمكة، وهو ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. شهد بدر مشركاً.. وأسلم أخ له اسمه هشام، فقتله رجل من الأنصار خطأ، وأمر الرسول ﷺ بالدية، فقبضها. ثم ترقب قاتل أخيه حتى ظفر به وقتله، وارتد ولحق بقريش، وقال شعراً في ذلك، فأهدر النبي ﷺ دمه، فقتله نميلة بن عبد الله الليثي يوم فتح مكة، وقيل: رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسيافهم" (الأعلام للزركلي ٢٨٣/٧) وانظر: السيرة (٧٥/٤).

(٣) عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي من قريش، فاتح أفريقية، وفارس بني عامر من أبطال الصحابة، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، وكان من كتاب الوحي للنبي ق، مات بعسقلان فجأة وهو قائم يصلي (سنة ٣٨هـ) وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع، (الأعلام (٨٨/٤-٨٩) وانظر: السيرة (٧٢/٤-٧٣).

(٤) سعيد بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله المخزومي، أسلم قبل فتح مكة، مات بالكوفة وقيل قتل يوم الحرة، (الإصابة ٩٥/٣).

(٥) رواه النسائي كتاب تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد، حديث رقم: ٤٠٦٧ (١٥/٧-١٠٦)، أبو داود في كتاب الجهاد، باب: قتل الأسير ولا يُعرض عليه الإسلام، رقم: ٢٦٨٣ (٦٥/٢-٦٦) عن سعد بن أبي وقاص مختصر وقال الهيثمي: "رواه أبو يعلى والبزار.. ورجالهما ثقات. ا. هـ، مجمع الزوائد (١٦٩/٦) وروى بأطول منه البيهقي في الدلائل (٩٨/٥)، وانظر: صحيح سنن النسائي للألباني (٨٥٢/٣-٨٥٣).

وفي هذه دلالة إن الفطرة لا تتجه إلى غير خالقها، ولكن قد يعتريها غطاء من الشهوات والشبهات فيصرفها عن بارئها، لكنها عندما تفيق من الغفلة لا تتجه إلا إليه سبحانه وتعالى.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» (١).

وفي الحديث عن عياض بن حمار(٢) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً، حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحْلَلْت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ..» (٣).

ومن هنا نعلم أن دلالة الفطرة على وجود الله تعالى ، أمر جبلي لا ينكره إلا معاند، حتى زعماء الكفر والشرك لم يكونوا ينكرون توحيد الربوبية، ولهذا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب: إذا أسلم الصبي رقم: ١٢٩٣ (١/٤٥٦-٤٥٧) ورواه أيضاً في باب ما قيل في أولاد المشركين رقم: ١٣ (١/٤٦٥) عن الزهري به بنحوه. ورواه مسلم في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم: ٢٦٥٨ (٤/٢٠٤٧) به.

(٢) عياض بن حمار بن أبي حمار بن مجاشع التميمي المجاشعي، صحابي سكن البصرة وروى عن النبي ﷺ انظر: الإصابة لابن حجر (٥/٤٨).

(٣) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم: ٢٨٦٥ (٤/١٩٧م)، ورواه أحمد في المسند (٤/١٦٢) عن قتادة به.

أرسل الله الرسل، وأنزلت الكتب لتقرير توحيد الألوهية والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

أدلة وجود الله تعالى من العقل :ـ

ذكر الله تعالى الدليل العقلي والبرهاني على وجوده قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ مْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ (١)

وفي البخاري قال جبير بن مطعم ﷺ «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ كاد قلبي أن يطير» (٢).

أدلة الحس الدالة على وجود الله ومنها :-

أولاً : ما نشاهده ونراه ونلمسه من إجابة الداعين وإغاثة الملهوفين ومن ذلك ما وقع للنبي ﷺ .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: « أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَينما النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهُمَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنَ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا) فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ وَصَارَتِ

(١) [الطور:٣٥-٣٧]

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٥٤)

الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجود » (١) .

ومازالت آيات إستجابة الدعاء شاهده على وجوده سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة .

ثانياً : ـ معجزات الأنبياء والرسل من عهد آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه السلام ومنها : ـ

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ انشقاق القمر

قال تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾(٢)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ الْقمر شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا » (٣).

٣ ـ حنين جذع النخلة

عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي إِلَى جِذْعٍ نخلة إِذْ كَانَ الْمَسْجِدُ عَرِيشًا، وَكَانَ يَخْطُبُ إِلَى ذَلِكَ الْجِذْعِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ:يَا رسول الله هل لك أن تجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة فتسمع الناس خُطْبَتَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَصَنَعَ لَهُ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ هُنَّ اللَّاتِي عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ ووضع مَوْضِعَهُ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، بدا للنبى ﷺ أَنْ يَقُومَ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْبَرِ فَيَخْطُبَ عَلَيْهِ، فَمَرَّ إِلَيْهِ، فَلَمَّا جَاوَزَ ذَلِكَ الْجِذْعَ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ إِلَيْهِ خَارَ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا سَمِعَ صَوْتَ الْجِذْعِ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّا هُدِمَ الْمَسْجِدُ أَخَذَ

(١) رواه البخاري (٩٣٣)، مسلم (٨٩٧).
(٢) [القمر: ١]
(٣) رواه البخاري (٣٥٧٩)

ذَلِكَ الجذع أبى ابن كعب ﷺ، فكان عنده حَتَّى بَلِيَ وَأَكَلَتْهُ الْأَرَضَةُ وَعَادَ رُفَاتًا» (١).

٤ ـ نبوع الماء من بين أصابعه

قَالَ الْبُخَارِيُّ: ثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عن أنس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ بِوَضُوءٍ فَوَضَعَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَدَهُ فِي ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضئوا منه فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ الناس حتى توضئوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ»، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ مَالِكٍ بِهِ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. (٢)

٥ ـ وضع بيت المقدس أمامه وهو بمكة

ومن المعجزات التي تتعلق بالإسراء والمعراج أن قريشاً سألته عن وصف بيت المقدس وعن عدد أبوابه . فجلّى الله له بيت المقدس حتى وضعه أمامه فأخبرهم عما يريدون لم يخطئ في حرف واحد يقول رسول الله ﷺ : « لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلّى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه ».(٣)

٦ ـ حجرٌ يسلم على رسول الله ﷺ

عن جابر بن سمرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن » (٤) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٨).

(٢) رواه البخاري (١٦٩)، مسلم (٢٢٧٩).

(٣) رواه البخاري في مناقب الأنصار باب حديث الإسراء رقم (٣٨٨٦) ورواه مسلم في الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم – عليهما السلام –، ورواه احمد (٣٠٩/١).

(٤) رواه مسلم وصححه الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة وانظر: حديث رقم: (٢٤٨٧) في صحيح الجامع.

وغيرها من المعجزات التي ذكرت في كتب السيرة والتاريخ.

٧ ـ ومعجزات موسى عليه السلام

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾[1] .

٨ ـ معجزات عيسى عليه السلام :

قال تعالى : ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] .

أدلة الشرع على وجود الله تعالى :

ويراد به الآيات الشرعية التي أنزلها الله تعالى على رسله ومنها :-

التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، والقرآن المهيمين عليها والناسخ لها ، وما فيها من ذكر آيات الإيمان، وبراهين التوحيد، وحقائق الإيمان، وقصص الأمم البائدة، ومعجزات الأنبياء .

الإيمان بربوبية الله تعالى : ـ

معنى الرب :

الرب في اللغة: "المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم"[3] .

---

(١) [الأعراف:[١٠٥-١٠٩]

(٢) [آل عمران : ٤٩]

(٣) لسان العرب: مادة (ربب) وهو من كلام أحمد بن يحيى (٣٩٩/١).

وقال ابن الأنباري [١] :"والرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، قال تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [٢]، ويكون الرب المصلح، رب الشيء إذا أصلحه .. "ا.هـ[٣].

التوحيد: مصدر وحَّد يوحد، توحيد، ومعناه التفرد، والانفراد[٤].

معنى توحيد الربوبية :"افراد الله بأفعاله فهو الخالق ، المالك، المدبر، الخالق، الرازق، المحيي، المميت، السيد، المطاع .. الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون له صفات الكمال المطلق، ولـه تصرف العبادة، وهو الإله الحق، الذي يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

دلائل الربوبية :ـ

والمتأمل في هذا الكون الهائل بأرضه وسمائه، الناظر في بره وبحره، أجرامه وكواكبه، يعلم يقيناً أنه لا يمكن أن يوجد هذا العالم إلا بموجد أوجده، حي قادر لا يعتريه الحدوث والتجدد وهو الرب جل وعلا. قال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [٥] .

١ ـ أدلة الربوبية في خلق السماوات والأرض: ـ

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦].

---

(١) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات كمال الدين الأنباري: من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال كان زاهداً عفيفاً.. سكن بغداد وتوفي فيها، الأعلام (٣٢٧/٣).

(٢) [يوسف:٤١]

(٣) لسان العرب: (٤٠٠/١-٤٠١).

(٤) انظر: الصحاح (٢٢٢٣/٦) ولسان العرب (٤٥٠/٣) مادة (وحد)، وبصائر ذوي التمييز (١٦٩/٥-١٧٠).

(٥) [إبراهيم : ١٠]

(٦) [يونس : ٣]

مما لا شك فيه أن خلق السماوات والأرض من أعظم الدلائل على ربوبية الله عز وجل فلو نظرنا إلى السماء: لرأينا هذا البناء الشامخ الذي ليس به خلل ولا فطور، قد رفعه الله تعالى بلا أعمدة، وزينة بالنجوم، وجعلها فيه كالمصابيح المضيئة.قال ابن جرير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

إن الله تعالى ذكره، ونبه عباده على الدلالة على وحدانيته، وتفرده بالألوهية، دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية. ا.هـ(٢) ، أي: آية خلق السماوات والأرض.

ـ هاهي الأرض: آية أخرى، دلالة ثانية على إبداع البارئ جلا وعلا، وعلى ربوبيته فقد جعلها قراراً ومستقراً لجميع الكائنات، وسخرها للإنسان، ثم اقتضت حكمته تعالى أن يجعل الجبال لها أوتاداً، ولو لم يجعل عليهاالجبال الشامخات لم تكن مستقرة كما نشاهد، ولأصبحت تتكفأ تكفؤ السفينة، فلا يمكن أن يستقر عليها بنيان أو كائن.

ـ تأمل في خلق هذه الأرض من جوهر التراب، ولم تكن من الذهب أو الفضة أو الياقوت .. أو غير ذلك من الجواهر النفيسة، إذ لو كانت منها لفاتت مصالح الإنسان عليها وكذلك الحيوان(٣).

(١) [البقرة : ١٦٤]
(٢) جامع البيان لابن جرير (٦٢/٢).
(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، (ص١٨٦).

ـ تأمل ما أودعها الرب تعالى من الكنوز الثمينة التي ينتفع بها الخلق في أمور معاشهم، وأهم ذلك (البترول) الذي يتدفق من باطنها ملايين الأطنان.

ـ تأمل العيون التي تتفجر من باطنها، على نحو لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم انظر إلى تلك الأراضي المتجاورة، ومع ذلك فبعضها يختلف عن بعض فمنها ما يصلح للنبات والمرعى، ومنها قيعان لا تصلح لشيء من ذلك [١].

ولاشك أن ذلك من دلائل ربوبيته، وألوهيته وأنه الإله المستحق للعبادة، ولذلك قال تعالى:ـ

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٢]

ويقول جل ذكره في سورة النحل:﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣]

إلى غير ذلك من الآيات التي لوتتبعتها لطال المقام، وكلها تشير إلى عظيم خلق السماوات والأرض، وما خلق فيها الله تعالى من عظيم الآيات وبين المعجزات الدالة على ربوبيته.

٢- تدبير الأمر

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[٤]

---

(١) انظر: المرجع السابق، (ص١٧٦)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٢٢١).

(٢) [يونس : ٣]

(٣) [النحل : ٣]

(٤) [يونس : ٣]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[١]

إن تدبير الأمر في هذا العالم لمن آيات الله الباهرة. فمن الذي سخر الشمس أن تطلع صباحاً وتغرب مساءً؟! ومن الذي أجرى القمر في فلك معين لا يحيد عنه قيد أنملة؟! ومن الذي أجرى الأفلاك بما لا يعلم كنهه إلا خالقه؟! ومن الذي أحيا وأمات؟! وأوجد من العدم؟! وأغنى وأفقر؟! ومن الذي أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها؟! ومن الذي أخرج لنا من الأرض ثمرات مختلفاً ألوانها مع تساوي التربة والغذاء؟! من الذي يدبر أمر السماء والأرض ..؟! إنه بلا شك ولا ريب الله سبحانه وتعالى، وهو مع هذا لا يشغله شأن عن شأن، بل هو محيط بعلم كل شيء ليس معه شريك ولا ند.

قال الإمام الشوكاني في تفسير قوله تعالى: (يدبر الأمر):"قيل يبعث الأمر، وقيل ينزل الأمر، وقيل يأمر به ويمضيه، واشتقاقه من الدبر، والأمر الشأن، وهو أحوال ملكوت السماوات والأرض والعرش وسائر الخلق"[٢].

وإذا كان الرب جل وعلا هو مدبر جميع أمور الدنيا والمعاش فله الحق في تدبير أمور الآخرة، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع، فلا أحد غيره يستحق أن يتفرد بتلك الأمور العظيمة.

٣- خلق الشمس والقمر

ـ هاهي آية خلق الشمس والقمر، آية أخرى، ودلالة عظيمة على ربوبية الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ

(١) [يونس : ٣١]
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٢٣/٢).

مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

من الآيات الباهرات في خلق الشمس والقمر طلوع الشمس وغروبها على نمط معين، وكذلك القمر بنظام دقيق، لا يتخلف ولا يعتريه اضطراب.

ـ تأمل ماذا سيحصل لو طال النهار ولم تغرب الشمس، أو العكس فلو حصل ذلك لأحرقت الشمس ما على الأرض من نبات، ولو حصل العكس لتجمد كل ما على الأرض (٢) .

٤ - اختلاف الليل والنهار

إن في اختلاف الليل والنهار، وفي تعاقبهما لآية عظيمة لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولهذا أكثر الله تعالى من ذكرها في القرآن العظيم، في آيات كثيرة، وبأساليب متنوعة.قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (٣).

ـ فتأمل كيف جعل الله سبحانه وتعالى الليل سكناً تسكن فيه الخلائق، وجعل النهار لخروجهم وطلبهم الرزق في الأرض، فكيف كان الحال لو جعل الله تعالى النهار سرمداً، بلا ليل نسكن فيه؟

ـ وتأمل لو جعل الله الليل سرمداً إلى يوم القيامة، كيف سيكون حالنا، والظلام يغطي الكون وأمور معاشنا متوقفة، ولهذا نبه الله سبحانه عباده إلى التأمل والنظر في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ

---

(١) [يونس : ٥]

(٢) انظر: العلم يدعو للإيمان، أكريسي موريسون ص٥٥، والله جل جلاله لسعيد حوى، ص٤٠.

(٣) [يونس:٦]

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١) .

لاشك أن ذلك آية على ربوبيته جل وعلا (٢) .

ـ وآية أخرى في النوم الذي لا يستطيع أحدٌ تفسيره، والوقوف على حقيقته، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يعيش الإنسان دون أن ينام .كما ثبت طبياً الفرق الكبير بين نوم الليل، ونوم النهار، إذ إن نوم الليل لـه فوائد صحية، وينال الجسم فيه راحته بعيداً عن الضوضاء والصخب (٣) .

ـ ومن الآيات أيضاً تعاون الليل والنهار على تحقيق مصالح الخلق. مع اختلافهما، وما بينها من التضاد، وهذه كلها آيات على ربوبية الخالق سبحانه وتعالى (٤).

٥- ما خلق الله في السماوات والأرض :-

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (٥)

وهذه آية أخرى، وماذا عساك أن تحيط به مما خلق الله في السماوات والأرض؟! قال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٦).

---

(١) [القصص:٧١-٧٢]
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (٢٠٣/١).
(٣) انظر: مع الطب في القرآن، (ص١٠٥-١٠٦).
(٤) انظر: تفسير الفخر الرازي (٢١٥/٤).
(٥) [يونس:٦]
(٦) [يونس:١٠١]

أولاً: الدلائل السماوية:

من كواكب، وأفلاك، وأحوال المطر، والرعد، والبرق، والصواعق .. وغير ذلك مما هي آيات بينات على خالقها ومدبرها سبحانه وتعالى.فتأمل تلك الكواكب العظيمة، التي تفوق حجم الأرض آلاف المرات، بل قد تبدو الأرض بالنسبة لها كحبة الرمل، ولاشك أن عظمتها تدل على عظمة خالقها سبحانه [١] .

وتأمل كذلك النجوم الزاهرة التي زين الله بها السماء الدنيا فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [٢] .

ومع ذلك فهم يهتدون بها في ظلمات البر والبحر، ويستدلون بها على القبلة، ولهم فيها منافع أخرى. " وهذه الكواكب مختلفة في صفات كثيرة فبعضها سيارة، وبعضها ثابتة، والثوابت بعضها في المنطقة وبعضها في القطبين، وأيضاً الثوابت لامعة والسيارة غير لامعة، وأيضاً بعضها كبيرة درية عظيمة الضوء، وبعضها خفيفة قليلة الضوء" [٣] وهذه النجوم والكواكب متباعدة بعضها عن بعض بمسافات هائلة، لا تحسب إلا بالسنة الضوئية [٤] ، وهناك عدد كبير من النجوم لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة.

ثم تأمل المطر النازل من السماء على شكل نقط صغيرة، لا تؤذي من سَقطت عليه، ثم تتحول إلى أنهار وينابيع، عذبة طيبة المذاق[٥].

---

(١) انظر: العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، (ص١٤٥).

(٢) [الصافات:٦]

(٣) تفسير الفخر الرازي (١٠٦/١٣).

(٤) السنة الضوئية حوالي: "٦ مليون مليون وهي المسافة التي يقطعها الضوء في عام" هندسة النظام الكوني في القرآن، ص١٦.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٥-١٦، وص ٢٤.

ومن الآيات في خلقه أيضاً كونه سبباً لحياة الأحياء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[١].

كما جعله سبحانه من الأسباب في رزق العباد قال جل ذكره:

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[٢].

ومن الآيات أيضاً ذلك السحاب المحمل بكميات هائلة من الماء، ومن ذلك يظل معلقاً بين السماء والأرض إلى أن يأذن الله تعالى بنزوله، وهذا من أعظم الآيات ، وتأمل هذا الماء الساقط تجده عذباً حلواً، فإذا خالط مياه البحار والمحيطات عاد مالحاً، وهذا من الحكم العظيمة الباهرة، إذ لو كان ماء البحر عذباً لصعب على الكائنات الحية من أسماك وغيرها أن تعيش فيه، وذلك بسبب العفونة والفساد الذي ينشأ من القاذورات الساقطة فيه، فلما كان مالحاً، صار وطناً صالحاً لما يعيش فيه من كائنات حية وما يستخرج منه من منافع. وتأمل حال البرق، والرعد، والصواعق، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[٣][٤].

فهذه من الآيات العظيمة الكثيرة، لمن تأملها بعين البصيرة والتفكر!.

ثانياً: الدلائل الأرضية:

بما في ذلك من أحوال النبات والحيوان والبحار والمعادن .. فتأمل أحوال النبات وما فيه من عجيب صنع الله، إذ يسقى بماء واحد، ومع ذلك اختلفت

---

(١) [الأنبياء:٣٠]

(٢) [الذاريات:٢٢]

(٣) [الرعد:١٢-١٤]

(٤) انظر كتاب أصول الأعتقاد في سورة يونس د . قذلة القحطاني (ص : ٣٧ . ٤٤)

ألوانه، وتباينت أشكاله، وتفاوت طعمه فهذا عنب، وهذا تمر، وهذا زيتون .. فسبحان الخالق الذي أتقن كل شيء خلقه

قال تعالى:﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

- وتأمل ما خلق الله تعالى من أنواع الحيوانات، فمنها ما يركب ومنها ما يحلب، ومنها ما يتغذى عليه، ومنها ما يحرس الإنسان وغير ذلك ما هو آية دالة على خالقه تبارك وتعالى[2].

ـ وتأمل اللبن الذي يخرج طعاماً لذيذاً سائغاً للشاربين، مع أنه يخرج من بين الدم والفرث، مع اختلافه عنهما لوناً وصفة[3]، قال تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾[4].

ـ وانظر إلى البحار، والأنهار، والعيون وما أودعه الله فيها من عجائب الأسرار، حيث إن البحار تغطي حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، ولولا إمساك الله جل وعلا الماء لطفح وغطى جميع أرجاء المعمورة[5]، وتأمل الأرض، وما فيها من آيات كما سبق بيان بعض ذلك[6].

---

(١) [الرعد:٤]
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة (١/٢٠٦).
(٣) انظر: التفسير القرآني لقرآن لعبد الكريم الخطيب (١٤/٣٢١).
(٤) [النحل:٦٦]
(٥) انظر: مفتاح دار السعادة (١/٢٠٤)، وسبعون برهاناً (٢/٢٨٦-٢٧٢).
(٦) انظر: ص (٣٦-٣٨).

لاشك أن هذه الدلائل السماوية والأرضية كلها تدل على ربوبية الله تعالى وعظمته- سبحانه وتعالى-.

٦- جريان الفلك في البحر

يقول الله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ (١) . وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ (٢) .

وهذه آية عظيمة من آيات الله، فلهذه المخلوقات خواص معينة، تجعلها تظل باقية على سطح الماء، ولو اختلفت هذه الخواص التي أودعها الله تعالى في هذه المخلوقات ما جرت السفن على الماء، ومن هذه الخواص كثافة الماء، وضغط الهواء، والتيارات المائية والهوائية، ودرجة الحرارة، وغير ذلك من الخواص التي ذكرها العلماء (٣) .

٧- الرياح .

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ (٤) فهذه الرياح التي تملأ الكون، خلقها الرب عز وجل لحكم عظيمة وهي من آيات ربوبيته.وهي أنواع ذكرها الله تعالى في آيات كثيرة، ومتفرقة في القرآن الكريم، بل وأقسم بها في مواضع، وذلك لشرفها، ولما فيها من بديع صنعه وكمال قدرته.فمن أنواع الرياح، النوع الذي يسير الفلك في البحر، ومن

(١) [إبراهيم:٣٢]
(٢) [الشورى:٣٢]
(٣) انظر: تفسير الآيات الكونية د. عبد الله شحاتة، (٢١٧)، وطريق الإيمان لسميح عاطف، ص٥٩.
(٤) [يونس:٢٢]

أنواع الرياح، الرياح اللواقح التي تقوم بتلقيح الأزهار [١] فتكون بعد ذلك الثمار، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ [٢].

وهذه الرياح كما أنها تأتي رحمة، وبشرى، فهي قد تأتي عذاباً ونقمة قال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [٣].

لاشك أن هذا كله من آيات الله العظام.

٨- الرزق

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٤].

فالرزق من آيات الله العظيمة في هذا الكون، فانظر إلى رزق الأجنة في الأرحام، كيف يصل إليها عن طريق الحبل السري، وعندما تخرج من تلك الظلمات الثلاث، يفتق لها ثدي الأم فيخرج لبناً صافياً عذباً، يحوي جميع المواد الغذائية التي يحتاجها البدن، فإذا اشتد العود، نبتت الأسنان فتغذى البدن بعد ذلك على الخيرات العظيمة التي تخرج من الأرض، وكما رزق الإنسان رزق الأسماك في أعماق البحر والدود في جوف الصخر، وكذلك ساق غذاء الحشرات التي لا تكاد ترى بالأبصار، وخلق لها وسيلة التقاط

(١) انظر: جامع البيان (١٤/٢٠، ٢٢).
(٢) [الحجر:٢٢]
(٣) [الذاريات:٤١-٤٢]
(٤) [يونس:٣١]

الغذاء إما بالمنقار، وإما بالمخالب، أو الخراطيم كلٌّ وما يناسب الخلقة التي خلقه الله عليها .

٩- خلق السمع والبصر

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ (١) .

إن ما خلق الله عز وجل في هاتين الحاستين، لعالم وحده، وإن فيهما من دقيق وعجيب صنع الله، ما لا يمكن أن يخطر على بال.

وفي التعبير عنهما بالملكية مع أنه مالك لكل شيء فيه إشارة إلى أن الإنسان بهاتين الحاستين يتعلم، فهما من أظهر الحواس في الإنسان إذ بدونهما لا يمكن له المعرفة والتعلم، فهما وإن كانتا من أسباب تفضيل الإنسان، وترقيه في العلم والمعرفة، فهما تحت تصرف الرب تعالى وفي ملكيته، وهو قادر على سلبهما (٢) .

١٠- إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ (٣) .

وهذا مشهد آخر من مشاهد هذا الكون، وهو مألوف لدينا، نراه ويتكرر أمامنا عشرات المرات، ولهذا تبلد الحس تجاهه، فضعف الشعور بمعاني

(١) [يونس:٣١]
(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن (١١/١٠٠).
(٣) [يونس:٣١]

العظمة ودلائل الربوبية فيه، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي تتعدد معانيه كما ذكرها المفسرون:

فمنها: إخراج الإنسان الحي من النطفة، والعكس، وكذلك إخراج الطائر الحي من البيضة، والعكس.

ومنها: إخراج المؤمن من الكافر والعكس والمؤمن بمثابة الحي، والكافر بمثابة الميت.

ومنها: إخراج النبتة الحية من البذرة الميتة [١] .

وعلى العموم فإن ظاهرة إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي من الدلائل الكونية، الدالة على وحدانية الرب وعلى قدرته على الخلق والإعادة.والواقع أن دلائل الكون شاهدة بوجود الرب تعالى، وربوبيته، وهذا لا ينكره إلا الملاحدة، حتى الحيوانات تشهد بذلك، فهاهو الهدهد يستدل على صحة توحيده بإخراج الله تعالى الخبء وهو الماء من السماء والأرض .

وجميع ما في الكون من خلق وابداع هو من دلائل ربوبيته تعالى وتقدس ، فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد . !!

الإيمان بألوهيته سبحانه وتعالى : ـ

الألوهية فهي مأخوذة من آله، إلاهةً وألوهة، وهي العبادة، والجمع آلهة، والإله كل ما عبد بحق وهو الله عز وجل، أو بغير حق كالأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله عز وجل [٢] .

---

(١) انظر: زاد المسير (٣٧٠/١).

(٢) انظر: لسان العرب (٤٦٧/١٣ وما بعدها) مادة أله، والقاموس المحيط، ص١٦٠٣.

وقيل مأخوذ من ولاه، وقيل لاه يلوه لياها وفيه أقوال أخرى [١] ، والأول المعتمد.

وأما معنى توحيد الألوهية من حيث الشرع: (**إفراد الله بالعبادة**)، (**إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له**) .

والعبادة هي : "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة" [٢] ، فلا يدعى إلا الله تعالى، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يذبح إلا له، ولا يطاع إلا هو، ولا يرجى إلا هو .. الخ.

وهو معنى لا إله إلا الله،أي لا معبود بحق إلا الله.

وهذا هو التوحيد الطلبي، وتوحيد القصد والإرادة، التوحيد العملي الذي بينه جل وعلا في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [٣] .

استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية وتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية: ـ

ومن هنا يتبين استلزام توحيد الربوبية، لتوحيد الألوهية وتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية، ومعنى ذلك أن من آمن بالله رباً، خالقاً ورازقاً، فهذا يستلزم ألا يصرف العبادة لغيره، إذ لا يستحقها إلا من اتصف بصفات الكمال وهو الله وحده جل وعلا.وأما تضمن توحيد الألوهية لتوحيد

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب، ص٢١-٢٢.
(٢) العبودية لابن تيمية ص٤، ومجموع الفتاوى (١٤/٣٧٨-٣٨٠)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/١٣٨)
(٣) [الكافرون:١-٣].

الربوبية فمعناه، أن من عبد الله وحده لا شريك له، لابد أن يكون قد استقر في قلبه أنه رب العالمين، وأنه الخالق، والرازق، المدبر [١] .

معنى توحيد الأسماء والصفات : ـ

الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله فيما ثبت عنه، على الحقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"الذي اتفق عليه سلف الأمة وائمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فانه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في افعاله أ.هـ".[٣]

الإيمان بأسمائه وصفاته: ـ

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته هو القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو ضمن التوحيد العلمي، الاعتقادي، الخبري.ومعرفة هذ التوحيد والإيمان به من أكبر عوامل محبة الله عز وجل في القلوب وزيادتها، وكذلك من عوامل زيادة الإيمان[٤].

---

(١) انظر: العبودية، ص (٤٨)، ومدارج السالكين (٤١١/١)، وعقيدة التوحيد في القرآن لمحمد ملكاوي، ص (١٢٢-١٢٣).

(٢) شرح معنى التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل في ص ٢٥٨.

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (ص ٤١).

(٤) انظر: مدارج السالكين (١٧/٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "إن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه في فهم معانيها، بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن"[1].

وصفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

أولاً: صفات ثبوتية: ـ

كالسميع، والعليم، والقدير، والحي، .. وهي كلها صفات كمال.

وتنقسم الثبوتية إلى ثلاثة أقسام:

١- **صفات ذاتية:** وهي الصفات الملازمة لذاته سبحانه لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والقدرة، والوجه واليدين.

٢- **صفات فعلية:** تتعلق بإرادته ومشيئته كالكلام والنزول، والمجيء، والإستواء... الخ.

٣- **صفات ذاتية فعلية:** أي أن الله تعالى متصف بها أزلاً وأبداً، وأنها في الوقت نفسه تحدث آحادها بمشيئته وإرادته، كالكلام.

ثانياً: صفات سلبية:

وهي ما نفاها الله عز وجل عن نفسه كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2]، ولا تقتضي النفي المطلق بل النفي فيها، لإثبات ضده من الكمال لأن

(١) تفسير السعدي (١ / ٢٤)
(٢) [الكهف:٤٩]

النفي المحض لا كمال فيه ولا مدح، ويوصف به الجماد كما يقال الجدار لا يظلم، لعجزه وعدم قدرته وهذا نقص ينزه الرب عنه فلا يظلم لكمال عدله، وكقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾[١] لكمال علمه [٢] .

بيان منهج السلف في الأسماء والصفات : ـ

السلف الصالح هم أهل السنة والجماعة، الذين ساروا على نهج نبيهم محمد ﷺ ، واجمعوا على الحق ولم يخالفوه، ومنهجهم في باب الأسماء والصفات، وسط بين التشبيه والتعطيل، فهم يثبتون الأسماء والصفات لله تعالى إثباتاً بلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[٣] .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردٌ على المشبهة ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردٌ على المعطلة، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٤] فالسلف اجتنبوا التعطيل في مقام النفي والتنزيه، واجتنبوا التشبيه في مقام الإثبات.

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ أهمية الابتداء بالبسملة اقتداء بكتاب الله واتباع سنة الرسول ﷺ.

ـ شرح معنى اسم الله تعالى وبيان خصائص هذا الاسم العظيم .

ـ أقوال العلماء في معنى اسم الله تعالى .

ـ توضيح معنى اسم الرحمن الرحيم وبيان الفرق بينهما .

ـ أهمية طلب العلم والسعي في طلبه .

---

(١) [سبأ:٣]

(٢) انظر: التدمرية، ص٥٧-٥٩، وانظر: الحق الواضح المبين، ص٦ وما بعدها مكتبة المعارف، الرياض، وانظر: القواعد المثلى، ص٢١ وما بعدها.

(٣) [الشورى:١١]

(٤) [الإخلاص:١-٤]

ـ معرفة الله تعالى أعظم علم يجب أن يتعلمه الإنسان .
ـ دلائل وجود الله تعالى من الفطرة والعقل والشرع والحس .
ـ بيان معجزات بعض الأنبياء عليهم السلام .
ـ بيان معنى الربوبية وتوضيح اسم " الرب "
ـ دلائل ربوبية الله عزوجل .
ـ الإيمان بألوهية الله تعالى .
ـ الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية .
ـ معنى الإيمان بأسماء الله وصفاته .
ـ أقسام توحيد الأسماء والصفات .
ـ منهج العلماء في أسماء الله وصفاته .

قال المؤلف رحمه الله: (ومعرفة نبيه ﷺ)

الذي هو الواسطة بيننا وبين الله تعالى في تبليغ رسالته .

وتستلزم منا الإيمان به و طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ومحبته حباً يفوق محبة المال والولد والوالد والنفس .

ما يجب علينا تجاه النبي ﷺ : ـ

ـ أول هذه الواجبات أن نؤمن برسول الله ﷺ إيمانًا يكون له أثرُه في القلب؛ بالحب والتوقير والتعظيم قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

ـ الطاعة والإتِّباع له، والتحاكُم إليه، والانقياد لحُكمه برضًا وتسليم قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ .

ـ محبته ، أن يكون رسول الله ﷺ أحبَّ للمؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق ومحبة صحابته وأهل بيته .. قال عبد الله بن هشام: «كُنَّا مع النبيِّ ﷺ وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللهَّ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللهَّ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ ﷺ: الآنَ يا عُمَرُ» (١).

(١) رواه البخاري برقم (٦٦٣٢)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى أكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن والِدِهِ ووَلَدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِين »(١).

ـ **الصلاة على النبي ﷺ والتسليم عليه، وسؤال الوسيلة له؛** قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٢) .

ـ **التمسُّك بسُنته، وترْك الابتداع في دينه؛** ففي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه ، قال ﷺ :«فعليكم بسُنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثاتِ الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»(٣).

الاقتداء بالرسول ﷺ بالمشروع من العبادات والأعمال التي لا تعرف إلا من طريق رسول الله ﷺ، الذي أمره الله أن يبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، فقال تعالى: ﴿ وَأَنْـزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُـزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

ـ **الاستجابة له في العمل بشريعته وتطبيقها في مناحي الحياة،** وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٤)

ـ أعطاه الله القبول وحسن الخلق كما أقسم الله بذلك فقال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥).

---

(١) رواه البخاري برقم (١٥) والجامع الصحيح برقم (٧٥٨٢)
(٢) [الأحزاب:٥٦]
(٣) رواه أبو داود رقم(٤٦٠٧) ، والترمذي رقم (٢٦٧٦) ، وابن ماجة رقم (٤٤)
(٤) [الأنفال:٢٤]
(٥) [القلم : ٤].

قال أبو هريرة رضي الله عنه : «بعث رسول الله ﷺ خيلاً قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: "ثمامة بن أثال" سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: ما عندك يا ثمامة؟، فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل تعط منه ما شئت، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ، حتى كان بعد الغد،فقال: ما عندك يا ثمامة؟، قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ، حتى كان من الغد، فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟، فقال: عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة، قال له قائل: "أصبوت؟" في رواية البخاري ومسلم: قال: لا، ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة، حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ» (١).

(١) رواه البخاري:٤٣٧٢، ومسلم: ٤٦٨٨، وأحمد:٩٨٣٢].

صبر ﷺ على الأذى، وصبر على الدعوة ، وصبر على نشر الإسلام.

ونشهد أن رسولنا بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده .

وماترك شيئاُ إلا وعلمنا به ، مات و ما ترك طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وقد أعطانا فيه بياناً .

وأخبرنا بما سيقع أخر الزمان وما يقع من الفتن وما يقع من تغير الأمور والأحوال ، ولم يتركنا هملاً

بل تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)

دين الإسلام قائم بالأدلة أدلة الكتاب والسنة .

الإسلام معناه: (الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله).

لأنه الدين الذي تعبد الله به الخلق .

الدين الذي جعله خاتمة الرسالات . الدين الذي جعله الله للناس أجمعين، فلا يقبل الله بعد بعثة محمد غير دين الإسلام . وهذا الدين علاماته ودلائله كالشمس في كبد السماء لا يزيغ عنها إلا هالك .

(الثانية: العمل به)

ثمرة العلم العمل، وهي أسباب رسوخ العبد في هذا الدين فاذا العبد لم يعمل بالسنة لن ينفعه هذا العلم ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (١)

قال الضحاك : " زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم "

(١) [محمد : ١٧]

شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان [١]

فكلما اهتدى العبد وتعلم العلم وعمل به زاده الله إيمانا وعلماً وبصيرة ونوراً، وهذا كله ثمرته على القلب وتهذيب النفس وتزكية الروح .

فإذا تعلَّم المرء مسألة إلا وعمل بها ، و لا يتعلم حديث إلا ويعمل به.

ويتفقد قلبه ما أثر هذا العلم على قلبه ؟ وعلى إيمانه ومحبته لله ومحبته لرسوله ﷺ ؟! ، **كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله:**

"لا يزال العلم جاهلاً حتى يعمل بعلمه فإذا عمل به صار عالماً".[٢]

فمن لم يعمل بالعلم كان حسرة عليه يوم القيامة .

- ففي الحديث قوله ﷺ «لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عمرِهِ فيما أفناهُ ، وعن عِلمِهِ فيمَ فعلَ ، وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ وفيمَ أنفقَهُ، وعن جسمِهِ فيمَ أبلاهُ » [٣] .

(الثالثة: الدعوة اليه)

الدعوة إلى الله، إذا تعلم العلم ثم عمل به يأتي الأمر الثالث وهو التعليم والدعوة إلى الله.

بعد أن كمل نفسه وتعلم العلم فإن عليه المقصود من ذلك وهو تعليم الناس هذا الدين ، وأعلى مراتب الدعوة هي الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك، وهذا منهج الأنبياء والرسل فما بعث نبي إلا دعا الناس إلى عبادة الله وإفراده بالعبادة ونهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه . ويبدأ بالأهم فالأهم .

ويعلم أن له أجر كل من تبعه من هؤلاء القوم .

---

(١) تفسير القرطبي (ص : ٥٠٨)

(٢) اقتضاء العلم بالعمل (ص : ٣٧)

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٧)

كما جاء في الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الرسول ﷺ « مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا » (١).

وقال ﷺ : « ..... فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(٢).

والعلماء هم ورثة الأنبياء والناس بحاجة إلى العلم أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٣)

" يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين : الإنس والجن ، آمرا له أن يخبر الناس : أن هذه سبيله ، أي طريقه ومسلكه وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه ، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي ". (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٥).

وهذا أحسن الأقوال وأزكاها عند الله .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤)
(٢) رواه البخاري (٤٢١٠)
(٣) [يوسف: ١٠٨]
(٤) تفسير ابن كثير (ص ٢٤٨)
(٥) [فصلت :٣٣]

فالداعية يعلم الناس بما تعلم وإذا لم يعرف شيئاً يقول لا أعلم، لا يفتي بغير علم، وإنما يجب عليه أن يسأل أهل العلم عما أشكل عليه، ويتعلمها ثم ينقلها للناس بناء على ما تعلمه ، ولو لم يتعلم إلا مسألة واحدة لكان هذا خير عظيم فقد يكون قليل من العلم مبارك ويجعل الله فيه نفع عظيم ويصحح الله به أعمالهم ويصلح بها قلوبهم ويبطل الشبهات التي في القلوب ، وهذا العلم نور وبركة .

(الرابعة: الصبر على الآذى فيه)

فهذا الطريق لابد فيه من الصبر فمن قام بالعلم وقام بالدعوة إلى الله فقد يعادى ويؤذى فعلى العبد أن يصبر ،على الآذى فرسولنا ﷺ أُوذي وقالوا له ساحر ومجنون وآذوه، ووضعوا في طريقه الأشواك فصبر قال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٤).

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ (٥).

وأعظم الجهاد جهاد النفس .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " فجهاد النفس أربعُ مراتب أيضاً: ـ

---

(١) [الروم : ٦٠]
(٢) [الاحقاف : ٣٥]
(٣) [ال عمران : ٢٠٠]
(٤) [المؤمنون :١١١]
(٥) [الانعام :٣٤]

إحداها: ـ أَنْ يُجاهِدَها على تعلُّم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت في الدَّارين.

الثانية: ـ أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّدُ العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعْها.

الثالثة: ـ أن يُجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمِهِ مَنْ لا يعلمهُ، وإلا كان مِن الذين يكتُمون ما أنزل الله مِن الهُدى والبينات، ولا ينفعُهُ علمُهُ، ولا يُنجِيه مِن عذاب الله.

الرابعة: ـ أن يُجاهِدَها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربَّانِيينَ، فإن السلفَ مُجمِعُونَ على أن العَالِمَ لا يَستحِقُّ أن يُسمى ربَّانياً حتى يعرِفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعَلِّمَه، فمَن علم وَعَمِلَ وعَلَّمَ فذاكَ يُدعى عظيماً في ملكوتِ السموات".(١)

ختم هذه المسائل بسورة العصر قال المؤلف رحمه الله:

والدليل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(٢)

فجاء بهذه السورة دليل على هذه المسائل.

فهذه السورة عظيمة على اختصارها.

---

(١) زاد المعاد، (ج ٣،ص ١٠)

(٢) [العصر: ١-٣]

قال الشافعي رحمه الله : "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" (١) .

فهذه السورة من السور التي تنخلع لها القلوب حيث يخبر الله أ ن العالم كله في خسران إلا من اتصف بهذه الصفات الأربعة ، ونلاحظ أن الله جاء بصفات ولم يذكر أسماء وهذه الصفات تبقى على مر العصور .

ومعناها لو ما أنزل الله حجة وإنذار وبرهان على المكلفين من الخلق إلا هذه السورة الجامعة العظيمة لكفتهم لان فيها الزاماً بالتمسك بالدين بالعمل الصالح والدعوة إلى الله والصبر على ذلك فتضمنت جميع مراتب الكمال الإنساني .

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسير السورة : ـ

" أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح.

والخسران مراتب متعددة متفاوتة:

قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات:ـ

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده ، الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق، الذي

---

(١) انظر: "تفسير الإمام الشافعي" (٣/ ١٤٦١)، "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ١٥٢)، "تفسير ابن كثير" (١/ ٢٠٣) ، "التحرير والتنوير" (٣٠/ ٥٢٨).

هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم" .[1]

﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فهم الذين وقرأ الإيمان في قلوبهم والإيمان هو التصديق. وهو اعتقاد في القلب وقول باللسان وعمل بالجوارح .

﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾أي في جوارحهم مقبلين ومخلصين لله جل وعلا .

وهذا يدخل به كل شعب الإيمان والناس تتفاوت فمنهم عالي من أهل الإحسان ومنهم من هو من أصحاب اليمين ومنهم الظالم لنفسه الذي ارتكب المعاصي من الموحدين .

﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ يذكر بعضهم بعضاً ويوصي بعضكم بعضاً فالتواصي مهم فلابد من الصبر على التواصي ولا ييأس ولا يكسل فاليأس مدخل شيطاني عن التواصي .

فمن قام بهذه الخصال فقد جانب الخسران .

وقال الإمام البخاري رحمه الله: **باب العلم قبل العمل** ، واستدل بقوله تعالى : ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾[2] .

وهذه السورة ميزان للأعمال قال ابن رجب عن سورة العصر:

---

(١) تفسير السعدي ص (١٠٣)

(٢) [محمد :١٩].

" فهذه السورة ميزان للأعمال يزن المؤمن بها نفسه فيتبين بها ربحه من خسرانه " [١].

وهذه كلها مقدمات للمسائل الكبرى التي سنتاولها باذن الله .

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ معرفة معنى الإسلام .

ـ أدلة دين الإسلام .

ـ معرفة النبي ﷺ .

ـ بيان ما يجب علينا تجاه النبي ﷺ .

ـ أهمية الدعوة للإسلام .

ـ أدلة الصبر على الأذى في سبيل الدعوة لله تعالى .

ـ أقوال العلماء في الصبر على الأذى .

---

(١) لطائف المعارف ص.٤١٧ .

المتن

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ : يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾[2] فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الأَصْلُ الأَوَّلُ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[4] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى

(١) [الذاريات: ٥٦].
(٢) [النساء: ٣٥].
(٣) [الفاتحة: ٢].
(٤) [فصلت: ٣٧].

عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَآء بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله : الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الشرح

(اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)

"اعلم" تنبيه إلى وجوب العلم أي تعلم وابذل جهدك بالعلم وليكن لديك علم نحو دينك

وقال : " **أرشدك لطاعته**" أي هداك ووفقك لما ينفعك في دنياك وآخرتك.

الرشد الاستقامة على طريق الحق والرشد ضد الغي .

أ رشدك الله أي ثبتك الله على طريق الاستقامة وطريق الحق .

(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ)

الحنيفية أن تعبد الله مخلصاً له الدين، ماهي الحنيفية؟ قال: " **أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** " فالحنيفية هي: ملة إبراهيم عليه السلام، وهي دعوة الأنبياء، فما جاء نبي إلا بالتوحيد الخالص، والاقبال على الله، والميل عن الشرك، وتحقيق الاستسلام لله ظاهراً وباطناً، والانقياد لله تعالى بما يأمر، والبراءة من الشرك وأهله ..

---

(١) [[الأعراف: ٥٤].

(٢) [البقرة: ٢١، ٢٢].

-**فالحنيفية هي**: الميل عن الشرك، والبراءة من الشرك وأهله، وعبادة الله وحدة .

ويقول العلامة السعدي رحمه الله:

"حنيفاً : أي : مقبلا على الله ، معرضا عما سواه ، قائما بالتوحيد ، تاركا للشرك والتنديد ، فهذا الذي في اتباعه الهداية ، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية " (١) .

ولذلك أمر الله جميع الناس بالحنيفية وهي حقيقة دعوة الرسل . فما جاء نبي إلا ودعا إلى الحنيفية، ولذلك دعا جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢).

والله نسبها إلى إبراهيم عليه السلام في دين جميع الأنبياء وجعلها ملة إبراهيم وطريقته لعدة أمور :

- بلغ الغاية في تحقيق الحنيفية حتى وصل إلى مرتبة الخلة ، ولم يشاركه فيها سوى نبينا محمد ﷺ .

- أنه كان إماماً، والله تعالى قال : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣).

- ووصفة الله أنه كان أمة، أي بمعنى إماماً عليه السلام، وقدوة.

- وأنه يعدل الأمه في إيمانه وتوحيده، والله سبحانه ذكر أن العرب كانت تعرفه وتقدسه .

فإبراهيم عليه السلام له مقام كبير في التوحيد وهو الذي بنى البيت الحرام وابنه إسماعيل عليهما السلام آثاره باقية كلها تدل على التوحيد الخالص لله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص/٦٧).
(٢) [الذاريات:٥٦].
(٣) [النحل:١٢٠].

تعالى ، ومن زعم أنه على ملة إبراهيم عليه السلام عليه أن يأتي بالدليل على صدق قوله، فهم يعبدون الأصنام ويدعون أنهم على ملة إبراهيم والله عزوجل بيَّن الحكمة من خلق العباد .

كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]

يعبدون : يوحدون .

كلما جاءت العبادة في كتاب الله فهي بمعنى التوحيد .

والمعنى من عبد الله من دون التوحيد فعبادته مردودة وهو كم يصلي بلا وضوء .

لذلك جاءت أهمية التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى .

من يدعي أنه يعبد الله ويسأل الأموات والقبور والأحجار ويخاف من غير الله فكيف تكون عبادته خالصة وقد تلطخت وتلوثت بالشرك .؟!

أعظم ما أمر الله به التوحيد . فالله تعالى خلقنا للعبادة ، فيتبين لنا عظم التوحيد وأهمية إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له .

ما هو التوحيد ؟

التوحيد لغة: "مصدر وحّد يوحّد، أي جعل الشيء واحداً"

معنى التوحيد اصطلاحاً : "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ".

وهي تشمل أنواع التوحيد الثلاثة

ـ توحيد الربوبية.

ـ توحيد الألوهية.

ـ توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) [الذاريات:٥٦].

وقوله : (**وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا﴾** [1].

أعظم ما نهى عنه هو الشرك " وهو بمعنى التسوية "

والتشريك فالله أجل من يجعل معه شريكاً في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته .

والشرك أظلم الظلم وأبطل الباطل، وهو هضم للربوبية وتنقص للألوهية وسوء ظن برب العالمين وهو أقبح المعاصي وهو الأمر الذي لا يغفره الله جل وعلا . فالله غفور لكنه لا يغفر الشرك لأنه تسوية له بالمخلوق الناقص، من هنا عظم أمر الشرك وأهمية معرفته والحذر منه .

لماذا وقعت الأمم بالشرك ؟

لأنها جهلت الشرك فأصبحوا يعبدون الأصنام ويعبدون الأحجار ويعبدون الصالحين ، ويعبدون الأولياء ويعبدون البشر ويزعمون أنها تقربهم من الله .

تعريف الشرك:

لغة : التسوية .

اصطلاحاً : ـ تسوية الخالق بالمخلوق ، أي: " أن تدعوا مع الله نداً"

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله :

الشرك : " هو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة"[2].

أقسام الشرك : ـ

شرك أكبر .. شرك أصغر ..

---

(١) [النساء: ٣٥].

(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد (ص : ٢٤)

الشرك الأكبر تسوية المخلوق بالخالق ﷻ وأن يدعو مع الله نداً .
مثل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة لله لغير الله .

أمثلة الشرك الأكبر دعاء غير الله والاستغاثة والاستعانة بغير الله من شجرة أو قبر أو جن فمن استعان بهم بما لا يقدر عليه إلا الله كمن يذهب إلى القبر ويطلب منه أن يرزقه ذرية أو يطلبه مالاً أو رزقاً أو يدعو ه من دون الله، وهذا الشرك زلت به الأقدام وصوره كثيرة جداَ ومعاصرة وقبل الإسلام وفي الجاهلية فقد كان حول الكعبة ٣٦٠ صنم وكسرها النبي ﷺ وأزالها بيده الشريفة ولكن تعاقبت الأزمان وتعاقبت الأمم وانتشر الشرك بعد موته والرسول ﷺ حذر أمته من بناء القبور في المساجد ، وحذر أمته من الغلو في قبره ﷺ. فالرسول ﷺ جاء بالملة الحنفية وجاء بالتوحيد الخالص .

عن عبدالله بن الشخير قال : «انطلقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلى رسولِ الله ﷺ، فقلنا أنت سيدُنا .فقال: السيدُ اللهُ تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلُنا فضلًا، وأعظمُنا طولًا . فقال : قولوا بقولِكم ، أو بعضِ قولِكم ، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكم الشيطانُ » [(١)].

فهو ﷺ سيد ولد آدم وخشى الفتنة به أو بقبره بعد موته فكيف بمن دونه من البشر.؟ !

ومن تأمل حقيقة الشرك عرف أن عبادة المخلوق ضلال ونقص في العقل لأن المخلوق محتاج إلى خالق ، فهو يأكل ويشرب ، فلو كان إلهاً لبقي حياً . قال تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) واللفظ له، والنسائي في (السنن الكبرى) (١٠٠٧٤)، وأحمد (١٦٣٥٩) باختلاف يسير
(٢) [الفرقان :٨٥]

أنواع الشرك الأكبر : ـ

القسم الأول : الشرك الأكبر : سبق تعريف الشرك الأكبر .

وأقسامه خمسة : ـ

١ ـ شرك العبادة .

٢ ـ شرك الدعاء .

٣ ـ شرك المحبة .

٤ ـ شرك الشفاعة .

٥ ـ شرك الطاعة والاتباع .

وهي مخرجة من الملة .

النوع الأول : شرك العبادة

معناه صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى .

مهما صغرت هذه العبادة ومهما دقت هذه العبادة مثال ذلك من قرب الذباب .

قال طارق بن شهاب : " مرَّ رجلان على قومٍ لهم صنمٌ لا يجوزه أحدٌ حتى يُقرِّبَ له شيئًا فقالوا لأحدِهما: قرِّبْ قال ليس عندي شيءٌ أقربُ قالوا: قرِّبْ ولو ذُبابًا فقرَّبَ ذبابًا فخلُّوا سبيلَه فدخلَ النارَ وقالوا للآخرِ قرِّبْ: فقال: ما كنتُ لأقربَ لأحدٍ شيئًا دونَ اللهِ عزَّ وجلَّ فضربوا عنقَه فدخلَ الجنَّةَ.[1]

الذباب صغير ولكن ليست العبرة بالصغير والكبير ولكن العبرة بما قام في القلب من الاعتقاد .

فلا فرق بين من قرب ذبابا ومن قرب جملا ، كلها صرف العبادة لغير الله.

---

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد رقم (٨٤) موقوفا، ورواه ابن أبي شيبة رقم (٣٣٠٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٣/١) وذكره ابن القيم في الجواب الكافي (ص٤٥).

فمن صرف شيء لغير الله فهو مشرك كافر فمن طاف على القبر فهو مشرك، ومن حلق رأسه للقبر، أو للحجر، أو للكوكب، فهو مشرك . ومن عبد غير الله من نبي، أو ملك، أو حجر فهو كافر؛ لأن العبرة في العبادة والفعل وليس في المعبود . والله تعالى يقول : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (١).

فالمشرك كل أعماله هباء منثوراً فالله لا يقبل منه صرفا ولا عملاً حتى يعود للتوحيد .

فالطواف حول القبر و الانحناء والسجود للأولياء والصالحين كلها من الشرك ولا تصرف لغير الله عز وجل، فمن رضي أن يعبده الناس ويتقربوا إليه فهو طاغوت من الطواغيت ، أما من عبد من دون الله وهو غير راض في العبادة فهذا لا أثم عليه مثل عيسى عليه السلام وعزير وكل من عبد من دون الله وهو غير راض بالعبادة .

والطواغيت خمسة ومنهم من عبد وهو راض بالعبادة .

والعبادة :" اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة " (٢) .

النوع الثاني من الشرك: شرك الدعاء..

تعريف الدعاء: ـ كلمة الدعاء في الأصل مصدر من قولك: دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، وهو أن تُميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك" (٣) .

الدعاء شرعًا: قال الخطابي: "معنى الدعاء استدعاءُ العبدِ ربَّه عزوجل العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى،

(١) [الفرقان :٢٣] .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيميه / ج / ١٠ .
(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/٢٧٩).

والتبرُّؤ من الحول والقوّة، وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلَّة البشريَّة، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل ، وإضافة الجود والكرم إليه"[١].

أقسام الدعاء : ـ

١ - **دعاء المسألة** ، وهو طلب ما ينفع ، أو طلب دفع ما يضر ، بأن يسأل الله تعالى ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ودفع ما يضره في الدنيا والآخرة ، كالدعاء بالمغفرة والرحمة ، والهداية والتوفيق ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار، وأن يؤتيه الله حسنة في الدنيا ، وحسنة في الآخرة ... إلخ .

٢ - دعاء العبادة ، والمراد به أن يكون الإنسان عابداً لله تعالى ، بأي نوع من أنواع العبادات ، القلبية أو البدنية أو المالية ، كالخوف من الله، ومحبته، ورجائه، والتوكل عليه ، والصلاة، والصيام، والحج ، وقراءة القرآن، والتسبيح، والذكر ، والزكاة والصدقة، والجهاد في سبيل الله ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... إلخ .

فكل قائم بشيء من هذه العبادات فهو داعٍ لله تعالى[٢].

ـ النوع الثالث من الشرك شرك المحبة : ـ

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [٣].

يحبون الله، ويحبون أصنامهم، ولكن لم تنفعهم هذه المحبة؛ لأنهم أشركوا في المحبة ، ووقعوا في الشرك .

---

(١) شأن الدعاء (ص٤).

(٢) انظر : "القول المفيد" للشيخ ابن عثيمين (١/٢٦٤) ، "تصحيح الدعاء" للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص ١٥- ٢١).

(٣) [البقرة : ١٦٥].

قال ابن زيد: "هؤلاء المشركون، أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع الله، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشد حباً لله من حبهم هم لآلهتهم" (١).

قال الإمام ابن القيم في تفسير هذه الآية: " أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا "(٢).

فالمراد إذن بشرك المحبة: محبة العبودية المستلزمة للإجلال، والتعظيم، والذل، والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر" (٣).

والمحبة تنقسم إلى ثلاثة أنواع :ـ

١- محبة واجبة: وهي محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة ما يحبه الله تعالى من العبادات وغيرها، ومحبة من يحب الله. وهذه المحبة من كمال التوحيد . وهي من أوثق عرى الإيمان .

٢- محبة طبيعية مباحة: كمحبة الوالد لولده، والزوج لزوجته ، والإنسان لصديقه، ولماله ونحو ذلك ، ويشترط في هذه المحبة أن لا يصحبها ذل ولا خضوع ولا تعظيم، فإن صحبها ذلك فهي من القسم الثالث، ويشترط أيضاً أن لاتصل إلى درجة محبته لله ومحبته لرسول الله ﷺ، فإن ساوتها أو زادت عليها فهي محبة محرمه، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٤).

---

(١) جامع البيان (٣/٢٨٠) .

(٢) التفسير القيم لابن القيم /(ص :١٣٩).

(٣) من كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص : ٦٣).

(٤) [التوبة: ٢٤].

٣ - محبة شركية، وهي أن تكون محبة غير الله كمحبة الله أو أكثر من محبة الله، كمن يحب مخلوقاً محبة مقترنة بالخضوع والتعظيم، وهذه هي محبة العبودية، التي لا يجوز صرفها لغير الله، فمن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر ، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ (١).

النوع الرابع : شرك الشفاعة : ـ

الشفاعة هي: "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة"، يعني أن يكون الشافع بين المشفوع إليه، والمشفوع له واسطة لجلب منفعة إلى المشفوع له، أو يدفع عنه مضرة.

والشفاعة نوعان:

النوع الأول: شفاعة ثابتة صحيحة، وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه، أو أثبتها رسوله ﷺ، ولا تكون إلا لأهل التوحيد، والإخلاص؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»(٢).

وهذه الشفاعة لها شرطان : ـ

الشرط الأول: رضا الله عن الشافع والمشفوع له.

الشرط الثاني: إذن الله للشافع أن يشفع.

والرضى لا يكون إلا لأهل التوحيد، وحقيقة الشفاعة أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد .

---

(١) انظر: مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية أ . د . عبد الله بن عبد العزيز الجبرين(ص ٩٨ . ٩٩)، وانظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين (ج ١ ص : ١٥٦) الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

(٢) رواه البخاري (٩٩).

وهذه الشروط مجملة في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾(١).

ومُفصَّلة في قوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾(٢) ، وقوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾(٣)، وقوله: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾(٤) ، وهذه هي شروط الشفاعة التي لا تتحقق إلا بها .

وسيد الخلق لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله تعالى له حيث يقول الله تعالى : «ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تشفع» (٥) ، و بعد أن يسجد تحت العرش. فاذا كان سيد الخلق لا يشفع إلا بعد الإذن، فكيف لهذه المعبودات، والأموات، أن تشفع وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وهذا النوع من الشرك الأكبر لا يزال إلى يومنا هذا وهو اتخاذ الوسائط من دون الله .

قال ابن تيمية : " لا يجوز أن يقول لملك، ولا نبي، ولا شيخ، سواء كان حياً أو ميتاً ، اغفر ذنبي، وانصرني على عدوي، ومن فعل ذلك مخلوقاً فهو مشرك بربه، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة ، والأنبياء، والتماثيل التي يصورنها ، على صورهم، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه . قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(٦).

---

(١) [النجم:٢٦].
(٢) [البقرة:٢٥٥].
(٣) [طه:١٠٩].
(٤) [الأنبياء:٢٨].
(٥) رواه البخاري (٣٣٤٠)، مسلم (١٩٣).
(٦) مجموع فتاوى ابن تيميه / ج ٢٧ (ص : ٤٢).

لهذا قال الله تعالى :﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٥).

وقوله تعالى : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾(٦).

أنواع الشفاعة المثبتة: ـ

النوع الأول: الشفاعة العظمى

وهي المقام المحمود، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين . ففي الصحيحين « اجْتَمَعْنَا نَاسٌ

(١) [يونس:٣].
(٢) [البقرة:٢٥٥].
(٣) [الزمر : ٤٣ . ٤٤].
(٤) [الأنبياء: ٢٧ . ٢٨].
(٥) [الزخرف: ٨٦].
(٦) [النجم : ٢٦].

مِن أَهْلِ البَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إلى أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، وذَهَبْنَا معنَا بثَابِتٍ البُنَانِيِّ إلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عن حَديثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هو في قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فأذِنَ لَنَا وهو قَاعِدٌ علَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِثَابِتٍ: لا تَسْأَلْهُ عن شيءٍ أوَّلَ مِن حَديثِ الشَّفَاعَةِ، فَقالَ: يا أبَا حَمْزَةَ هَؤُلَاءِ إخْوَانُكَ مِن أهْلِ البَصْرَةِ جَاؤُوكَ يَسْأَلُونَكَ عن حَديثِ الشَّفَاعَةِ، فَقالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قالَ: إذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ في بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فيَقولونَ: اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بإبْرَاهِيمَ فإنَّه خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بمُوسَى فإنَّه كَلِيمُ اللهَّ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بعِيسَى فإنَّه رُوحُ اللهَّ، وكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولُ: لَسْتُ لَهَا، ولَكِنْ علَيْكُم بمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فأقُولُ: أنَا لَهَا، فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، ويُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أحْمَدُهُ بهَا لا تَحْضُرُنِي الآنَ، فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، وأَخِرُّ له سَاجِدًا، فيَقولُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيَقولُ: انْطَلِقْ فأخْرِجْ منها مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِن إيمَانٍ، فأنْطَلِقُ فأفْعَلُ، ثُمَّ أعُودُ، فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ له سَاجِدًا، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ، أُمَّتي أُمَّتِي، فيَقولُ: انْطَلِقْ فأخْرِجْ منها مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أوْ خَرْدَلَةٍ - مِن إيمَانٍ فأخْرِجْهُ، فأنْطَلِقُ، فأفْعَلُ، ثُمَّ أعُودُ فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ له سَاجِدًا، فيَقولُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتِي، فيَقولُ: انْطَلِقْ فأخْرِجْ مَن كانَ في قَلْبِهِ أدْنَى أدْنَى أدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ، فأخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فأنْطَلِقُ فأفْعَلُ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِن عِندِ أنَسٍ قُلتُ لِبَعْضِ أصْحَابِنَا: لو مَرَرْنَا بالحَسَنِ وهو مُتَوَارٍ في

مَنْزِلِ أبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بما حَدَّثَنَا أَنَسُ بنُ مَالِكٍ، فأتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عليه، فأذِنَ لَنَا فَقُلْنَا له: يا أبَا سَعِيدٍ، جِئْنَاكَ مِن عِندِ أخِيكَ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ ما حَدَّثَنَا في الشَّفَاعَةِ، فَقالَ: هِيهْ فَحَدَّثْنَاهُ بالحَديثِ، فَانْتَهَى إلى هذا المَوْضِعِ، فَقالَ: هِيهْ، فَقُلْنَا لَمْ يَزِدْ لَنَا علَى هذا، فَقالَ: لقَدْ حدَّثَني وهو جَمِيعٌ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فلا أدْرِي أنَسِيَ أمْ كَرِهَ أنْ تَتَّكِلُوا، قُلْنَا: يا أبَا سَعِيدٍ فَحَدِّثْنَا فَضَحِكَ، وقالَ: خُلِقَ الإنْسَانُ عَجُولًا ما ذَكَرْتُهُ إلَّا وأَنَا أُرِيدُ أنْ أُحَدِّثَكُمْ حدَّثَني كما حَدَّثَكُمْ به، قالَ: ثُمَّ أعُودُ الرَّابِعَةَ فأحْمَدُهُ بتِلْكَ المَحَامِدِ، ثُمَّ أخِرُّ له سَاجِدًا، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأقُولُ: يا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، فيَقولُ: وعِزَّتِي وجَلَالِي، وكِبْرِيَائِي وعَظَمَتي لَأُخْرِجَنَّ منها مَن قالَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ»[1].

ـ النوع الثاني والثالث من الشفاعة: ـ

شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي أَقْوَامٍ قَدْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَيَشْفَعُ فِيهِمْ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ [2]، وَفِي أَقْوَامٍ آخَرِينَ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، أَنْ لَا يَدْخُلُونَهَا.

النوع الرابع : ـ

شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فِيهَا فَوْقَ مَا كَانَ يَقْتَضِيهِ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ وَافَقَتِ الْمُعْتَزِلَةُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ خَاصَّةً، وَخَالَفُوا فِيمَا عَدَاهَا مِنَ الْمَقَامَاتِ، مَعَ تَوَاتُرِ الْأَحَادِيثِ فِيهَا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم) (١٩٣)

(٢) ومستند هذا النوع الذي رواه الطبراني في الكبير (١١٤٥٤) ولفظه : " السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ.

النوع الخامس :ـ

الشَّفَاعَةُ فِي أَقْوَامٍ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بغير حساب، ويحسن أَنْ يُسْتَشْهَدَ لِهَذَا النَّوْعِ بِحَدِيثِ عُكَاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ ﷺ، حِينَ دَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَالْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ... (١)

النوع السادس :ـ

الشَّفَاعَةُ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ، كَشَفَاعَتِهِ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ عَذَابُهُ. (٢)

ثُمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذْكِرَةِ بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا النَّوْعِ :فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾(٣) قِيلَ لَهُ :لَا تَنْفَعُهُ فِي الْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ، كَمَا تَنْفَعُ عُصَاةَ الْمُوَحِّدِينَ، الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ. " (٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨١١) و (٦٥٤٢) ومسلم (٢١٦) و (٢١٧) من حديث أبي هرير بلفظ (يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ ألْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إضاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ: فَقامَ عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ الأسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عليه، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ منهمْ ثُمَّ قامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فقالَ: سَبَقَكَ بها عُكّاشَةُ أخرجه ابن منده في الإيمان (٩٧٠) و (٩٧١) و (٩٧٣) و(٩٧٤) و (٩٧٥) وأخرجه مسلم (٢١٨) بنحوه من حديث عمران بن حصين ا .

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٣) و (٦٢٠٨) ومسلم (٢٠٩) عن العباس بن عبد المطلب قال : « يَا رَسولَ اللَّهِ، هلْ نَفَعْتَ أبَا طَالِبٍ بشَيءٍ؟ فإنَّه كانَ يَحُوطُكَ ويَغْضَبُ لَكَ، قالَ: نَعَمْ، هو في ضَحْضَاحٍ مِن نَارٍ، لَوْلَا أنَا لَكانَ في الدَّرَكِ الأسْفَلِ مِنَ النَّارِ. » ، ورواه أحمد ١ / ٢٠٦ . ٢١٠ وابن منده في الإيمان (٩٥٧) . (٩٦١) والحميدي (٤٦٠) .

(٣) [المدثر:٤٨]

(٤) التذكرة ١ / ٢٤٩ وانظر فتح الباري (١١ / ٤٣١)

النوع السابع :ـ

شَفَاعَتُهُ أَنْ يُؤْذَنَ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ» (١).

النوع الثامن :ـ

شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلا منهم بصحة الأحاديث، وعنادا ممن علم ذلك واستمر على بدعته، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضا، ومن أحاديث هذا النوع، حديث أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» (٢) (٣).

النوع الثاني من أنواع الشفاعة: الشفاعة المنفية:

وهي شفاعة المشركين ، وكل شفاعة تطلب من مخلوق مما لم يأذن الله له، ولم يرض عن المشفوع له ، كطلب الشفاعة من الأموات والأصنام وسائر المعبودات التي لا تنفع أصحابها، وهي كما يدَّعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله ، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٦) والدارمي (١ / ٢٧) وأحمد ٣ / ١٤٠ وابن منده (٨٨٥). (٨٩٠) والخطيب في تاريخه ١٢ / ٤٠٠

(٢) حديث صحيح بطرقه وشواهده أخرجه أبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥) وأحمد (٣ /٢٣١) والطيالسي (٢٠٢٦)، وابن نعيم في الحلية (٧ / ٢٦١) والطبراني في الصغير (١ / ١٦٠) من حديث أنس وصححه ابن حبان (٢٥٩٦) والحاكم (١ / ٦٩) ، والترمذي (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠) والطيالسي (١٦٦٩) وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٢٠٠ . ٢٠١) من حديث جابر بن عبد الله وصححه الحاكم (١ / ٦٩) وأخرجه الطبراني (١١٤٥٤) من حديث ابن عباس والخطيب والبغدادي ٨ / ١١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أنواع الشفاعة المثبتة انظر " شرح العقيدة الطحاوية للإمام علي بن علي بن أبي العز من (ص : ٣٤٩ . ٣٥٦) تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن التركي و شعيب الأرنؤوط الطبعة ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢م

شَفَعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[١] ، وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله والله لا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[٢]، تعلقٌ باطلٌ غير نافع، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بُعداً، على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام، وهذا من سفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعداً[٣].

النوع الخامس : شرك الطاعة والاتباع

معناه : الطاعة في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله قال تعالى :﴿ اتخذُواْ أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَاباً مّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً واحِداً لاَّ إله إِلاَّ هُوَ سُبْحَـانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٤] [٥] .

و من أعظم الذنوب، وأشدها عند الله عزوجل ، الاعتداء على خصائص الربوبية، من قبل بشر لا يستطيعون لأنفسهم نفعاً ولا رشداً، زاعمين أن لهم سلطان التشريع، وتحليل ما حرمه الرب جل جلاله ، وتحريم ما أحله الله عزوجل ، وهم في هذا الزعم يظنون أن زمام الأمور بأيديهم، وأن لهم سلطاناً ينبغي اتباعه، وقد غفلوا عن بشريتهم وضعفهم، لأن من كان مشرعاً لابد أن يكون عالماً بالماضي، والحاضر والمستقبل، وهم بلا شك لا يعلمون الماضي، وهم مدركون لشيء من الحاضر، جاهلون قطعاً بالمستقبل، ومن كان هذا شأنه فلا يصلح أن يكون مشرعاً مع الله، لهذا عاب الله عليهم هذا

---

(١) [المدَّثر:٤٨].
(٢) [يونس:١٨].
(٣) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين (ج ٢ ص ٤٧) .
(٤) [التوبة : ٣١]
(٥) انظر الارشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان (ص : ٩٥).

الزعم، وفنده، وأبطل ادعاءاتهم فيه، بل وجعله شركاً لا يغفر لصاحبه . قال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١).

قال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾(٢) .

وهؤلاء المشركون كانوا يحرمون على أنفسهم أنواعاً من الرزق ، ويحللون أنواعاً أخرى، من تلقاء أنفسهم، مما تمليه عليهم شياطينهم، وقد ذكر الله عزوجل ذلك في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

فهذا التحريم والتحليل الذي يمارسه هؤلاء المشركون، من أكبر علامات الانحراف عندهم والضلال الذي يعتقدونه، وقد سماه الله شركاً كما سبق .

عن عدي بن حاتم : « أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب، فقال لي: يا عدي بن حاتم، ألق هذا الوثن من عنقك. وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّه﴾(٤) قال: قلت: يا رسول الله، إنا لم نتخذهم أربابًا، قال: بلى، أليس يحلون لكم ما

(١) [الشورى :٢١] .
(٢) [يونس : ٥٩] .
(٣) [الأنعام : ١٣٨ . ١٣٩] ، انظر: أصول الاعتقاد في سورة يونس د. قذلة محمد القحطاني (ص : ٨٩ . ٩٠)
(٤) [التوبة : ٣١]

حرم عليكم فتحلونه، ويحرموه عليكم ما أحل الله لكم فتحرمونه؟ فقلت: بلى، قال: تلك عبادتهم﴾[١].

قال ابن الجوزي في كتابه (تلبيس إبليس) في الكلام على ذكر تلبيس إبليس على الجاهلية: "ومنها **البحيرة**، وهي الناقة تلد خمسة أبطن، فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء، **والسائبة** من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً، ولا يحلبون لها لبنا، **والوصيلة** الشاة تلد سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكراً أو أنثى، قالوا وصلت أخاها فلا تذبح، وتكون منافعها للرجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء، **والحام** الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن ، فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه، ثم يقولون إن الله أمرنا بهذا، فذلك معنى قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[٢] ثم الله رد عليهم فيما حرموه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، وفيما أحلوه بقولهم: خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا، قال الله تعالى:﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾[٣].

المعنى: إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام، وإن كان حرم الأنثيين فكل الإناث حرام، وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والإناث، فيكون كل جنين حراماً"[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥) والطبراني (٩٢/ ١٧) (٢١٨) . البيهقي (١١٦ / ١٠) ، (٢٠٨٤٧) وقال الترمذي غريب لا نعرفه من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث، وقال الذهبي في المهذب (٤١٠٨ / ٨) فيه غطيف ضعفه الدار قطني وقيل غضيف وحسنه ابن تيميه كما في مجموع الفتاوى (٦٧ /٧) والألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٠٩٥).

(٢) [المائدة:١٠٣].

(٣) [الأنعام:١٤٣].

(٤) تلبيس ابليس للإمام ابن الجوزي / (ص : ٧٩)

وهذا من تحريم الحلال !!.

القسم الثاني : الشرك الأصغر

وهو: "كل عمل قولي، أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة" (١) ، ولكنه دون الشرك الأكبر ولا يخرج من الملة ولا يحبط العمل إلا العمل الذي خالطه، وصاحبه لا يخلد في النار ، وهو ينافي كمال التوحيد.

ويجب أن لايتساهل و يتهاون بهذا الأمر ويقول شرك أصغر لا يخرج من الملة فقد سماه شركاً وهذا يدل على التغليظ والتخويف منه فهو شرك ومما يبين عظمة هذا الأمر وخطورته قول بعض العلماء أنه لا يُغفر إلا بالتوبة .

واستدلوا :بعموم قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .(٢)

واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: " وأعظم الذنوب عند الله الشرك به وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والشرك منه جليل ودقيق وخفي وجليٌّ"(٣).

وهو خطوة للشرك الأكبر فالشرك الأصغر أكبر من كبائر الذنوب وأكبر من البدعة .

نلاحظ التدرج ، فأول شيء يعصى الله به الشرك الأكبر .

ثم من دونه الشرك الأصغر

ثم الذي دونه البدعة .

فالذي دونه الكبائر .

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عثيمين / (ص : ٤٢) .

(٢) [النساء:٤٨].

(٣) انظر جامع الرسائل (٢٥٤ / ٢)

ثم الذي دونه صغائر الذنوب .

ويدخل الشرك الأصغر في الأفعال، والنيات، والأقوال .

فخطورته أ ن الناس تتهاون فيه ويغفل الناس عنه

ويدخل في جميع الأعمال .

أمثلة للشرك الأصغر : ـ

من الأفعال : التعليقات، فمن تعلق شيء وكل إليه، كتعليق التمائم، والحروز، والودع كلها من الشرك الأصغر إذا اعتقد أنها سبباً في دفع العين، أو حصول النفع، أما إذا اعتقد أنها تنفع، أو تضر بذاتها من غير الله فهذا شرك أكبر . ومن هذه بعض العادات المنتشرة ، حيث يضعون على الطفل الصغير حروز وتمائم يعتقدون أنها تحفظ الطفل من الجن والعين ومن الأذى .

وفي الحديث ..عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: «من تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فلا أَتَمَّ الله له، ومن تَعَلَّقَ وَدَعَةً فلا وَدَعَ الله له» [1] ، وهذا يدل على خطورتها لان النفوس تتعلق بها ، لذلك يجب تنقية الاعتقاد وحراسة التوحيد وحراسة العقيدة من هذه الشركيات .

ويدخل في الأقوال .

ومن أمثلته: الحلف بغير الله، الحلف بالأمانة و بالنبي، وهذه منتشرة في كثير من البلدان .

و من الشرك في النيات الشرك الخفي كيسير الرياء، وهذا ما خافه علينا نبينا محمد ﷺ حيث قال :«أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر – فسئل عنه فقال: الرياء»[2] وفي رواية « الشرك الخفي» ؛ لأنه خفي كما قال ﷺ : « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٦٩٤)

(٢) رواه الطبري (٢٥٣ / ٤) (٤٣٠١).

ظلمة الليل، وكفارته أن يقول: اللهم إنني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، واستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»[١]. ويقلع عن هذا الذنب ويتوب على الفور.

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :ـ

ـ الشرك الأكبر صاحبه مخلد في النار والدليل قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [٢].

ـ أما الأصغر إذا دخل النار فإنه لا يخلد فيها .

ـ الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال والدليل قوله تعالى :﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾. [٣]

ـ الأصغر يبطل العمل الذي خالطه فقط .

ـ الشرك الأكبر مخرج من الملة لأنه ينقض أصل التوحيد .

ـ أما الشرك الأصغر فلا يخرج من الملة .

ـ الشرك الأكبر يستبيح الدم والمال .

ـ أما الشرك الأصغر فصاحبه لا يستباح الدم والمال .

ـ التوبة من الشرك الأكبر تكون بالإيمان لأنه زال أصل الإيمان بالشرك الأكبر .

ـ أما الشرك الأصغر فتكون بالتوبة من ذلك الذنب والندم عليه والاستغفار .

ـ صاحب الشرك الأكبر يجب البراءة منه لكفره .

---

(١) رواه البخاري في لأدب المفرد(ص:٢٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٣١).

(٢) [النساء : ٩٨].

(٣) [الفرقان : ٢٣].

ـ أما صاحب الشرك الأصغر فيوالى على طاعته ويعادى على معصيته . ففيه إيمان ومعصية .

قال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ ، فالله تعالى يأمر بعبادته ويقول عزوجل (واعبدوا الله وحده لا شريك له فهو الخالق المنعم المتفضل على خلقه المستحق للعبادة، وهو المستحق أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً).

(**شيئاً**) نكره بسياق النهي تفيد العموم ، تعم الشرك سواء كان قليل أو كثير .

وهذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة لأنها تشتمل على الحقوق عشرة أولها و أعظمها الأمر بالتوحيد ثم ذكر بعدها حقوق تسعة . وهذا أدل دليل على أنه أهمها فإنه عزوجل لا يبدأ إلا بالأهم .

ودل على أن التوحيد أول الواجبات وضده الشرك وهو أعظم المحرمات.

قال المؤلف رحمه الله: **(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)**.

وهذه الأصول الثلاثة وهي (موضوع الكتاب)

يجب عليك أيها المسلم معرفة هذه المسائل الثلاثة وهي مسائل القبر التي سوف يسألك الله جل وعلا بها . فضع للسؤال جوابا .

قال : **(الأَصْلُ الأَوَّلُ) فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:ـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ"ـ**.

بدأ المؤلف رحمه الله بشرح الأصل الأول .

وهذا الأصل العظيم هو معرفة الله جل وعلا ولا إله إلا الله ماذا نعّرف بهذا الأصل وهذا الموضوع فلو بقينا العمر كله نشرح ونفصل لا نستطع أن نوفي بذرة واحدة من هذا الموضوع وقد اختصر المؤلف التعريف بكلمات عظيمة وجميلة وجامعة .

قال: **(فإذا قيل لك من ربك ؟**

فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه).

أي: من هو معبودك وربك وخالقك ورازقك الذي ليس لك معبود سواه فقل وأنت معتز ومفتخر وسعيداً ومعظماً لربك معبودي هو الله وأنا لا أعبد إلا إياه ، لا أصرف شيئاَ من أنواع العبادة لغيره ، فلا أركع ولا أنحر ولا أنذر

(١) [الفاتحة: ٢].

ولا أسجد ولا أطوف إلا لله جل وعلا . وكيف لا أعبده وهو الذي أوجدني من العدم وهو الذي رباني بالنعم الظاهرة والباطنة .

قال تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

بل لست أنا الوحيد الذي أنال هذه النعم بل وربى جميع العالمين بنعمه ، أغدق عليهم جزيل آلائه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [٢]

ومعنى الرب: والرب السَّيد المالك الخالق ، قال ابن جرير الطبري ﷺ في معنى اسم الله الرب:" فربنا جل ثناؤه السَّيد الذي لا شبه له ولا مثل في سُؤدده، المصلح في أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والامر" أ.هـ[٣]

وقال ابن كثير ﷺ:"والرب هو المالك المتصرف". [٤] ، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله

فهو تعالى الذي أعطانا ورزقنا، وهو المعبود الذي لا نصرف العبادة إلا له جل وعلا ،ليس لنا معبود سواه.

فمعرفة الله بآلائه وبالفطرة التي فطر الناس عليها .

(الحمد لله رب العالمين)

فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه والحب والإجلال والتعظيم تقتضي طاعة المحبوب المحمود المعظم . [٥]

---

(١) [النحل :١٨]
(٢) [هود : ٦]
(٣) جامع البيان (١/ ٤٨)
(٤) النهاية (١/ ١٧٩)
(٥) بدائع الفوائد لابن القيم / (٢ / ٥٣٦)

" **الحمد** " الألف واللام للاستغراق أي استغراق جميع المحامد لله جل وعلا .

فهو المحمود في ربوبيته وهو المحمود في ألوهيته ، وهو المحمود في أسمائه وصفاته ، وهو المحمود في أفعاله وهو المحمود في أقواله فهو المحمود بكل لسان وبكل حال .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

الحمد لله عددَ خلقِه ، ورضا نفسِه ، وزِنَةَ عرشِه ، ومِدادَ كلماتِه .

فالله هو المستحق للحمد .

"**لله**" لله المعبود فجميع المحامد له لا لغيره فهو الله الذي خلقنا

"**رب**" خالق ورازق ومدبر لجميع العالمين من أنس وجن وملائكة وغيرهم من الجبال والأشجار فكل ماسوى الله فهو عالم ، وسمي العالم عالم لآنه علامة على خالقه وموجده ومالكه وأنا وأنت وجميع الخلق واحد من هذا العالم . كم نسبتك في هذا العالم ؟

من خلق هذا العالم العظيم وتلك المخلوقات العظيمة وكلنا محتاجون إلى الله في قضاء حاجتنا وتفريج كروبتنا فهو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير وهو المستحق أن يعبد وحده دون سواه .

وهذه فطرة فطر الناس عليها ، فلا يستطيع أحد أن ينكر وجود الله ولا يستطيع أحد أن ينكر نعم الله ، حتى البهائم التي ليس لها عقل لا تعرف إلا ربها وخالقها ، إذا اشتد بها العطش واشتد بها القحط رفعت رؤوسها إلى السماء .وهذا العالم كله علامة على وجود الله وعلامة على عظمة الله وعلامة على قدرته سبحانه وعلامة على ربوبيته و ألوهيته . فلا إله إلا الله

من جحد وجود الله فليخلق انسان ، فليخلق حبة ، فليخلق شعرة .

فهذه الشعرة وجد فيها " صورة كاملة عن الجسم "

هل يستطع أحد أن يخلق شعره فهذه أدق المخلوقات فكيف بأعظم المخلوقات ، كيف بخلق السموات والأرض وكيف بخلق الجبال ؟

انظر إلى أطرافك ، وانظر إلى أصابع يدك وهذه البصمة التي جعلها الله علامة على شخصيتك وكل ما يخصك . لماذا كل إنسان له بصمة تختلف عن الآخر .

من يستطيع أن يسوي بنانك ؟

ومن يستطيع أن يخلق أطرافك ؟

ومن يستطيع أن يشق معك وبصرك ؟

فأنت علامة على وجود الله وأنت علامة على قدرة الله! .

وأنى لملحد أن يجحد هذا الكون وهذا الخلق العظيم وهذا الإبداع الإلهي.

المتن

قال المؤلف رحمه الله : (**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟**

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2]

الشرح

الله تعالى لا يُرى في الدنيا ولا يستطيع أحد أن يراه في الدنيا ولكن المؤمنين يرونه في الآخرة ، إذا دخلوا الجنة قرت أعينهم إلى النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى . وهو أعظم نعيم أهل الجنة .

كيف نعرفه في الدنيا ؟

بآياته ومخلوقاته، ومن آياته: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن، وما بينهما .فهذه كلها أدلة على وجود الله تعالى .

آياته ومخلوقاته ذكرها المؤلف رحمه الله وعطف بعضها على بعض مع أنها كلها مخلوقات .لكن الآيات علامات ودلائل نصبها سبحانه على وحدانيته وتفرده بالعبودية والألوهية .

---

(١) [فصلت: ٣٧]

(٢) [الأعراف: ٥٤]

وعرف عباده بمخلوقاته الباهرة التي أوجدها من العدم التي جعلها دالة عليها عزوجل وكل شيء في الكون فهو دال على وحدانيته ، وهذا يزيد الإيمان ويعلق القلب بالله جل وعلا فمن أعظم ما يزيد الإيمان التفكر بالمخلوقات . فالآيات متحركة كالشمس والقمر وليست ثابته بخلاف الجبال والسموات والأرض ثابتة .

فمن الذي يحركها ؟

الشمس من الذي يجعل الشمس تخرج كل يوم وتغرب بوقت غروبها ؟

هل مر علينا يوم أن الشمس تعطلت ووقفت في كبد السماء واحتاجت صيانة كي تواصل سيرها ؟

هل يوم من الأيام الشمس تعبت فلم تخرج واستأذنت عن الخروج؟.

كم عدد مرات طلوعها وغروبها ؟

منذ الأمم السابقة أمة نوح وهود وثمود وإبراهيم فلا إله إلا الله العظيم الملك .

فهذه الشمس من يملكها فإبراهيم عليه السلام حاجَّ النمود بذلك فقال : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ﴾[1].

انها آيات الله جل وعلا وكذلك القمر ماهو القمر ؟

نرى القمر في كل مكان وكل بلاد وهو نفس القمر . ولا يوجد إلا قمر واحد في هذه الكرة الأرضية

ومع ذلك الكل يراه في وقت واحد ؟

إنها عظمة الله سبحانه وتعالى .

سبحان من اتقن كل شيء .

---

(١) [البقرة :٢٥٨]

المطر: هذه السحب التي تحمل الماء "فالحاملات وقرا" ثم تنزل على الأرض ثم تتكون هذه المياه .

"السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر " [١]

البحر: كم من الأسماك في البحر وكم من المخلوقات ؟

من الذي خلقها ؟

من الذي تكفل بها ؟

إنه الله العظيم و الملك الرب القادر .

الأشجار من خلقها من خلق النباتات من نخيل وعنب وفواكه وتين ورمان .. وغيرها ؟!.

كلها تسقى بماء واحد لماذا اختلفت النباتات ؟

لماذا إذا خرجت من الأرض كان هذا تمراً وهذا عنباً وهذا قمحاً وهذا ذرةً ... ؟

لماذا تختلف وهي تسقى بماء واحد وتربة واحدة . ؟

أنه الله الخالق لا تستطع أيه المخلوق أن تفعل شيئاً .

خذ الثمرة وافتحها بعد نضوجها وانظر إلى عظمة الله سبحانه وتعالى بعد أن أصبحت ثمرة طرية . كيف وهي بالأمس حبة صغيرة لا فيها ثمراً ولا طعماً .

إنه الخالق جل وعلا .

فتدبر خلق الله وشاهد وتأمل الآيات الباهرات الدالة على عظمته جل وعلا.

---

(١) تفسير القرطبي (ص : ٥٢٠)

قال تعالى : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٢) .

والشمس تسجد تحت العرش كل يوم . والدليل :

قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه : « كُنْتُ مع النبيِّ ﷺ في المَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقالَ: يا أبَا ذَرٍّ أتَدْرِي أيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟ قُلتُ: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّهَا تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَذلكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾» (٣)

ويوم القيامة تكور قال تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(٤)

" أي إذا الشمس لفت وذهب ضوءها " (٥) وهذا لا يكون إلا يوم القيامة.

السماوات السبع على سعتها وامتدادها هذه السماء التي نحن تحتها ممتدة إلى أقصى الأرض .

أرض . سماء ممتدة من الذي مدها وأمسكها ؟

هذه السماوات السبع لا يوجد لها أعمدة تمسكها ولكن إنه الله سبحانه .

وهذه السماوات السبع على سعتها وامتددها وما فيها من الكواكب الزاهرات والآيات الباهرات كلها يمسكها الله أن تقع على الأرض قال تعالى ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٦).

---

(١) [يس : ٤٠]
(٢) [يس :٣٨]
(٣) أخرجه البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩)
(٤) [التكوير : ١]
(٥) تفسير السعدي / (ص : ٥٨٦)
(٦) [الحج : ٦٥]

الأرض التي جعلها الله فراشاً فيها الجبال والحيوانات والمخلوقات فيها النباتات من الذي فرشها ؟

سئل أعرابي: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبَعْرَة تدل على البعير، فسماء ذات أبراجٍ وأرضٌ ذات فجاج وبحارٌ ذات أمواج ألا تدل على السميع البصير؟ (١)

لذلك قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾(٢)

وَمِنْ آيَاتِهِ الدالة على كمال قدرته و وحدانيته ونفوذ مشيئته وسعة سلطانه ورحمته بعباده :

الليل: منفعته فيه سكون الخلق وتهدأ فقد جعل الليل لباس وسكون ليسكن العباد . وجعل النهار ضياء فيه منافع والناس يخرجون وينتفعون من أعمالهم ثم يعودون إلى بيوتهم . فهذه آية من آيات الله فلو لم يأتي الصباح وما أشرقت الشمس أو العكس بإن جعل الليل سرمداَ كيف سيكون حالنا ؟ .

هل حصل هذا في الأمم الماضية أو في زمننا ؟

ماهو هذا الإتقان الذي يحصل في هذا الكون ؟

من يمسك طرف العين ؟

إنها آيات القدرة وآيات العظمة .

في الأنفس وفي الآفاق وفي الخلق وفي نبض القلب وفي تحريك طرف العين، وفي نبض القلب وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

﴿**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ**﴾ فإنهما مدبران مسخران مخلوقان لا يستحقان أن يسجد لهما .

---

(١) انظر شرح العقيدة السفارينية لمحمد بن صالح بن عثيمين – ص٤٥

(٢) [افصلت : ٣٧]

فمن الناس من عبد الشمس والقمر وعبدوا الكواكب لذلك نبه الله سبحانه فقال : ﴿**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ**﴾.

﴿**لِلَّهِ**﴾ اختصاص لله فالسجود لله والعبادة لله جل وعلا لا تكون لغيره ، فإنهما ولو كبر حجمهما فإن ذلك ليس منهما وإنما من خالقها ﴿**إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾[1] إن كنتم تعبدون الله وإن كنتم موحدين فلا تعبدوا إلا الله واخلصوا له العبادة واخلصوا له الدين .

الدليل الثاني : " ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾"[2]

يقول تعالى مبينا أنه الرب المعبود وحده لا شريك له : ـ

﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ وما فيهما على عظمهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما ﴿**فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما وأودع فيهما من أمره ما أودع ﴿**اسْتَوَى**﴾ تبارك وتعالى ﴿**عَلَى الْعَرْشِ**﴾ العظيم الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية " [3].

والعرش لغة : سرير الملك [4] . وقال الأزهري: "والعرش في كلام العرب: سرير الملك، يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله جل وعز

---

(١) [فصلت : ٣٧]

(٢) [الأعراف: ٥٤].

(٣) تيسر الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان للإمام عبد الرحمن السعدي (ص : ٢٦٩) الطبعة ١٤٢٤هـ

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٦٤/٤).

عرشاً فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

قال الطبري ﴿ذُو العَرْشِ﴾ يقول: "ذو السرير المحيط بما دونه"(٢).

العرش اصطلاحاً : قال ابن كثير: "هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات" (٣) .

وقال القرطبي : "والعرش مخلوق عظيم شريف كريم ليس فوقه مخلوق"(٤)، وقال ابن كثير : " العرش العظيم، له قوائِمُ عِظامٍ، تحمِلُه الملائكة الكرام" (٥).

صفة العرش : ـ

عرش عظيم، وتحمله ثمانية من الملائكة لهم عظمة في الخلق وهم والكروبيون " الملائكة المقربون حول العرش .

قال تعالى :﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾(٦) ، روى أبو داود عن جابر بن عبد الله م أن رسول الله ﷺ قال: «أُذن لي أن أُحدِّث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» (٧).

وهذه عقيدة السنة والجماعة اثبات الاستواء لله جلا وعلا .

فهو في العلو مستوٍ على عرشه.

---

(١) [النمل: ٢٣] ، انظر: تهذيب اللغة (٤١٣/١).
(٢) تفسير الطبري (٣٧/٢٤-٣٨).
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١/ ١٢) .
(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي عبد الله القرطبي (ص١٥٧-١٥٨) .
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (ج١ ص٣).
(٦) [الحاقة : ١٧]
(٧) رواه أبوداود برقم (٤٧٢٧) .

فالاستواء صفة لله تعالى نثبت الاستواء لله تعالى ، جاء عن السلف في تفسير الاستواء بأربعة معاني هي: العلو ، الاستقرار، الصعود ، الارتفاع[١] ، وقد ذكر في سبع مواضع من كتاب الله تعالى[٢] .

ونثبت العرش وهو مخلوق ومن أعظم المخلوقات ، وهو محل استواء الرب سبحانه وتعالى .

﴿**يُغْشِى اللَّيْلَ** ﴾ المظلم ﴿**النَّهَارَ**﴾ المضيء، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، وتأوى المخلوقات إلى مساكنها، ويستريحون من التعب، والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار .

﴿ **يَطْلُبُهُ حَثِيثًا** ﴾ كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما جاء النهار ذهب الليل، وهكذا أبدا على الدوام، حتى يطوي اللهّ هذا العالم، وينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار . [٣]

كم يوم مر على الإنسان كم ليل وكم نهار مر عليك أيها الإنسان . بسرعة .

فهذه الآيات تزيد الإيمان في قلوبنا ونحب الله جل وعلا الذي أعطانا كل هذه العطايا والهبات ، أطعمنا وسقانا ورزقنا وأوانا وأكرمنا ومتعنا بهذه المناظر وبسط لنا الأرض وأنزل المطر وأنبت لنا النبات .

ـ كيف نشكره وكيف نعبده حق عبادته سبحانه وتعالى ؟

﴿**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**﴾ أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ما له من أوصاف الكمال، فخلْقُها وعظَمُها دالٌّ على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من

(١) انظر: شرح مذكرة شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ص ٣٧.

(٢) في سورة الأعراف ، ويونس ، والرعد، وطه، والفرقان، وتنزيل السجدة، والحديد.

(٣) تيسر الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان للإمام عبد الرحمن السعدي (ص : ٢٦٩) الطبعة ١٤٢٤هـ

المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له .

﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** ﴾ أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء .

﴿ **تَبَارَكَ اللَّهُ** ﴾ أي: عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: ﴿**تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[1].

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ معنى الحنفية وأنها ملة إبراهيم عليه السلام .

ـ معنى التوحيد وأنواعه .

ـ معنى الشرك وأنواعه .

ـ أمثلة على كل نوع من أنواع الشرك .

ـ تعريف العبادة .

ـ تعريف معنى الدعاء .

ـ بيان أقسام الدعاء .

ـ بيان أنواع الشرك الأكبر .

ـ معنى الشفاعة وأقسامها .

ـ معنى الشرك الأصغر وأقسامه .

---

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان للإمام عبد الرحمن السعدي (ص : ٢٦٩) الطبعة ١٤٢٤هـ

ـ الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر .

ـ أدلة ربوبية الله تعالى، وبراهين التوحيد .

ـ معنى الاستواء وإثبات صفة الاستواء لله تعالى على ما يليق بعظمته وجلاله.

ـ معنى العرش وصفته .

المتن

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَآء بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (١)

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ : الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الشرح

اثبات الربوبية لله تعالى الخالق للسماوات السبع والاراضين وما بينهما لاشك أنه هو المعبود الذي يستحق العبادة " الرب المعبود " هي خلاصة هذا كله فإنك إذا أيقنت أنه ربٌ عظيمٌ خالقٌ مدبرٌ ستخرج بالنتيجة العظيمة وهي أنه المعبود ليس لنا معبود سواه . وكيف نعبد سواه وهو المستحق للعبادة وما سواه فهو مربوب ضعيف لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وجاء هذا في الآية العظيمة في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَآء بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢)

جاء بهذه الآية التي فيها من دلائل ، دلائل عظمة الله وبدئها بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ هذا أمر عام لكل الناس، وهو العبادة الجامعة، لامتثال

---

(١) [البقرة: ٢١، ٢٢].
(٢) [البقرة: ٢١، ٢٢] .

أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ .

ثم استدل على وجوب عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشا تستقرون عليها، وتنتفعون بالأبنية، والزراعة، والحراثة، وجعل لكم فيها سبلا من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس، والقمر، والنجوم.

﴿**وَأَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**﴾ والسماء: هو كل ما علا فوقك فهو سماء، ولهذا قال المفسرون: المراد بالسماء هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء، ﴿**فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾ كالحبوب، والثمار، من نخيل، وفواكه، [وزروع] وغيرها ﴿**رِزْقًا لَكُمْ**﴾ به ترتزقون، وتقوتون وتعيشون وتفكهون.

﴿**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾ أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون، ﴿**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه.

وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو [ذكر] توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن [الله]

لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فمن أتى بالعبادة كاملة، كان من المتقين، ومن كان من المتقين، حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه . (١)

هل تذكرنا هذه النعمة ؟

هل في يوم من الأيام قلنا اللهم لك الحمد أن جعلتنا في أرض مبسوطة استطيع الذهاب للعمل والمدرسة والمسجد بسهولة ، هل فكرنا في هذه النعمة ؟

من يستطيع أن يخرج شجرة من غير بذرة وزراعة وسقيا؟! .

لا إله إلا الله خالق كل شيء .

هذه آيات ربوبيته وآيات عظمته . وآيات قدرته جل وعلا .

﴿وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾

آيات عظيمة سماء وبناء وينزل من السماء ماء ويخرج من الأرض ثمرات كلها آيات قدرته وعظمته

جل وعلا ﴿وَالسَّمَاء بِنَاء﴾ سقف محفوظ مزين بالمصابيح وبالعلامات التي نهادي بها في ظلمات البر والبحر ، أرض تقلنا وسماء تظلنا هذه السماء من فوقنا من الذي يمسكها .

أين الأعمدة ؟

أين الأبنية ؟

أين الجسور الذي يمسك هذا البناء ؟

إنه الله عزوجل الذي يمسكها بقدرته وعظمته .

---

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي / (ص : ٣٢)

وتأمل نزول المطر من أين ينزل المطر ؟

الرياح التي تحمل سحب وقد امتلئت بالمياه ثم يأذن الله لها أن تنزل بوقت محدد وبنسبة معينة .

فهذه آية من آيات عظمة الله .

ونظراً لكثرة رؤية هذه الآيات يكون القلب عليه ران ولا يتفكر بآيات الله عزوجل .

حبات المطر تنزل حبة حبة .

الماء مستحيل يكون نقطة نقطة إلا في منخل مثلاً

فكيف المطر ينزل كل نقطة لوحدها .

إنها آيات وعظمة الله جل وعلا .

السماء محفوظة لا يوجد بها شقوق ولا خروق .

لذلك الله لفت الأنظار إلى هذه السماء وأمر النظر إلى السماء

هل فيها اختلاف هل فيها فطور ؟

هل فيها تشقق ؟

اذا نزل المطر لا ينزل نزول عادي . وانا ينبغي توجيه الناس إلى عظمة الله عزوجل .

من يستطيع انزال المطر ؟

إذا جفت الأرض واجدبت كاد الناس أن يموتوا من العطش أغاثهم الله بهذا الغيث .

ماهو الماء ؟

آية الماء من يستطيع أن يخلق لك قطرة ماء ؟

لو اجتمعت الأمة كلها على أن تخلق قطرة ماء لا تستطيع .

كيف سنعيش إذا انتهت المياه من الأرض ؟!

فالماء هو أساس الحياة قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾(١).

فإننا في ضعف لا يعلمه إلا الله وبحاجة إلى الله في كل طرفة عين ونبضة عرق .

ربنا رزقنا وسترنا وأعطانا وأغدق علينا بناء لنا السماء وبسط لنا الأرض وأخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيء شق لنا الابصار والأسماع . اطعمنا سقانا ، خلق لنا الأجهزة في أجسامنا ، قلب ينبض ، والعقل يتفكر ويبدع والسمع يسمع والبصر يبصر واللسان ينطق والنفس يجري لا يتوقف .

كيف نشكر الله ؟

كيف نعظم الله ؟

كيف نوحد الله ؟

فاذا جادلت الملحد بهذا ولم يرجع فهذا دليل أنه مطموس على عقله لا نه مستحيل ينكر السماء والأرض والخلق والنبات والماء لا يقدر أن يقول أنها غير موجودة أو ليست مخلوقة .

من خلقها ؟ هل يعقل أن تخلق نفسها ؟

كيف تخلق نفسها ؟

كيف عدم يخلق عدم ؟

نسأل الله الإيمان والثبات.

فهذه الآية جمعت بين عبادة الله وحدة والنهي عن عبادة ما سواه .

وقد احتج الله بهذه الآية بما أقروه وعلموه من توحيد الربوبية وعلى ما أنكروه من توحيد الألوهية

---

(١) [الأنبياء: ٣٠]

فمن أقرأ بالربوبية فلابد أن يقربه بالألوهية و يوحد الله سبحانه جل وعلا، فمن عبد الله وعبد معه غيره فقد أشرك بالعبادة فالله تعالى لا يرضى بغير التوحيد فمن أشرك معه رد الله عزوجل شركه عليه ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً لأنه تعدى على جناب التوحيد وتعدى على جناب الربوبية بنسبة العبودية لغير الله وصرف العبادة لغيره جل وعلا .

(**قال**) الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر (**بن كثير**) صاحب التفسير رحمه الله وأسكنه جناته

(**الخالق**) الذي أوجد (**هذه الأشياء**) من العدم ، من خلق الإنسان والأرض والسماء، وما فيهما من الخيرات والثمار (**هو المستحق للعبادة**)أ.هـ[١]

وغيره مخلوق ضعيف لا يستحقها قال سبحانه:ـ

﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾[٢]

ـ كيف نعبد الله ؟

وهذا السؤال مهم ويجب أن يكون هدف لكل مسلم ومسلمة

كيف نقوم بما يرضي الله عزوجل ؟

ولهذا عقب المؤلف بذكر أنواع العبادة .

---

(١) تفسير ابن كثير / (١ / ٨٨)

(٢) [فاطر : ١٣ . ١٤]

المتن

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه : الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى) ، والدليل قوله تعالى :﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر) والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ وفي الحديث " الدعاء مخ العبادة " والدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

الشرح

أنواع العبادة التي ذكرها المؤلف رحمه الله

الإسلام ، الإيمان ، الإحسان . هذه الثالثة تسمى مراتب الدين . وكل مرتبة لها أركان .

أعلى مرتبة الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام .

أول مرتبة الإسلام .

ـ الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان

الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ .

وأول شيء يتحقق في الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ.

الإيمان لغة: التصديق

الإيمان اصطلاحاً :ـ

قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح .

وإقامة الأركان الخمسة وهي :ـ

شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، و صوم رمضان ، و الحج .

والإيمان هو الأفعال الباطنة وأركانه ستة هي:

الإيمان بالله، و ملائكته ، و كتبه ، ورسله، و اليوم الآخر، والقدر خيره وشره .

أما الإحسان: الإحسانُ (أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يَراك) ، فالإحسان يجمع الإيمان والإسلام ، بحيث يكون الشخص وصل إلى درجة عالية من الإيمان وامتلأ قلبه من خوف الله عزوجل ومراقبته .

ـ المؤلف رحمه الله يذكرنا بمسائل مهمة حتى يعرف المسلم دينه فكيف يعرف الإنسان دينة وهو لا يعرف الإسلام ولا الإيمان ولا الإحسان.

ويجب أن نتنبه إلى هذه الضوابط المهمة في العبادة وأنها لا تقبل إلا مع التوحيد فمن صرف شيء منها لغير الله فهو مشرك كافر.

قال تعالى : ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾

فالمساجد لها معنين :ـ

ـ قيل المساجد لله والمراد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة .

وقيل : المساجد هي الصلوات ؛ أي لأن السجود لله . (١)

﴿**فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾ لا تعبدوا مع الله أحد ولا تسجدوا لغيره.

---

(١) تفسير القرطبي (ص : ٥٧٣)

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾

من يدعوا مع الله الهاً أخر ليس لديه دليل ، وهذا دليل على بطلان الشرك .

"من دعا مع الله آلهة غيره، بلا بينة من أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلما وعنادا، فهذا سيقدم على ربه، فيجازيه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئا، لأنه كافر﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ فكفرهم منعهم من الفلاح. (١)

والكافر هو الخارج عن ملة الإسلام .

الفرق بين الكافر والمشرك : ـ

الكفر معناه في الأصل: الجحود والستر فكل من جحد الرب وأنكر ذاته أو أفعاله أو أسماءه وصفاته

أو أنكر الرسالة أو أنكر أصلا من أصول الإيمان فهو كافر .

ومنه كفر الأعراض كأبو جهل أو اليهود ، وكفر النفاق.

الشرك فمعناه في الأصل: التسوية بين الخالق والمخلوق في شيء من خصائص الله كالألوهية والأسماء والصفات فكل من شرك بين المخلوق والخالق في فعل أو صفة ما تليق إلا بالله وصرف إلى مخلوق نوعا من أنواع العبادة فهو مشرك .

" **والفرق بين الشرك والكفر** : أن الكفر أعمُّ وهو جحد الحق وستره، فكل مشرك كافر وليس العكس، والشرك: صرف العبادة لغير الله، فمن طاف على قبر أو دعاه من دون الله فهو مشرك ، ومن استهزأ بشيء من الدين فهو كافر

(١) تفسير الامام ابن سعدي (ص : ٥٣٢) طباعة عام ١٤٢٤هـ

ولا يسمَّى مشركاً؛ لأنه لم يشرك مع الله أحداً في ذلك بل استهزاؤه كفر، وأما في الآخرة فمآل الكافر والمشرك سواء ، فكلاهما في النار خالدين فيها والعياذ بالله [١] .

قال تعالى في حق الكافر :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ ،وقال في حق المشرك : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾. [٢]

وذكر المؤلف عدداً من أنواع العبادة و تعريف العبادة :

ومعنى العبادة " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة " [٣] .

(منها الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر)

وهذه قاعدة أن أي عبادة تصرف لغير الله فصاحبها مشرك .

وبدأ بالدعاء لآنه أصل الشرك ففي الحديث « الدعاء مخُّ العبادة»، وفي الحديث « الدُّعاء هو العبادة » .

واتفق العلماء على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم فقد كفر.

ومن أكثر ما يقع فيه الشرك هو الدعاء ومنه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم . قال تعالى : ﴿وَقَالَ

---

(١) انظر شرح مسلم للنووي ، وانظر: مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ ابن باز (١٧٤/٩).
(٢) تيسر الوصول في شرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ٦٩)
(٣) مجموع فتاوى ابن تيميه (ج / ١٠) .

رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[١]

"اعبدوني " وحدوني أستجب لكم

" وهذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر عنها فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ .

أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم " [٢]

فمن دعاء غير الله سواء صرف دعاء العبادة و دعاء المسألة لغير الله فهذا شرك أكبر.

---

(١) [غافر :٦٠]

(٢) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن ابن سعدي (ص : ٧٠٧) طباعة عام ١٤٢٤هـ

المتن

دَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١] ، وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٢] وَدَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣] وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [٤] وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٥] وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾[٦] وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾[٧] الآية وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٨] وَفِي الْحَدِيثِ: «...وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[٩] و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾[١٠] وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ

(١) [آل عمران: ١٧٥].
(٢) [الكهف: ١١٠].
(٣) [المائدة: ٢٣].
(٤) [الطلاق: ٣].
(٥) [الأنبياء: ٩٠].
(٦) [البقرة: ١٥٠].
(٧) [الزمر: ٥٤].
(٨) [الفاتحة: ٥].
(٩) [الفلق: ١].
(١٠) [الناس: ١].

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ [١]، **وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**[٢].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله». ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُوْنَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٣]

الشرح

نلاحظ أن كل مسألة ذكر ها المؤلف ﷺ ذكر عليها دليل من القرآن أو السنة .

وهذا يبين منهج الإمام في اتباع الحق وتمسكه بالكتاب والسنة .

وهذا ما يجب على طالب العلم والداعية لله أن يركز في أقواله على الاستدلال بالقرآن والسنة فهما أعظم منبع وأعظم حق ينبغي توصيله للناس.

وذكر ﷺ **أنواع العبادة** " وأغلب ما ذكر من أنواع العبادة " العبادات القلبية ؛ لأنها إذا صلحت القلوب صلح كل شيء ، ولأن عليها مدار الدين، ومدار صلاح الأعمال الظاهرة فإذا صلحت الأعمال الباطنية صلحت بناءً عليها الأعمال الظاهرة ، والعكس إذا فسد الباطن فسد الظاهر كما في حال

---

(١) [الأنفال: ٩].
(٢) [الأنعام: ١٦١-١٦٣].
(٣) [الإنسان: ٧].

المنافقين الذين فسدت قلوبهم وعقائدهم فلم يقبل الله أعمالهم الظاهرة ، بل إنهم في الدرك الأسفل من النار .

قال ابن تيمية رحمه الله : ـ " فإن ما في القلب من معرفة الله ومحبته وخشيته، وإخلاص الدين له، وخوفه ورجائه، والتصديق بأخباره، وغير ذلك مما يتباين الناس فيه، ويتفاضلون تفاضلا عظيما ... "[١].

فالناس تتفاضل بأعمال القلوب .

يرى ظاهرهم واحد لكن بينهم كما بين السماء والأرض

اثنين يصلون مع بعض في المسجد وبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض.

الحركات واحدة لكن القلوب تتفاوت .

لهذا المؤلف رحمه الله ذكر جملة من أعمال القلوب منها : ـ

الخوف .

الخوف من أجل العبادات القلبية .

أركان العبودية ثلاثة :

المحبة .

الرجاء .

الخوف .

الخوف:-

هو تألم القلب وحركته بسبب توقع مكروه في المستقبل"[٢]

كرجل يخاف من عدو أو الخوف من مجاعة .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيميه : ٢٢/ ٦٠٧

(٢) مدارج السالكين (١ / ٥١٣) بلغة السالك لأقرب المسالك الصاوي (٤ / ٤٣٨)

فينبغي للعبد الخوف من الله بقدر ما يحجزه عن محارم الله، وعن الكبائر وعن ما يغضب الله ، لكن لا يصل به الخوف إلى القنوط من رحمة الله .

ودليل الخوف قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١].

﴿ **فَلاَ تَخَافُوهُمْ**﴾ فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه المستجيبين لدعوته.

وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله. " [٢]

فالخوف عبادة قلبية وهي ركن من أركان العبودية فمن صرفها لغير الله فقد كفر .

الخوف ينقسم إلى ثلاثة أنواع : ـ

الأول :خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾[٣]

لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤]

والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محموداً.

---

(١) [آل عمران: ١٧٥].

(٢) تفسير الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي (ص :١٤٠) الطباعة عام ١٤٢٤هـ

(٣) [القصص: ١٨]

(٤) [آل عمران:١٧٥]

فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه. وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.

الثاني : خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

الثالث : خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً من الشرك. " [١]

الرجاء: "حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب. وهو الله والدار الآخرة. ويطيب لها السير ، وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى. والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى.

والفرق بينه وبين التمني أن التمني يكون مع الكسل. ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد. و" الرجاء " يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. [٢]

كشخص يتمنى حفظ القرآن وهو لم يذهب للحلقة ولم يبذل جهد فقط أماني و يتمنى العلم وهو لم يطلبه وهذا تمنى .

أما الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل .

والرجاء هو الحادي للأعمال .

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين (ص : ٥٧)

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (ج ٢ ص ٣١)

قال ابن القيم رحمه الله : " لولا روح الرجاء ، لعطلت عبودية القلب والجوارح وهدِّمت صوامعٌ وبيعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً " [١].

فهو مع الخوف ميزان يكون في القلب الخوف والرجاء فكلما غلب الخوف جاء الرجاء وهكذا .

أنواع الرجاء كما ذكر ابن القيم رحمه الله : ـ

" والرجاء ثلاثة أنواع نوعان محمودان ، ونوع غرور مذموم .

فالأولان : رجاء رجل عمل بطاعة الله، على نور من الله، فهو راج لثوابه ، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه .

والثالث : رجل متماد في التفريط والخطايا ، يرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب " [٢].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٣]

أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للكفار وغيرهم: ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾ أي: لست بإله، ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب، ولا عندي خزائن الله، ﴿**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾ عبد من عبيد ربي، ﴿**يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ أي: فضلت عليكم بالوحي، الذي يوحيه الله إلي، الذي أجله الإخبار لكم: أنما إلهكم إله واحد، أي: لا شريك له، ولا أحد يستحق من العبادة مثقال ذرة غيره، وأدعوكم إلى العمل الذي يقربكم منه، وينيلكم ثوابه، ويدفع عنكم عقابه. ولهذا قال: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا** ﴾ وهو

---

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٢).
(٢) مدارج السالكين (٢ / ٣٦) .
(٣) [الكهف: ١١٠].

الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، ﴿**وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه" . (١)

التوكل: هو صدق اعتماد القلب على اللهّ تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة " (٢)

وقال الجرجاني رحمه الله: ـ

التوكل هو الثقة بما عند اللهّ، واليأس عما في أيدي الناس " (٣)

قال سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب رحمه الله : "

" التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى ، لأنه من أفضل العبادات وأعلى مقامات التوحيد بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين ، كما في صفة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن ، أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة ، بل جعله شرطاً في الإيمان والإسلام، ومفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه " (٤)

وقد كثر سبحانه وتعالى الآيات التي يأمرنا الله عزوجل بالإيمان به والتوكل عليه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٥)

قال تعالى : ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (٦)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص : ٤٩٠)
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٠٩)
(٣) التعريفات (٧٤)
(٤) تيسر العزيز الحميد (ص : ٤١٧)
(٥) [آل عمران : ١٥٩]
(٦) [يونس : ٨٤]

والتوكل على الله نوعان:ـ

الأول: توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

الثاني: توكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه [١].

والمؤمن لـه مع التوكل حالتان: ـ

الأولى: توكل اضطرار وإلجاء حين تنقطع الأسباب وينغلق الفرج وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة.

الثاني: توكل اختيار مع وجود الأسباب فهنا لـه مع الأسباب ثلاثة أحوال:

الأول: أن يكون السبب مشروعاً ومندوباً إليه فهنا يذم تاركه كمن يرجو حصول الولد دون أن ينكح.

الثاني: أن يكون السبب محرماً، ففي هذه الحالة لا تحل مباشرته ولا تعافيه، ويبقى التوكل هو السبب، وهو من أقوى الأسباب على الإطلاق.

الثالث: أن يكون السبب مباحاً فينظر في السبب حينئذ فإن كان يضعف التوكل أم لا.

فإن أضعفه وكان سبباً في تفرق الهمَّ وتشتته فيتعين تركه، بل يكون من الأولى تركه، أما إن لم يضعفه فمباشرته أولى.

وهذا كله عبودية لله تعالى لأن التوكل عبودية القلب، ومباشرة الأسباب عبودية الجوارح، والتوكل لا يكون إلا مع العبادة فلا يأتي منفرداً [٢].

---

(١) الفوائد، ص ١١٢، وانظر التحفة العراقية ص١٣، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية، الجزء الثاني.

(٢) انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ١٠-١٨، مجموع الفتاوى، (٥٢٧/٨)، وفتح القدير للشوكاني، (٢٤٢/٣)، التحفة العراقية ضمن الرسائل المنيرية، (١٣/٢)، الشرك في القديم والحديث، (١١٠٩/٢)، مكايد الشيطان د . قذلة القحطاني (ص : ٩٣٤ . ٩٣٥)

قال ابن القيم رحمه الله : " التوكل على الله نوعان : ـ

أحدهما : توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية ، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

والثاني : التوكل عليه في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه . [١]

وهذا النوع هو توكل الأنبياء والرسل .

الفرق بين النوعين : ـ

الأول توكل على الله في جمع منافع دنيوية وحظوظ دنيوية وهذا أساس ولا بأس به ، فقد كان السلف يسألون الله حتى الملح في الطعام ، كانوا منقطعين لله في كل شيء وهذه هي حقيقة التوكل .

فيمتلئ القلب بإنه لا أحد يستطيع أن يمنع عنك رزقك ولا أحد يستطيع منع الخير الذي كتبه الله لك ، فتتوكل على الله فاعلاً للأسباب ومعتقد أن الله هو الذي يسير ويسخر كل شيء .

ـ أما النوع الثاني : ـ

فتتوكل على الله في حصول مطالب عالية يحبها الله من الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله، ونشر العلم النافع ، ونصر دينه ، وإعلاء كلمته تعالى.

والإنسان إذا صدق مع الله وتوكل على الله بصدق وإخلاص سيعطيه الله مالا يخطر على بال [٢] ، وهذه هي حقيقة التوكل .

---

(١) الفوائد (ص : ١٦٣)

(٢) وأكبر مثال الشيخ الذي نقرأ كتابه ونتدارس كتابه " الامام محمد بن عبد الوهاب " عاش وضع صعب في جزيرة العرب وفيه شركيات وأذي كثيراً وأخرج من بلده ولكنه كان متوكل على الله صادقاً مخلصاً " نحسبه والله حسيبه " فانتشرت دعوته وبلغة الآفاق واستجاب الناس وألف كتب صغيرة كتبها بخط يده لم يكن هناك مطابع وانتشرت هذه الكتب وحفظها ألوف الطلاب وهانحن اليوم نتدارس كتبه، وولد الإمام عام ١١١٥ هـ ونحن الآن بعام ١٤٤٤هـ حوالي ٢٣٢ منذ مات رحمه الله .

مثال: إبراهيم عليه السلام لما أمره الله أن يؤذن بالناس بالحج قال تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾. (١)

هل كان معه قنوات أو مكبرات و إعلام .

لكن الله أمره أن يؤذن بالناس بصوته ويبني البيت الحرام .

نلاحظ كل سنة كم يحج لهذا البيت ؟

ملا يين تستجيب لهذا النداء وتأتي لهذا المكان المقدس .

تهوى إليه أفئدة الناس .

أليست هذه آية من آيات الله عزوجل .

أنها آيات التوكل على الله بحصول ما يحبه ويرضاه جل وعلا

ـ ومن حقيقة التوكل أن يمتلي القلب بالله والاعتماد على الله اعتماداً عظيماً ولا يصرف القلب إلا له سبحانه وتعالى .

ودليل التوكل قال تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٢).

على الله توكلوا أي فوضوا أموركم إلى الله

﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ هذا شرط لانكم أذا لم تكونوا مؤمنين لن تتوكلوا على الله .

قال ابن القيم رحمه الله :ـ

" المعلق على الشرط يعدم عند عدمه، وهذا يدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل ، فمن لا توكل له لا إيمان له قال الله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ

(١) [الحج : ٢٧]
(٢) [المائدة : ٢٣]

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١]وقال تعالى : وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٣].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[٤] وكافيه .

قال ابن القيم رحمه الله :ـ

" ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش ، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً ، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر

إيذاء ، وفي الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه ، وبين الضر الذي يتشفى به منه"[٥].

ومن كان الله كافيه تيسرت أموره ولم يطمع فيه أحد [٦].

لماذا ذكر المؤلف رحمه الله التوكل ؟

لأن كثير من الناس يتوكلون على المعبودات يتوكل على الولي ويتمسح به ويقدم له النذور يرجو أنه يشفيه ويعطيه وتزيل عنه العوائق التي تعيق أموره.

هكذا يفعلون مع الكهان ومع السحرة يتوكلون عليهم فيصرفون هذه العبادة العظيمة لغير الله فيكلهم الله لمن ذهبوا إليه .

---

(١) [المائدة : ٢٣]
(٢) [المجادلة:١٠]
(٣) مدارج السالكين ٢ / ١٢٩. [الأنفال:٢]
(٤) [الطلاق:٣]
(٥) بدائع الفوائد (٢ / ٤٦٥)
(٦) تيسر الوصول شرح الأصول د عبد المحسن القاسم (ص : ٨٩)

والناس بالتوكل تتفاوت ، فمنهم من يكون في أعلى درجات التوكل، ومنهم دون ذلك، ومنهم من ليس في قلبه شيء ، نسأل الله العافية .

وحقيقة ذلك أن يمتلئ القلب بالإيمان . إذا زاد التوكل زاد الإيمان.

ارفع نسبة الإيمان في القلب تزيد نسبة التوكل على الله عزوجل .

قال ابن القيم رحمه الله : " التوكل محله الأسباب، وكماله بالتوكل على الله، وهذا كتوكل الحرَّاث الذي شق الأرض وألقى فيها البذر ، فتوكل على الله في زرعه وإنباته ، فهذا قد أعطى التوكل حقه " (١).

فاعلم انك اذا بذلت الأسباب تنتظر فرج الله والله معك وناصرك.

علاقة التوكل بالتوحيد:-

وهو يدور على ثلاثة أنواع:-

-الأول :-التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني : - توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فرق بين أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدوا لله تعالى.

الثالث : - التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه.

أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع فقد قال يعقوب

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢ / ٣٦٤ .

لبنيه ﴿يَابَنِيّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾[١] ووكل النبي ﷺ، على الصدفة عمالاً وحفاظاً، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن ابي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقى من المئة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة " [٢]

(١) [يوسف: ٨٧]
(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين طباعة عام ١٤٢٦هـ (ص : ٥٩)

المتن

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[١]

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾[٢]

الشرح

الرغبة والرهبة والخشوع كلمات لكل كلمة معنى

الرغبة التي هي: سفر القلب في طلب المرغوب فيه.

الرهبة: فهي الإمعان في الهرب من المكروه [٣].

هما عبودتان عظيمتان للقلب ولا تقوم إلا على ساق من الصبر والعبودية.

الفرق بين الرغبة والرجاء : ـ

الرجاء : طمع والرغبة طلب .

فمن طمع في دخول الجنة فطمعه يسمى رجاء .

ومن طلب الجنة بالعمل الصالح يسمى رغبة .

فكل رغبة رجاء .

فإذا رجاء الشيء طلبه .

قال ابن القيم رحمه الله :

" والفرق بين الرغبة والرجاء : أن الرجاء طمع ، والرغبة طلب ، فهي ثمرة الرجاء ، فإنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف"[٤]

---

(١) [الأنبياء: ٩٠].

(٢) [البقرة: ١٥٠].

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (ج / ١ ص ٤١٠) طباعة ١٤٢٦هـ

(٤) مدارج السالكين ٢ / ٥٥ .

فاذا اشتد الرجاء وهو الطمع فيما عند الله يأتي الطلب وهو الرغبة.

فالله عزوجل خاطب نبية ﷺ وقال : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[١]

فالرغبة عبادة وخص بها نبينا محمد ﷺ .

أما الخشوع: هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، والجمعية عليه.

وقيل: الخشوع الانقياد للحق، وهذا من موجبات الخشوع. " [٢]

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

"والخشوع: الخضوع لله تعالى، والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح"[٣] .

وقال ابن القيم رحمه الله:

" الخشوع محلـه القلب، وثمرته على الجوارح وهي تظهره " [٤] .

وكلما خشع القلب لله، كان أكمل له عبودية وأكمل الخلق عبودية، أكملهم ذلاً لله وانقياداً وطاعة "[٥].

وهذه معاني عظيمة ولهذا وصف بها الخلص من عبادة لأنهم يدعون الله رغباً ورهباً مع الخشوع له عزوجل﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٦]

---

(١) [الشرح :٧ . ٨]

(٢) مدارج السالكين (ج / ١ ص : ٤١٧) طباعة عام ١٤٢٦هـ

(٣) الفتاوى ٢٨ / ٣١ .

(٤) مدارج السالكين (١/٥٢١) .

(٥) مفتاح دار السعادة (٢/٣٠٠)

(٦) [الأنبياء : ٩٠]

وصف الله نبيه زكريا وابنه يحي وأنه أصلح له بيته كما قال تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾، فهذه أسس صلاح البيت ، وأسس صلاح الحياة الزوجية ، فإذا امتلأ البيت بطاعة الله وفي الرجاء بما عنده وفي السعي فيما يأمر الله به عباده.

كان الخشوع لله والطمع بما عند الله والتذلل بين يديه فكان سبب صلاح هذا البيت العظيم الذي هو بيت أنبياء ورسل وهما زكريا وابنه يحي الذي كان من أنبياء بني إسرائيل، وزوجته الصالحة خالة مريم، ووصفهم الله بأنهم يدعونه رغباً ورهباً مع الخشوع فهم يدعون الله طمعاً في ثوابه ورغباً فيما عنده مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم ، وكانوا لنا خاشعين ، عليهم صلوات الله وسلامه .

الرغبة: هي طلب الوصول إلى الشيء

الرهبة: الخوف والفزع المثمر للهرب من المخوف .

فمن خاف الله هرب إليه، ومن خاف الله هرب من كل شيء يغضبه.

فالرغبة والرهبة هما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوحيد .

قال ابن القيم رحمه الله: " إذا أراد بعبده خيراً، وفقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه ، فإنهما مادتا التوفيق ، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق "[1] .

" قل تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

(١) شفاء العليل ص ٢٢٦ .

﴿يُسَارِعُونَ﴾ يسابقون كانوا في سباق مع الله جل وعلا ، وهذا وصف الأنبياء والصالحين يسابقون

﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ " الخيرات " المراد فيها الطاعات وعمل القربات

﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ أي يدعون الله وحده لا يدعون معه أحد.

رغباً فيما عند الله من الثواب، ورهباً و خوفاً من العقاب.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ خاضعين متذللين لله وذلك لكمال معرفتهم بربهم .

فهذه الأنواع من العبادة هي أجل أنواع العبادات ، فمن صرف منها شيء لغير الله فهو مشرك .

وللأسف نرى الخشوع عند القبور والذل والرغبة، وهي أضرحة وموتى قد أرموا وصاروا تراباً، ومع ذلك تجدهم عند قبره خاضعين خاشعين خائفين طامعين، وهذا من أعظم أنواع الشرك الأكبر فمن رجا قبراً أو ميتاً أو ولياً فرغب منه أو رهب منه أو خشع له وذل له ، فقد وقع في الشرك الأكبر* .

---

* والسبب في قلوبهم من الخوف منهم . والرغبة بما عندهم والرهبة منهم ، فنتج عن هذا أنهم أصبحوا يخافونهم خوف السر ويرجونهم رجاء السر ويتوكلون عليهم توكل السر ، ولهذا عظم خطر هذه الأمور وسرت كسريان الهشيم في النار عندما غفل الناس عن دراسة التوحيد وتوارثتها الأجيال كلما جاء جيل وجد أمامه هناك ضريح يعبد .

الطفل الصغير يدخل المسجد فيجد أن هناك ضريح يزورونه ويطلبون منه ويتمسحون به ويتبركون به ويأخذون الطفل الصغير ليمسح هذا المكان وهذه الستور وهذه الأضرحة ويرى أن فيها بركة والطفل ينشأ على هذا .

وهذا دور أهل العلم في تصحيح الشركيات التي أفسدت عقائد الأئمة أزمنة ودهور طويلة، وأصبحت الناس ترى أن هذا هو الحق لأنه خفي التوحيد ، وغابت الدروس وقل العلم الشرعي والناس يقرءون القران ولا يفقهون ما فيه ولا يعرفون ما يراد به ، يرددونه بدون معرفة وبدون فهم.

أين معالم الربوبية في صنم من صخر ينحتونه ثم يجعلونه على شكل صنم ثم يعبدونه ويتوسلون إليه ويطلبون منه الرزق . وهي صخرة لا تملك لنفسها نفعا ولا ضراً ؟ أو في قبر وتراب يزعمون أن فيه ولياً يقدر على نفعهم وضرهم وهو لا يملك لنفسه حولاً والقوة!!

قال: **وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾**

الخشية : أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله .

قال الله تعالى ﴿إِنَّما يَخْشى اللَّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ﴾[١]

فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي ﷺ : « إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية».

فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون [٢].

فالخشية : " هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه"[٣].

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٤]

فدل على أن العلماء هم الذين يعرفون الله تعالى فلما عرفوا عبدوه بالخشية

فخشيته سبحانه مقرونة بمعرفته وعلى قدر المعرفة تكون الخشية فالخشية عبادة عظيمة .

فالخشية متضمنة للرجاء ، ولولا ذلك لكانت قنوط بالله ، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولو لا ذلك لكان أمن من مكر الله، فأهل الرجاء لله وأهل العلم بالله الذين مدحهم الله عزوجل ، والخشية عبادة عظيمة لا تصرف إلا لله تعالى .

قال تعالى :﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٥].

أي العلماء بعظمته وكمال سلطانة فهم أهل خشيته جل وعلا .

---

(١) [فاطر: ٢٨]

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (ج / ١ ص : ٤١١)

(٣) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين (ص : ٦٠)

(٤) [فاطر:٢٨]

(٥) [فاطر:٢٨]

الخشية درجة أعلى من الخوف ، مثال ذكره الشيخ ابن عثيمين ﷺ للتفريق بين الخوف والخشية :"إذا خفت من شخص لا تدري هل قادر عليك أم لا فهذا خوف ، أما إذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه الخشية".(١)

أقسام أحكام الخشية هي أقسام أحكام الخوف

فالخشية عبادة عظيمة لا تصرف إلا لله فمن خشى معبوداً أو شخصاً أي خاف منه خوف مع يقينه أنه قادر عليه فهذا خوف يوقع العبد في الشرك .

والدليل على أنها عبادة قوله تعالى : ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى...﴾(٢)

والخشية عبادة لا تصرف إلا لله ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِى...﴾(٣)

أي : لا تخشوا شبه الظلمة المتعنتين ، وأفردوا الخشية لي ، فإنه تعالى هو أهل أن يخشى منه.(٤)

قال ابن القيم ﷺ :

" ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته ، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه الوصل " (٥) .

ومن خشي ربه رزقه الله حياة القلب من المواعظ والعبر قال سبحانه : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾(٦).

وقال سبحانه : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ (٧) (٨).

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص : ٦١)
(٢) الآية [البقرة: ١٥٠].
(٣) الآية [البقرة: ١٥٠].
(٤) المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير للمباركفوري الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ
(٥) عدة الصابرين ص ٤٨.
(٦) [الأعلى:١٠]
(٧) [النازعات :٢٦]
(٨) تيسر الوصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ٩٥)

الخشية خوف من الله ولكن يعقبه علم بالله ، فلو عصيت الله وأنت معظم لله سيكون أثر المعصية في قلبك أشد وأشد .

وهذا اختبار للخشية في القلب .

فإذا أردت معرفة الخشية في القلب فاختبر نفسك في وقت المعصية.

إذا أذنبت أو عصيت الله كيف وقع الذنب بالقلب ؟

إذا كان وقعه بسيط فاعرف أن الخشية في القلب ضعيفة .

قد يكون في القلب خوف لكن ما فيه خشية .

لكن متى استشعرت عندما وقعت في الذنب أنك خائف من الله وفي القلب وجل وفيه خوف وفيه حزن على هذه المعصية التي وقعت منك أو هذا التفريط ، فاعلم أن في القلب خشية .

مثال الذي يحافظ على النوافل والعبادات والأوراد فهو في درجة عالية من العبودية فإذا قصر ؟ فمثلاً فاتته يوم من الأيام صلاة الضحى فيجد في نفسه خوفاً وحزناً حتى على النوافل لأن قلبه امتلاء بالخشية من الله وحياء من الله أن يفرط وأن يقصر، فكيف إذا وقعت منه معصية كيف يكون حالة ؟

ولهذا نبينا عليه الصلاة والسلام وهو أكمل من خشي الله وأكمل من عبد الله . قام حتى تفطرت قدميه عليه الصلاة والسلام .

فالعلماء هم الذين يخشون الله لانهم عرفوا الله .

روي الحارث بن سويد قال عبدُ الله ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه :" إنَّ المؤمنَ يرَى ذنوبَه كأنه في أصلِ جبلٍ يخافُ أنْ يقعَ عليه وإنَّ الفاجرَ يرَى ذنوبَه كذبابٍ وقع على أنفِه قال به هكذا ، فطار " .(١)

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٨) باختلاف يسير، والترمذي (٢٤٩٧)، وأحمد (٣٦٢٩) واللفظ لهما.

فالمفرط لا يبالي يقع في المحرمات والمعاصي وإذا نبه قال : " الله غفور رحيم " وهو يتمادى بإن خوف الله قليل في قلبه . فما عصي الله إلا بالجهل . فمن عصى الله فهو جاهل بالله ومن عرف الله استحى من الله أن يعصيه أو أن يفرط في جنب الله جل وعلا ، قال تعالى : ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾[١]

لا تخشوا مخلوقاً ، لا تخشوا صنم ، لا تخشوا من ادعى الألوهية فليسوا هؤلاء أهل للخشية لانهم عباد فقراء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا. قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [٢] .

فذكر الله الموت والحياة ، فمن عبد من دون الله كيف يكون إله وهو يموت؟

كيف يكون إله وهو يمرض وينام ؟

سبحانه الملك الذي له كمال الملك وكمال القدرة وكمال العلم . فهو أهل أن نخشاه وهو الرب المعبود الذي يجب أن نعبده ويجب أن لا نصرف العبودية لغيره .

فمن لم يخشى الله فهو سائر في المعاصي ومنغمس فيها .

فمن آثار خشية الله أن القلوب تقشعر قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [٣].

فإذا سمعوا القرآن تقشعر جلودهم ثم يعقبه الخشية يخشون ربهم قال تعالى : ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [٤] .

---

(١) [البقرة: ١٥٠].
(٢) [الملك :١ ـ ٢]
(٣) [الزمر : ٢٣]
(٤) [النازعات :١٩] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١)

حفظوا الله بالغيب وحفظوا الله بالسر إذا صاروا لوحدهم ، إذا خلوا بالله عظمت خشية الله في قلوبهم .

وعبدوا الله عبادة لا تخطر على بال فهم في السر أعظم عبادة من العلانية ، لأن قلوبهم امتلأت بخشية الله .

لذلك جعل الله جزائهم الجنات قال تعالى : ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

هذه خشيتهم وهذا حالهم قانتين آناء الله وساجدين ، هذه ثمرة الخشية لله التي في قلوبهم ، أنهم أطاعوا الله وعبدوا لله بطول القنوت، فهم طوال الليل ساجدين وقائمين لله تعالى .

والخشية عبادة لله جل وعلا يجب ألا تصرف إلا له سبحانه وتعالى.

والخشية لا تكون إلا بالعلم فمن عرف الله خشيه وكلما زادت معرفة الله في القلب زادت خشيته وكلما زادت خشية الله في القلب زادت معرفته وكلما زادت معرفته زادت العبودية لله وذلت القلوب وخشع لله آناء الليل ساجداً وقائماً .

فمن خشي غير الله وقع في الشرك الأكبر .

---

(١) [الملك :١٢].

(٢) [البينة :٨] .

(٣) [الزمر : ٩].

المتن

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ (١)

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢)

وَفِي الْحَدِيثِ: ﴿...وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ﴾.(٣)

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (٤)**و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾** (٥)

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ الآية (٦)

الشرح

قال رحمه الله : **(ودليل الانابة)**

ماهي الإنابة ؟

والإنابة :-

قال ابن تيمية: " فإن الإنابة إلى الله والمتاب هو الرجوع إليه بعبادته وطاعته وطاعة رسوله والعبد لا يكون مطيعا لله ورسوله - فضلا أن يكون من خواص أوليائه المتقين - إلا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ... " (٧)

وقال ابن القيم رحمه الله: " الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه ، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته

---

(١) [الزمر: ٥٤].
(٢) [الفاتحة: ٥].
(٣) رواه الترمذي (٢٥١٦)
(٤) [الفلق: ١].
(٥) [الناس: ١].
(٦) [الأنفال: ٩].
(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢ / ٢٥٨) .

وذكره بالإجلال والتعظيم ، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له ، والمتابعـة لرسوله ﷺ " [١]

وقال ابن القيِّم رحمه الله " : الإنابة إلى الله إنابتان: ـ

الأولى: إنابة إلى ربوبيته وهي إنابة المخلوقات كلها، المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، قَالَ تَعَالَى :﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾[٢] .

والثانية: إنابة أوليائه، وهي: إنابة لألوهيته، إنابة عبودية ومحبة، وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه " [٣].

مالفرق بين الإنابة والتوبة ؟

الإنابة هي بمعنى التوبة ولكنها أعلى من التوبة .

لأن التوبة إقلاع وعزم على أن لا يعود وندم على ما مضى . [٤]

وهذه شروط التوبة لكن الإنابة هي المسارعة للتوبة .

فمثلاً شخص أذنب يسارع للتوبة خوفاً من الله .

و المنيب مستحيل أن يصبر على الذنب دقيقة واحدة وإنما يسارع للتوبة .

وكذلك أنه إذا تاب أقبل على الطاعات يكفر ما مضى بالصدقة وقراءة القرآن وقيام الليل وكأنه يتذكر الذنب الذي جاء منه ويعوض التقصير الذي ورد منه .

فالإنابة تدل على الإقبال على الله بالطاعات والمسارعة لله تعالى .

---

(١) الفوائد ص ٣٤١ .

(٢) [الروم: ٣٣].

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (ج / ١ ص : ٣٤٩) طباعة عام ١٤٢٦هـ

(٤) تيسر الوصول إلى ثلاثة الأصول د. عبد المحسن القاسم (ص : ٩٧)

إنابة ومحبة وذل وخضوع لله تعالى .

فالإنابة درجة عالية من التوبة ولكنها أعلى من التوبة فهي تستلزم الإقلاع فوراً عن الذنب .

فهي منزلة عظيمة وهي منزلة السائرين إلى الله ومنزلة أوليائه وأنبيائه، ولا يصل إليها إلا أهل الإيمان وأهل الإحسان.

"والإنابة إلى الله دأب الأنبياء والمرسلين ، عليهم الصلاة والسلام قال سبحانه عن داود عليه السلام : ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (١).

وقال عن سليمان عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ (٢).

وقال شعيب عليه السلام : ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٣).

وقال نبينا محمد ﷺ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٤).

وأثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام لاتصافه بالإنابة إليه والرجوع إليه في كل أمر .

قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٥).

والبشارة لأهل الإنابة قال جل وعلا :

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ ﴾(٦) .

---

(١) [ص :٢٤]
(٢) [ص : ٣٤]
(٣) [هود : ٨٨]
(٤) [الشورى : ١٠]
(٥) [هود :٧٥]
(٦) [الزمر : ١٧]

ولا يعتبر بالآيات ، ولا يتعظ بالعبر إلا المنيب إلى ربه ، قال عز وجل : ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (١) (٢)

قال ابن القيم رحمه الله :ـ

" العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقع الآيات والعبر، فاستدل بها على ما هي آيات له " (٣)

قال جل وعلا : ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾(٤) أبصروا الحق وعملوا الحق فأعدا الله لهم الجنة وأكرمهم بها وأكرمهم الله بهذه المنازل وهذا الرضى

إذا أراد الإنابة إلى ربه ، والتقرب إليه والاتصال به" (٥) .

والإنابة عبادة يتفاوت العباد فيها .

قال ابن القيم رحمه الله :ـ

" والناس في إنابتهم على درجات متفاوتة ، فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي ، ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات ، ومنهم المنيب إلى الله بالتضرع والدعاء والافتقار إليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه " (٦) .

فالإنابة هي: شوق العبد لربه والدعاء والانطراح بين يدي الله ورجاؤه، والإقبال عليه .

---

(١) [ق : ٨]

(٢) تيسر الوصول د . عبد المحسن القاسم (ص ٩٧ . ٩٨)

(٣) مدارج السالكين ١ / ٤٤٢.

(٤) [ق:٣١- ٣٣]

(٥) الفتاوى٧ / ٢٨١ .

(٦) طريق الهجرتين ص٢٩٢ .

وتأمل الملائكة كيف يعبدون الله ولا يفترون ومع ذلك يقولون : " سبحانك ما عبدناك حق عبادتك! في الحديث قال رسول الله ﷺ : «يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا، فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة من تجيز على هذا، فيقول من شئت من خلقي، فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » (١)

هذا حال المنيب أنه يرى انه مقصر في جنب الله وفي عبوديته لله مهما قام ومهما صلى ومهما تصدق ومهما عمل فهو لايزال ينظر لنفسه أنه مقصر في حق الله .

فالإنابة الرجوع إلى الله ولكنه رجوع محب ومشتاق لله، ورجوع نادم، ورجوع شخص يريد أن يصل إلى أعلى منازل العبودية .

" قال تعالى : ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ بقلوبكم ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾.

والاستسلام أن تستسلم لله تعالى في الأحكام الشرعية . واتباع الرسل وما قاموا به إلى يوم القيامة عندما تؤمر بالصلاة تعرف أنه عبادة شرعية يجب أن تنيب وتستلم وتسارع بهذا .

وكذلك معرفة أن الله فرض الصيام وفرض الحج والزكاة والحجاب وبر الوالدين وصلة الأرحام .

فأنت عبد لله يجب أن تستسلم لما فرضه الله عليك ، وليس لما تهوى.

انيبوا إلى الله " فإذا كنت صادقاً في عبوديتك فأنت مسارعاً لله ومستجيباً لله ومنقاداً لله تعالى .

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني: حديث رقم: (٩٤١)

ولا يمكن أن يكون عندك اعتراض على ما قضاه الله وهذا يسمى استسلام شرعي على ما قضاه الله جل وعلا ، فتسلم بقلبك وتسلم بجوارحك ، فهذا معنى الانابة لله جل وعلا .

قال رحمه الله **"ودليل الاستعانة "**

الاستعانة: طلب العون من الله تعالى وحده، وهذا يتضمن كمال الذل لله تعالى، وتفويض الأمر لـه جل وعلا، والاعتقاد بأنه سيكفي عبده ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (١)، وهي تعني التقرب إلى الله والتوكل عليه (٢)، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٣).

فمن استعان بالله محقق هذه المعاني فهو موحد .

ومن استعان بغير الله وذل له واعتمد عليه فقد أشرك .

قال ابن القيم رحمه الله :"

" والاستعانة بالله تتضمن ثلاثة أمور: كمال الذل له ، مع الثقة به ، والاعتماد عليه ، ومن استعان بغير الله محققاً هذه المعاني الثلاثة فقد أشرك مع الله غيره"(٤) .

كمال الذل مع الثقة بالله وكمال كفايته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

أي نخصك يالله بالعبادة قال أهل العلم " أن هذه الآية في سورة الفاتحة اشتملت على الدين كله .

فالدين عبادة واستعانة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فنعبدك يارب ولكن لا نستطع أن نفعل شيء إلا بإعانتك فنحن نستعين بك بكل شيء .

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٨١/١).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥٤٩/١٠)، (٥٥/١٦).
(٣) [الفاتحة: ٥]
(٤) مدارج السالكين ١ / ٧٤.

نستعين بك على العبادة ونستعين بك على الحياة والأعمال ونستعين بك على تربية أبناءنا ونستعين بك على صلاح قلوبنا . فنحن فقراء إليك ضعفاء، ليس لنا حول ولاقوة إلا بك .

ومن أجمع الأدعية التي أوصى بها الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه « والله إني لأحبك فلا تنسى أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك و حسن عبادتك». (١)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ـ

" تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في إياك نعبد وإياك نستعين " (٢).

الاستعانة طلب العون وهي أنواع:

الأول :الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٣)

الثاني : الاستعانة بمخلوق بأمر لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر ، سواء كان هذا المخلوق ميتاً واو حياً غائباَ .

مثال: طلب من مخلوق أن يرزقه فهذا استعانة شركية .

الثالث: الاستعانة بمخلوق بأمر يقدر عليه فهذا جائز مثل يستعين بشخص يصلح سيارته أو يستعين به ينقذه هذا استعانة بمخلوق بأمر يقدر عليه فهذا لا يعد شركاً .

---

(١) ذكره ابن القيم في عدة الصابرين (١/١٩٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٧/٩٧)، وابن حجر في الفتوحات الربانية (٣/٢٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم(١٥٢٢).

(٢) مدارج السالكين ١ / ٧٨ .

(٣) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين (ص : ٦٢)

كلما قويت الاستعانة بالله في القلب كلما اعان الله العبد .

بالاستعانة بالله وكمال الذل له واعتقاد كفايته وتفويض الأمر لله ، مع فعل الأسباب .

ومما يعين على الاستعانة قول " لا حول ولاقوة إلا بالله " فهي كنز من كنوز الجنة .

وبالاستعانة بالله تستغني عن الاستعانة بالخلق ، وكمال غنى العبد في تعلقه بربه ، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره ، وَكَله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً .

وقد أمر الأنبياء أقوامهم بالاستعانة بالله وحده . (١)

قال سبحانه : ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ (٢)

وأمر النبي ﷺ بالاستعانة بالله فقال : في الحديث الذي رواه الترمذي« إذا استعنت فاستعن بالله » (٣) .

قال ابن دقيق العيد رحمه الله :" بقدر ما يركن الشخص إلى غير الله تعالى بطلبه أو بقلبه أو بأمله ،

فقد أعرض عن ربه إلى من لا يضره ولا ينفعه ، وكذلك الخوف من غير الله " (٤) .

والاستعانة بالله تعالى بأمور:

الأول: الاستعانة بذاته سبحانه، وذلك بدعائه والتذلل لـه جلَّ وعلا، قال ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله...» .

---

(١) تيسر الوصول لشرح ثلاثة الأصول ص ١٠٢ "

(٢) [الأعراف : ١٢٨]

(٣) سنن الترمذي رقم (٢٥١٦) ٢ / ٣٨٥ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) شرح الأربعين النووية ص ١٢٢.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[١].

الثاني: الاستعانة بأسمائه وصفاته تعالى، وهي من ذاته لا تنفك عنه، فالاستعانة بها، استعانة بالله تعالى.

الثالث: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة، إلى الله تعالى كالصبر والصلاة[٢].

كما قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [٣].

الرابع : الاستعانة بالأموات والأحياء على أمر لا يقدرون عليه كالاستعانة بهم في إحياء الموتى أو شفاء المرضى أو نحو ذلك، فهذا من الشرك الأكبر [٤].

ولا يدخل في الاستعانة المحرمة الاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه من الأمور المستطاعة، لأن ذلك جائز وهو من التعاون على البر والتقوى.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «صفة القيامة»، باب: (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة)، رقم: ٢٥١٨ (٢٠١/٧-٢٠٢)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح» ا.هـ. ورواه أحمد في المسند، رقم:٣٦٦٩، (٢٩٣/١)، مؤسسة قرطبة، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ١١٢٤٣، (١٢٣/١١)، وابن الشهاب في مسنده، رقم: ٧٤٥، (٤٣٤/١)، وهو في صحيح الجامع، رقم: ٧٩٥٩.

(٢) انظر: مجموع فتاوى العقيدة، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٩/٦).

(٣) [البقرة: ٤٥].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢٥/٢٧-١٢٦).

روي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: "ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد، قال: أجاهده، قال: هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك" (١)

(١) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٤٨.

المتن

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[١] و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)[٢]

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾[٣] الآية

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٤]

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله».

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[٥]

الشرح

الاستعاذة: عبادة قلبية عظيمة تتعلق بالتوحيد والاعتقاد ومعناها

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[٦].

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

---

(١) [الفلق: ١].
(٢) [الناس: ١].
(٣) [الأنفال: ٩].
(٤) [الأنعام: ١٦١.١٦٣].
(٥) [الإنسان: ٧]
(٦) [الفلق: ١-٥]

الْخَنّاسِ الّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النّاسِ مِنَ الْجِنّةِ وَالنّاسِ ﴾[١].

والاستعاذة في اللغة: أصلها (عوذ) عاذ يعوذ عوذاً وعياذاً ومعاذاً، ومعناها اللجوء والاعتصام واللوذ [٢].

والعوذ من اللحم: أجود وأطيب اللحم، وهو ما عاذ بالعظم، أي لزمه وناقة عائذ، إذا عاذ بها ولدها، وهي التي تضع لسبع، لشدة تعلق ولدها بها.

ويقال عاذت بولدها: إذا أقامت معه ولزمته لصغر لسنه، ومُعَوَّذ الفرس: موضع القلادة منه [٣].

والمعيذ بمعنى الجار والمجير، وبمعنى الساتر [٤].

ومن المعنى اللغوي نستدل على معناها الشرعي، فحقيقة معناها: **"الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذاً، كما يسمى ملجأ و وزراً"** [٥].

فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي (**استجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو ارتكاب ما نهيت عنه**)، فالعائذ بغيره، مستجيراً، معتمداً عليه، وهي استغاثة ولجوء واعتصام بالله من شر هذا العدو الباطني الذي لا يعصم من كيده إلا الله، ولا ينفع معه جميل ولا إحسان، بخلاف شيطان الإنس الذي تدفع

---

(١) [الناس: ١-٦]

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (٤٩٨/٣)، مختار الصحاح (١٩٣/١)، النهاية في غريب الحديث (٢٧٦/٤).

(٣) انظر: لسان العرب (٥٠٠/٣)، (٢٤٢/١١).

(٤) انظر: لسان العرب (١٥٥/٤)، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢٧٦/٤)، وانظر: ما ذكره ابن القيم في تفسير المعوذتين، ص ١٥-١٦.

(٥) تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ١٦، وانظر: إغاثة اللهفان (٧٣/١-٧٤).

إساءته بالإحسان إليه[١].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجانبه من كل ذي شر ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم.... إلخ" [٢].

وهذه المعاني الظاهرة يستلزم لتحقيقها أن يقوم بالقلب معناها أبلغ قيام، فيكف القلب منطرحاً بين يدي ربه، مفتقراً إليه، متذللاً لـه، هارباً إليه وحده، منقطعاً إليه، قد قامت به كل معاني المحبة والخشية والإجلال والمهابة... فهنا تكون استعاذة اللسان متواطئة مع استعاذة القلب مكملة لها، فأنى لشيطان مهما تمرد أن يصل لعبد تحققت فيه هذه المعاني [٣].

وللاستعاذة بالله ثلاثة أصول وهي:

الأول: مستعيذ.

الثاني: مستعاذ به.

الثالث: مستعاذ منه [٤].

فأما الأول وهو المستعيذ، فالمقصود به العبد الذليل الفقير الذي لا حول لـه ولا قوة، ولا دفع لما حوله من الشرور إلا بإعانة الله تعالى لـه وتوفيقه.

وأما الثاني وهو المستعاذ به، وهو الله جل جلاله الخالق القادر العظيم، فكل من استعاذ بغيره خذله ذلك المستعاذ، وتخلى عنه، فلا مغيث ولا معيذ حقيقة إلا هو سبحانه.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٦/١، (٢٧٩/٢)، مجموع الفتاوى (٢٨٣/٧).
(٢) تفسير ابن كثير (١٦/١)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨٩/١).
(٣) انظر: تفسير المعوذتين، لابن القيم ١٧-١٨.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٥-١٦.

وفي سورة الناس يقول تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ (١) .

والمتأمل لهذه الاستعاذة يلاحظ أن الله تعالى ذكر فيها ثلاثاً من صفاته وهي كونه:

١- ربًّا.

٢- ملكاً.

٣- إلهاً.

فأما الاستعاذة الأولى فهي إضافة لربوبيته، فهو خالق المخلوقات، ومدبر شئونهم وجالب مصالحهم، ولـه القدرة التامة عليهم، وهو عليم بهم وبأحوالهم، وكاشف لكرباتهم.

وأما الاستعاذة الثانية فهي مضافة لملكه تعالى، فهو الملك الحق، الذي تصرف لـه الاستعاذة والاستغاثة، ليس لأحد معه قدرة ولا سلطان،

وأما الاستعاذة الثالثة فهي مضافة للألوهية فهو الإله الحق المعبود، فمن كان رباً ومالكاً كيف يعبد غيره؟، وكيف يستعاذ بغيره ممن لا حول لهم ولا قوة؟! وكيف يستغاث بمن هم في ملكه وتحت تصرفه وتدبيره.

فقدم الاستعاذة بالربوبية بعمومها وأخر الاستعاذة بالألوهية لخصوصها(٢).

---

(١) [الناس: ١-٣].

(٢) انظر: تفسير المعوذتين، ص ٩٣، ص ٩٥، تفسير ابن كثير (٤٢٢/٧).

* وفي الاستعاذة بصفات الله، وبكلمات الله التامات رد على الجهمية وسائر المعطلة الذين قالوا: أن صفات الله مخلوقة، إذ لو كانت مخلوقة لم تجز الاستعاذة بها لأنه لا يستعاذ بمخلوق، انظر: خلق أفعال =

وأما الثالث وهو المستعاذ منه، وهو عموم الشرور، وفي مقدمتها شر الشيطان وحزبه، وفي سورة الفلق والناس أبلغ بيان وأوجزه لما ينبغي أن يستعاذ منه ويشمل:

١- شر الجن والشياطين، فما من عبد إلا وقد وكل به قرين من الجن يزيِّن له المعاصي والفواحش، ولا يألوه جهداً، ولهذا كان رسول الله ﷺ يكثر من الاستعاذة من الشيطان، ولشدة شره كان ﷺ يستعيذ بالله من تسلط الشياطين عليه من جميع الجهات، كما في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» [(١)].

وكان ﷺ يستعيذ بقوله: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم و همزه ونفخه ونفثه» [(٢)].

وهمزه: الموتة، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر.

العباد، للبخاري، ص ٩٦، تحقيق: د. عميرة، دار المعارف، الرياض، التمهيد، لابن عبدالبر (١٨٦/٢٤)، تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ٢١-٢٢، شرح كتاب التوحيد، لسليمان آل الشيخ، ص ١٧٨.

(١) رواه أبو داود في كتاب «الأدب»، باب: (ما يقول إذا أصبح)، رقم: ٥٠٧٤، (٧٣٩/٢-٧٤٠)، وابن ماجه في السنن، كتاب «الدعاء»، باب: (ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى)، رقم: ٣٨٧١، (١٢٧٣/٢). والحاكم في المستدرك، رقم: ١٩٠٢، (٦٩٨/١)، ط. دار الكتب العلمية، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أ.هـ، و وافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه، رقم: ٩٦١، (٢٤١/٣)، والإمام أحمد في المسند، رقم: ٤٧٨٥، (٢٥/٢)، مؤسسة قرطبة.

(٢) رواه أبو داود (٧٦٤) وابن ماجه (٨٠٧) وأحمد (٦٧٨٤) واللفظ له

٢- ومن شر شياطين الإنس، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (١)

وثبت في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال: (يا أبا ذر هل صليت؟ قلت: لا، قال: قم فصل، قال: فقمت فصليت ثم جلست فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن، قال: فقلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: نعم...» (٢).

وفي رواية: «قال نعم شر من شياطين الجن» (٣).

وقال بعض السلف: "شياطين الإنس أشد من شياطين الجن، شيطان الجن يوسوس ولا تراه، وهذا يعاينك معاينة" أ. هـ.

وقد أنكر بعض العلماء أن يكون في الإنس شياطين، روي عن السدي وعكرمة – رحمهما الله – فقالوا: المراد بشياطين الإنس المذكورة في الآية السابقة، أي الشياطين التي تضل الإنس، والشياطين التي تضل الجن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس توحي إلى شياطين الجن، كل يخبر الآخر بما تفنن فيه من وسائل الإضلال والتزيين

---

(١) [الأنعام، :١١٢].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، رقم: ٢١٥٨٦، (١٧٨/٥)، ط. مؤسسة قرطبة والنسائي في السنن، في كتاب الاستعاذة، باب: (الاستعاذة من شر شياطين الإنس) رقم: ٥٥٠٧، (٢٧٥/٨). والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٧٨٧١، (٢١٧/٨)، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: ٧٩٤٤، (٤٦١/٤). وذكره السيوطي في الدرر المنثور (٣٤٢/٣)، ونسبة للإمام أحمد وابن مردوية والبيهقي في الشعب. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٥/٣)، «وفيه علي بن يزيد وفيه كلام»أ. هـ، وقال ابن كثير بعد ذكر طرقه: «فهذه طرق لهذا الحديث ومجموعها يفيد قوته وصحته والله أعلم» أ. هـ، (١٦٧/٢)، ط. دار الفكر.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٥/٨).

والإيذاء بالقول والفعل[١] ، وهو قول بعيد عن مفهوم الآية، وليس عليه دليل، بل دل حديث أبي ذر على خلافه، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم... وقد خصَّ الله في هذه الآية الأنبياء، أنه جعل لهم من الشياطين أعداء، فلو كان معنياً بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي الذين هم ولد إبليس، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم وجه" [٢] .

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر إن للإنس شياطين منهم وشيطان كل شيء ما رده "أ. هـ [٣] .

وفسر مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ شياطين الإنس، أي كفار الإنس، فقال: "كفار الجن شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس " أ. هـ [٤] .

وقال ابن جرير: "شياطين الإنس والجن مردتهم" [٥] .

٣- ومن شر النفس ووساوسها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [٦] .

والوسواس يكون في النفس، فالنفس فيها شر عظيم، وقد أمر العبد بالاستعاذة من شرها، كما في الحديث: «... ونعوذ بالله من شرور أنفسنا...» الحديث، وفي الحديث عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، قال: (قل اللهم عالم الغيب

(١) انظر: جامع البيان، لابن جرير (٤/٨).
(٢) المرجع السابق ، الجزء والصفحة نفسها.
(٣) تفسير القرآن، لابن كثير (١٦٧/٢)، ط. دار الفكر.
(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (٤/٨)، وانظر: تفسير ابن كثير (١٦٧/٢).
(٥) جامع البيان (٣/٨).
(٦) [ق :١٦].

والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، قال: قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك» [١] .

وفي الاستعاذة من شر النفس يحتمل أمران:

الأول: نستعيذ بالله أن يصدر منها شر.

الثاني: نستعيذ بالله أن يصيبنا شرها.

وشرك الشيطان: «ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى» [٢] ، وقيل: المراد حبائله ومصائده [٣] .

وقد أمر الله العبد بتزكية نفسه وتطهيرها بترك السيئات وفعل المأمورات[٤]، ال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[٥].

والنفس الإنسانية مصدر للوسواس فالوسواس لـه ثلاثة مصادر:

١- شياطين الجن.

٢- شياطين الإنس.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «الدعوات»، باب: ما يقال في الصباح والمساء)، رقم: ٣٣٨٩، (١٠٤/٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»أ. هـ، ورواه أبو داود في كتاب « »، باب: (ما يقول إذا أصبح)، رقم: ٥٠٦٧، (٣١٦/٤)، والحاكم في المستدرك، رقم: ١٨٩٢، (٦٩٤/١)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم: ٢٧٥٣، (٥٨٠/٦)، وتفسير ابن كثير، (٥١٧/٤)، ط. دار الفكر ، وجامع البيان (٢١١/٣٠-٢١٢)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٧٧٩/٢٠، (٩٣/٤)، الدر المنثور، للسيوطي (٥٢٩/٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٤٦٧/٢).

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٦٢٥٩/١٠، (١٩٨/١٦).

(٥) [الشمس: ٩-١٠].

٣- نفس الإنسان.

والوسواس مبدأ كل شر وأصل كل شر [١].

٤- من شر السحرة والساحرات [٢].

وهم المقصودون في قولـه تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[٣].

والسحر شره عظيم، وخطره جسيم، فمنه ما يمرض وما يقتل، ومنه ما يخبل، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه.

وهو من إعانة الشياطين ومن أعمالهم، وهي تقارن السحرة وتعينهم على أعمالهم الخبيثة، مقابل عبادتهم لهم، ولهذا شرعت الاستعاذة من شرهم ومكرهم، وقد سبق بيان خطورة السحر وسبل الوقاية منه [٤].

٥- من شر الحاسد

"وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود، فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه، وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه... فإذا خطر ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه، وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه. فيتأذى المحسود بمجرد ذلك، فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به، ويكون لـه أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/٥١٠)، (١٧/٥١٥-٥١٦).

(٢) وردت لفظ (النفاثات) في سورة الفلق بصيغة التأنيث، قيل: لكونه الذين سحروا النبي ﷺ هن بنات لبيد بن الأعصم اليهودي، وهو قول ضعيف لأن الثابت أن الذي سحره لبيد وليس بناته، وقيل: المراد بالنفاثات: أي الأرواح والأنفس الخبيثة، فهي السبب في التأثير بالسحر وسلطانه إنما يكون من خلالها ورجحه ابن القيم، انظر: تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ٥٣-٥٤، زاد المسير (٧/٢٧٥).

(٣) [الفلق : ٤]

(٤) انظر: الجزء الأول من سلسلة مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد (حقيقة الشياطين وصفاتهم وبيان عداوتهم لبني آدم).

عليه... وإلا ناله شر الحاسد ولابد" [١] .

وقد سبق الكلام عن الإصابة بالعين [٢] .

والحاسد يكون من الإنس ومن الجن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، كما حسد إبليس أبانا آدم، وهو عدو لذريته"أ.هـ [٣] .

ومن حسد الشيطان وشره، إنه يعين الحاسد بدون طلب ولا استدعاء من الحاسد، لأنه محقق لأهدافه معين له [٤] .

٦- والاستعاذة من عامة الشرور، ويشمل ذلك شر سائر المخلوقات سواء من الجن أو الإنس أو الهوام أو السباع أو الدواب أو الريح أو الصواعق أو الهواء أو النار أو الليل أو الكواكب وسائر أنواع البلاء.

وهذا يشمله قولـه تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[٥].

---

(١) تفسير المعوذتين، ص ٦٥-٦٦.

* وقال ابن القيم : «ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب:

أحدها: التعوذ بالله من شره، والتحصن به واللجوء إليه. الثاني: تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره. الثالث: الصبر على عدوه، وألا يقاتله ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً. الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه. الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به، والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له. السادس: الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه محل خواطر نفسه، السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه. الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه. التاسع: إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه. العاشر: وهو الجامع كذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد» أ. هـ، باختصار وتصرف من كتاب تفسير المعوذتين، لابن القيم، ص ٧٩-٨٩.

(٢) في الجزء الأول من سلسلة مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد (حقيقة الشياطين وصفاتهم وبيان عداوتهم لبني آدم).

(٣) تفسير المعوذتين، ص ٧٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٥) [الفلق، الآيتان: ١-٢].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (أخذ النبي ﷺ بيدي، فنظر إلى القمر، فقال: يا عائشة، استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب) [١].

"والسبب الذي لأجله أمر الله بالاستعاذة من شر الليل وشر القمر إذا وقب، هو أن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة، وفيه تنتشر الشياطين" [٢].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل عليه الليل، قال: (يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك، وشر ما خلق وشر ما فيك ومن شر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود،ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد»[٣].

والأساود "جمع أسود... وهي أخبث الحيات، ويقال لـه أسود سالخ لأنه يسلخ جلده كل عام" [٤].

وقيل: "حية رقيقة رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين" [٥].

(ومن ساكن البلد ووالد وما ولد): "ساكن البلد يريد به والله أعلم الجن

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، رقم: ٢٦٠٤٢، (٢٣٧/٦)، ط. مؤسسة قرطبة، والترمذي في السنن، كتاب «كتاب التفسير»، باب: (ومن سورة المعوذتين)، رقم: ٣٣٦٣، (٨٧/٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح» أ. هـ، والحاكم في المستدرك، برقم: ٣٩٨٩، (٥٨٩/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»أ. هـ، ووافقه الذهبي، ورواه عبد بن حميد بن مسنده، رقم ١٥١٧، (٤٣٩/١).

(٢) تفسير المعوذتين، ص ٤٩.

(٣) رواه أبو داود في كتاب «الجهاد»، باب: (ما يقول الرجل إذا نزل المنزل)، رقم: ٢٦٠٣، (٣٤/٣)، والحاكم في المستدرك، رقم: ٢٤٨٧، (١١٠/٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أ. هـ، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم: ٧٨٦٢، (٤٤٣/٤)، وأحمد في مسنده، رقم: ٢٢٧١، (١٢٤/٣)، مؤسسة قرطبة.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، (٣٤٨/٦)، ط. دار المعرفة، بيروت.

(٥) المرجع السابق، نفس الجزء والصحفة .

الذين يسكنون الأرض، ووالد وما ولد: يحتمل أن يكون إبليس والشياطين"[١]

صيغ الاستعاذة:

وردت الاستعاذة في القرآن والسنة بصيغ متقاربة [٢]، ومنها:

- (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).
- (استعيذ بالله من الشيطان الرجيم) لمطابقة الأمر في الآية والحديث.
- ومنها أ(عوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم)، قاله الثوري والأوزاعي.
- (أعوذ بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة)، ومعنى التامات أي الكاملات اللاتي لا يلحقها النقص [٣].
- أعوذ بوجه الله الذي ليس شيء أعظم منه، وأعوذ بوجه الله العظيم وسلطانه القديم.

مواضع الاستعاذة:

١- عند الشعور بنزغات الشيطان ووساوسه، عموماً في كل وقت وعلى أي حال:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ

(١) هامش سنن أبي داود (٢/٤٠).
(٢) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/٧٦-٧٧)، زاد المعاد (٤/١٦٨-١٦٩)، وتفسير ابن كثير (١/١٦).
(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان آل الشيخ، ص ١٧٨.

﴾[١].

وقولـه تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

وفي الحديث: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله وولينته».

٢- عند الدخول في الصلاة

وقد أمر ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه حينما أتى إليه فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبِّسها عليَّ، فقال لـه رسول الله : «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال: ففعلت فأذهبه الله عني».

ويرى بعض العلماء وجوب الاستعاذة بعد الاستفتاح في الصلاة، وممن قال

---

(١) [فصلت: ٣٦].

(٢) [الأعراف: ٢٠٠].

* وفي الفرق بين هاتين الآتين ذكر ابن القيم فائدة لطيفة، فقال : «وتأمل سر القرآن كيف أكد الوصف بالسميع العليم بذكر صيغة «هو» الدال على تأكيد السنة واختصاصها، وعرف الوصف بالألف واللام في سورة رقم لاقتضاء المقام لهذا التأكيد، وتركه في سورة الأعراف، لاستغناء المقام عنه. فإن الأمر بالاستعاذة في سورة صم وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس، وهو مقابلة إساءة المسيء بالإحسان عليه، وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم، والشيطان لا يدع العبد يفعل هذا، بل يريه أن هذا ذل وعجز، ويسلط عليه عدوه، فيدعوه إلى الانتقام ويزينه له، فإن عجز عنه دعاه إلى الإعراض عنه وألا يسيء إليه ولا يحسن، فلا يؤثر الإحسان إلى المسيء إلا من خالقه وآثر الله وما عنده على حظه العاجل، فكان المقام مقام تأكيد وتحريض... وأما في سورة الأعراف، فإنه أمره أن يعرض عن الجاهلين، وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالإحسان، بل بالإعراض، وهذا سهل على النفوس، غير مستعص عليها، فليس حرص الشيطان وسعيه في دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالإحسان»أ. هـ، تفسير المعوذتين، ص ١٢٣-١٢٤، وانظر: إغاثة اللهفان (٧٩/١).

به عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] واحتج بعدة أدلة منها:

- صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [٢] .

- فعل النبي ﷺ ومواظبته عليها.

- ولأنها تدفع الشيطان وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

- ولأنه الأحوط [٣] .

والجمهور على الاستحباب [٤] وهو الراجح لأنه لا خلاف بين العلماء أنه إذا صلى ولم يأت بالاستعاذة قبل القراءة أن صلاته صحيحة [٥] .

ومن العلماء من استحبها في كل ركعة، ورجحه النووي وقال به جماعة من السلف منهم ابن سيرين، وعطاء، والحسن وغيرهم [٦].

وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتعوذ في الركعة الأولى.

وكان ﷺ يستفتح الصلاة بالاستعاذة، فقد ورد عنه أنه إذا افتتح القراءة في الصلاة كبر، ثم يقول «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا أنت ثلاثاً، ثم يقول: الله أكبر كبيراً ثلاثاً، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»

---

(١) كما ذكره عبدالرزاق في مصنفه (٨٣/٢).
(٢) [النحل: ٩٨].
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٥/١)، وقال: «احتج له الرازي».
(٤) انظر: المجموع للنووي (٢٧٢/٣)، تفسير القرآن، لابن كثير (١٥/١)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨٦/١).
(٥) انظر: تفسير الرازي (١١٧/٢٠).
(٦) انظر: المجموع للنووي (٢٧٢/٣)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٨٦/١).

ثم يقرأ [١] .

٣- عند دخول المسجد:

في الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ « أنه كان إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم). قال: فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم» [٢] .

٤- عند تلاوة القرآن:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[٣].

فلكون القرآن شفاء ونور وسكينة لقلوب المؤمنين يحاول الشيطان أن يصد العبد عن تلاوته بكثرة الوساوس التي تكون سبباً في الوقوف عن القراءة، أو الاسترسال مع عدم الخشوع والتدبر، ولهذا شرعت الاستعاذة بالله عند تلاوة القرآن.

وللاستعاذة قبل التلاوة فوائد وحكم عظيمة ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منها: إن القرآن الكريم دواء وشفاء لكل ما يلقيه الشيطان في الصدور من وساوس وتشكيك وإرادات فاسدة، ولكي ينتفع العبد بالقرآن عليه أن يستعيذ بالله

---

(١) رواه الترمذي باب: (ما يقول عند افتتاح الصلاة)، رقم:٢٤٢، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: (ما يقول الرجل إذا دخل المسجد)، رقم: ٤٦٦، (١/١٨٠)، وانظر: صحيح الجامع، رقم: ٤٧١٥، وصحيح الكلم الطيب، ص ٥٠.

(٣) [النحل: ٩٨].

* قال الإمام الشنقيطي /: وظاهر هذه الآية أن الاستعاذة من الشيطان الرجيم واجبة عند القراءة، لأن صيغة أفعل للوجوب، كما تقرر في الأصول. وقال كثير من أهل العلم: أن الأمر في الآية للندب والاستحباب، وحكى عليه الإجماع أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة، وظاهر الآية أيضاً: الأمر بالاستعاذة عند القراءة في الصلاة لعموم الآية والعلم عند الله تعالى» أ. هـ، أضواء البيان (٣/٣٢٥).

من عدوه، لئلا يحول بينه وبين الاستفادة[١] .

ومنها: إن القرآن أصل لنبات مادة الخير في القلب، وهي المادة التي يسعى الشيطان لإفسادها في القلب، لذا أمر العبد بالاستعاذة منه لتبقى مادة الخير عامرة بالقرآن حتى يقوى عودها وتصبح شجرة ثابتة الأصول أصلها في القلب وفروعها في سائر الجوارح.

ومنها: إن تلاوة القرآن سبب لحضور الملائكة وقربها من العبد، لذا لزمت الاستعاذة لإبعاد الشيطان، لأنها منزلة لا تجتمع فيها الملائكة والشياطين.

ومنها: إن قارئ القرآن يناجي ربه، فأمر العبد بالاستعاذة لئلا يحول الشيطان بينه وبينها، ولطرده وإبعاده عن هذا المقام العظيم.

ومنها: إن الشيطان يحاول عندما يقرأ العبد أن يخلط عليه، ويشوش عليه تلاوته، وربما أنساه، أو أدخل في قراءته ما ليس منها، كما بين تعالى في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[٢] .

ومعنى تمنى، أي تلا على ما ذكره السلف ورجحه المحققون، كما سبق، فإذا كان هذا مع أنبياء الله ورسله، فسائر الخلق من باب أولى، لذا شرعت الاستعاذة لصده ومنعه عن التشويش والاشغال.

ومنها: أن مقام العبد وهو يتلو كلام الله، مقام عظيم، ومنزلة رفيعة، يحسده عليها الشيطان، وكلما كان الفعل أنفع اشتد كيد الشيطان للعبد لصده عنه، لذا فهو يكيد القارئ بكل وسيلة، فشرعت الاستعاذة لإبطال كيده.

ومنها: أن الاستعاذة عنوان ومقدمة لكلام الله، فلا تتقدم إلا ويأتي بعدها

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (٩٤/١).
(٢) [الحج: ٥٢].

تلاوة كلام الله، ولم تشرع بين يدي كلام أحد سواه تعالى [١] .

ومنها: إن فيها تطييباً وطهارة للفم من اللغو والرفث.

ومنها: إن فيها استعانة بالله، واعتراف العبد بضعفه وعجزه عن مقاومة عدوه، فيلجأ إلى مولاه لينجيه منه [٢] .

وهذه الفوائد لا تتحقق إلا بالاستعاذة بالله من الشيطان قبل التلاوة، خلافاً لمن قال: إن الاستعاذة تكون بعد التلاوة [٣] .

٥- عند الغضب:

ومما تشرع عنده الاستعاذة الغضب، كما في التوجيه النبوي عندما استب رجلان عند النبي ﷺ حتى إن أحدهما ليمتزغ أنفه من شدة الغضب فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد» فقالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[٤].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (٧٤/١-٧٦)، تفسير الرازي (١١٦/٢٠-١١٧)، ومقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: سليم الهلالي، ص ٣٥، ط. الثالثة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: تفسير القرآن، لابن كثير (١٥/١)، ط. دار الفكر.

(٣) وقد نسب هذا القول لبعض الصحابة والتابعين، ومنهم أبو هريرة ومالك وابن سيرين وإبراهيم النخعي وأدلتهم: أن الاستعاذة بعد القراءة تدفع الوساوس التي يلقيها الشيطان بعد التلاوة كالعجب، فيبقى ثواب التلاوة. والظاهر الآية...

وقد استنكر هذا القول ابن كثير وابن العربي – رحمهما الله – واستبعدا نسبته إلى أبي هريرة ومالك وابن سيرين – رحمهم الله – .

قال ابن العربي : «ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة، في تفسير هذه الآية ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، قال: ذلك بعدة قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر؛ ... ولو كان هذا كما قال بعض الناس أن الاستعاذة بعد القراءة لكان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة لا تشبه أصول مالك، ولا فهمه، والله أعلم بسرَّ هذه الراوية» أ. هـ (١٥٩/٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢٥/١)، إغاثة اللهفان، لابن القيم (٧٤/١)، تفسير الرازي (١١٦/٢٠).

(٤) سبق تخريجه.

وفي تفسير قولـه تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ ﴾ [١].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الإعراض عن الجاهل ويحملك على مجازاته فاستعذ بالله، يقول: فاستجر بالله من نزغه، إنه سميع عليم سميع لجهل الجاهل عليك... عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه" [٢].

ومن هنا فالاستعاذة بالله عند الغضب فيها سر جميل عظيم لأنه لو تأمل الغاضب حاله عند الغضب لعلم أنه لو شاء الله ما تسلط عليه الخلق وما آذوه، فتسلطهم عليه بمشيئة الله، وبناء عليه فدفع أذاهم لا يستطيعه إلا الله تعالى، فاللجوء إليه عند الغضب هو محض العبودية[٣].

كما إن الغضب سلاح الشيطان لإخراج المسلم عن طبعه وأفعاله المحمودة إلى أفعال مذمومة يريدها الشيطان؛ ولهذا جاءت الاستعاذة لإبطال هذا السلاح [٤].

٦- عند الجدل والمراء:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٥].

---

(١) [الأعراف: ٢٠٠].
(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٧٩)، ط. دار الفكر.
(٣) انظر: فتح الباري (١٠/٥٢١)، دار المعرفة، بيروت.
(٤) انظر: المواجهة، لحسن قطامش، ص ١٥٠.
(٥) [الحج، الآيتان: ٣-٤]..

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [١].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل» [٢].

والجدل من المراء وهي المخاصمة بالباطل، وإظهار الغلبة أما إن كان لإظهار الحق فليس بمذموم [٣] لقوله تعالى:﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[٤].

ومن الجدل المذموم: الجدل بغير علم، والجدل في رد الحق بعد ظهوره، والجدل في آيات الله، ومعارضة الأمر بالقدر [٥].

٧- عند دخول الخلاء:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء، قال: (اللهم إني أعوذ

---

(١) [غافر: ٥٦].

(٢) رواه الترمذي في كتاب «التفسير» ، باب: (ومن سورة الزخرف)، رقم: ٣٢٥٣ (٣٧٨/٥) وابن ماجه في المقدمة، باب: (اجتناب البدع والجدل)، رقم: ٤٨ (١٩/١) وأحمد في المسند (٢٥٢/٥، ٢٥٦)، وابن جرير في تفسيره (٥٣/٢٥)، والطبراني في المعجم الكبير، رقم: ٨٠٦٧، (٢٧٧/٨)، والحاكم في المستدرك، رقم:(٤٤٧/٢-٤٤٨)، وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت»، رقم: ١٣٥، ص ١٠٣، تحقيق: أبو إسحاق الأثري، ط. الثانية١٤١٧هـ/ ١٩٩٧، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧/٩)، (٣٨/٧)، جامع البيان لابن جدرير (٢٦٦/١٥)، الدر المنثور للسيوطي (٥٧٣/١)، شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله بن سليمان ص٤٢، شرح قصيدة ابن القيم للشيخ أحمد بن عيسى (٢٥/١-٢٦).

(٤) [النحل: ١٢٥.

(٥) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١٠/٣)، (٨٢٤٤).

بك من الخبث والخبائث» [١] متفق عليه.

وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «... من أتى الغائط فليستتر، فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيباً من رمل فليستدبره، فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج» [٢] .

والمعنى "أن الشياطين تحضر تلك الأمكنة، وترصدها بالأذى والفساد، لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله، وتكشف فيها العورات.. فأمر – عليه الصلاة والسلام – بالتستر ما أمكن وألا يكون قعود الإنسان في براح من الأرض تقع عليه أبصار الناظرين، فيتعرض لانتهاك الستر، أو تهب ريح، فيصيبه نشر البول عليه والخلاء فيلوث بدنه أو ثيابه وكل ذلك من لعب الشيطان به وقصده إياه بالأذى والفساد" [٣] .

٨- عند الفزع من النوم:

ومما تشرع عنده الاستعاذة الفزع من النوم، وقد ورد ذلك في حديث عمرو

(١) رواه البخاري في كتاب «الطهارة» باب: (ما يقول عند الخلاء)، رقم:١٤٢ (٦٦/١)، مسلم في كتاب «الطهارة»، باب: (ما يقول إذا أراد دخول الخلاء)، رقم: ٣٧٥، (٢٨٣/١).
(٢) أخرجه البخاري (١٦١) ومسلم (٢٣٧) وأبو داود (٣٥) واللفظ له وابن ماجه (٣٣٧،٣٤٩٨)
(٣) حاشية سنن أبي داود (٥٦/١).

بن شعيب [١] عن أبيه عن جده؛ «أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع: (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره)» [٢]، ومعنى وأن يحضرون: أي «تصيبوني بسوء[٣].

قال الترمذي: «وكان عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما يعلمها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه» [٤] أ. هـ الصك: الكتاب.

---

(١) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص أبو إبراهيم، وقيل: أبو عبدالله، سمع أباه وسعيد بن المسيب وروى عنهما، وروى عن محمد بن أرشد وعطاء بن أبي رباح، قال الدارقطني: «سمعت أبا بكر النقاش يقول: عمرو بن شعيب ليس من التابعين، وقد روى عنه عشرون من التابعين».
وقال: أبو داود: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «أهل الحديث إذا شاءوا واحتجوا بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وإذا شاءوا تركوه».
وحسن حديث الذهبي، ووثقه العجلي والنسائي، انظر في ترجمته: تقريب التهذيب، رقم: ٥٠٥٠، ص ٤٢٣، ميزان الاعتدال (٢٦٣/٣)، لسان الميزان، لابن حجر (٣٣٠/٧)، سير أعلام النبلاء (١٦٥/٥)، تدريب الراوي (٢٥٧/٢-٢٥٨).

(٢) رواه الترمذي في كتاب «الدعوات» باب: (دعاء من أوى إلى فراشه)، رقم: ٣٥١٩، (١٨٣/٩)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»أ. هـ، ورواه أبو داود في كتاب «الطب» باب: (كيف الرقى)، رقم: ٣٨٩٣، (١١/٤)، ومالك في الموطأ، رقم: ١٧٠٥، (٩٥٠/٢)، ومسند الإمام أحمد، رقم: ٦٦٩٦، (١٨١/٢)، والمعجم الكبير للطبراني، رقم: ٣٨٣٨، والحاكم في المستدرك، رقم: ٢٠١٠،(٧٣٣/١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد...» أ. هـ. وسقطت هذه الرواية من التلخيص للذهبي.

(٣) التمهيد (١١٠/٢٤).

(٤) مسألة تعليق القرآن أو الأحاديث أو الأدعية والأذكار الواردة في الرقبة أو اليد، فيها خلاف بين العلماء، فمنهم من جوز ذلك لعموم قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأسراء: ٨٢، ومنهم من منعه، روى ذلك عن ابن مسعودا وغيره من السلف لأن الاستشفاء بالقرآن ورد بصفة معينة، وهي القراءة على المريض فلا يتجاوزها، ولأن ذلك قد يؤدي إلى إهانة الذكر ودخول الخلاء به أو تلويثه بالنجاسة الملازمة للصبيان ، كما أن تعليق قد يفضي على ترك تلاوة مع مشروعيتها أو يشعر بالاستغناء عن التلاوة.

انظر: أقوال العلماء في هذه المسألة، مصنف ابن أبي شيبة، (٣٧٤/٧)، المستدرك للحاكم، (٢١٦/٤)، تيسير العزيز الحمد، ١٦٨، فتح المجيد، ص ١٣٢، معارج القول، لحافظ حكمي (٣٨٢/١)، فتاوي ابن باز (٢٠/١)، المجموع الثمين، لابن عثيمين (٥٨/١)، القول المفيد، لابن عثيمين (١٧٨/١-١٨٣).

٩-عند الوحشة:

عن الوليد بن الوليد [١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أنه قال: يا رسول الله إني أجد وحشة قال: (إذا أخذت مضجعك فقل: أعوذ بكلمات الله التامات، من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، فإنه لا يضرك وبالحري أن لا يقربك» [٢].

١٠-عند نزول المنزل:

عن خولة بنت حكيم [٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» [٤].

١١-عند نباح الكلاب ونهيق الحمير:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم نهاق الحمير، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم صياح الديكة، فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً» [٥].

---

(١) الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله المخزومي القرشي أخو خالد بن الوليد، حضر بدر مشركاً ثم أسره المسلمون فلما افتداه أخواه هشام وخالد أسلم وقال كرهت أن يظنوا بين أني جزعت من الأسر حبسه أخواله بعد إسلامه فكان رسول الله ﷺ يدعو له في القنوت كما ثبت في الصحيح اختلف في موته وقيل مات في عمرة القضية قبل أن يدخل المدينة، انظر الإصابة (٦/٣٢٣-٣٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند رقم: ١٦٦٢٣ (٤/٥٧) ط. مؤسسة قرطبة، وابن السني رقم: ٧٠٥، ص ٢٠١.

(٣) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال السُّلميَّة امرأة عثمان بن مظعون، تكنى بأم شريك صحابية، فاضلة، صالحة روت عن النبي ﷺ، يقال إنها وهبت نفسها للنبي ﷺ بعد وفاة ابن مظعون انظر: الإصابة (٨/٦٩-٧٠)، تهذيب التهذيب (١٢/٤٤٣).

(٤) رواه مسلم في كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار»، رقم:٢٧٠٨ (٤/٢٠٨٠).

(٥) رواه البخاري في كتاب «بدء الخلق»، باب: (خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال)، رقم: ٣٣٠٢٧، (٣/١٠٢٠)، ومسلم في كتاب «الذكر والدعاء والتوبة»، رقم: ٢٧٢٩، (٤/٢٠٩٢).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوَّذوا بالله منهن فإنهن يرين ما لا ترون» [١].

والحكمة في الأمر بالاستعاذة لحضور الشيطان، فيستعاذ بالله تعالى هنا دفعاً لمن يخشى من شره ووسوسته وكيده لبني آدم.

وقيل: خوفاً من نزول الغضب عند رؤية أهل المعاصي [٢].

١٢-عند الحلم:

عن عبدالله بن قتادة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره» [٣].

وجاء في صفة الاستعاذة عند الرؤيا المكروهة أن يقول: «أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياي هذه أن يصيبني منها ما أكره في ديني ودنياي» [٤].

١٣-تعويذ الأولاد:

كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: (أعيذكما بكلمات الله

---

(١) رواه أبو داود في كتاب «الأدب»، باب: (ما جاء في الديك والبهائم)، رقم: ٥١٠٣، (٢/٧٤٨-٧٤٩)، والإمام أحمد في المسند (٣/٣٠٦)، والحاكم في المستدرك (٤/٢٨٣)، وصححه، وسكت عليه الذهبي. قال الألباني: صحيح بطرقه، تخريج الكلم الطيب، ١٦٤.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/٣٥٣)، شرح صحيح مسلم، للنووي (١٧/٤٧)، عون المعبود (١٤/٧).

(٣) رواه البخاري كتاب التعبير- باب الرؤيا الصالحة رقم (٦٥٨٥) ومسلم رقم (٢٢٦١).

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري، وقال: «أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبدالرزاق بأسانيد صحيحة»، (١٢/٣٧١)، ط. دار المعرفة، بيروت، عام ١٣٧٩هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب.

التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ثم يقول: هكذا كان أبي إبراهيم ﷺ يعوذ إسماعيل وإسحاق) [١].

١٤- عند المرض والحمى:

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه قال: « قدمت على النبي ﷺ وبي وجع قد كاد يبطلني فقال لي النبي ﷺ: اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات فقلت ذلك فشفاني الله»[٢].

وفي رواية: قال عثمان «ففعلت فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم»[٣] ا.هـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الأوجاع كلها ومن الحمى أن يقولوا (بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار» [٤].

---

(١) متفق عليه. قال أبو بكر بن الأنباري: «الهامة واحد الهوام، ويقال: هي كل نسمة تهم بسوء، واللامة الملمة، وإنما قال: لا ليوافق لفظ هامة».

(٢) رواه ابن ماجة رقم: ٣٥٢٢ (١١٦٣/٢)، والحاكم في المستدرك رقم: ١٢٧١ (٤٩٤/١).
وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ! إنما أخرجه مسلم من حديث الجريري عن يزيد بن عبدالله بن الشخير عن عثمان بن أبي العاص بغير هذا اللفظ» ا.هـ. وابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ٢٩٥٠٠ (٦٣/٦).

(٣) رواه الترمذي في كتاب: الطب، باب لم يسمه رقم (٢٩) رقم الحديث: ٢٠٨٠ (٤٠٨/٤). وقال: هذا حديث حسن صحيح وأبو داود في السنن في كتاب: الطب، باب: كيف الرقى، رقم: ٣٨٩١ (١١/٤).

(٤) رواه الترمذي في كتاب: الطب، باب: لم يسمه رقمه (٢٦) رقم: ٢٠٧٥ (٤٠٥/٤)، وقال: «هذا حديث غريب» ا.هـ. وابن ماجة في السنن في كتاب: الطب، باب: ما يعوذ به من الحمى رقم: ٣٥٢٦ (١١٦٥/٢)، وا لحاكم في المستدرك رقم: ٨٢٧٤ (٤٥٩/٤) وصححه، وأحمد في مسنده رقم: ٢٧٢٩ (٣٠٠/١) ط. مؤسسة قرطبة، وعبد بن حميد في مسنده رقم: ٥٩٤ ص٢٠٤ .

١٥- من غلبة الدين:

فالديون إذا لزمت العبد أدت إلى إصابته بالهموم والأحزان التي سببها الشيطان ليقعده عن العمل، فأمره ﷺ أن يستعيذ بالله تعالى ليقوى، ويدفع شر الشيطان، فيكتسب ويقضي دينه [١].

كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:« دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال لـه أبو أمامة فقال: (يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة، قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال: (أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) قال فقلت ذلك فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى ديني» [٢] [٣].

والاستعاذة أنواع:

الأول :الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إلى آخر السورة وقوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ إلى آخر السورة.

---

(١) انظر حماية الإنسان من وساوس الجن والشيطان، للأستاذ إبراهيم بن محمد الضبيعي ص٣٩، ط. الأولى ١٤١٢هـ، شركة العبيكان.

(٢) رواه أبو داود في السنن في كتاب: الصلاة، باب: في الاستعاذة رقم: ١٥٥٥ (١/٤٨٤-٤٨٥)، والمزي في تهذيب الكمال (٢٣/١٠٦).

(٣) مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد وطرق التحصن منه (د . قذلة القحطاني) (٩٥٨ . ٩٧٠)

الثاني :الاستعاذة بصفة ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك ودليل ذلك قوله ﷺ «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » وقوله « أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» وقوله: في دعاء الألم «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» ، وقوله «أعوذ برضاك من سخطك» ، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى :﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ فقال :«أعوذ بوجهك» [١]

هذه استعاذة شرعية وهي الاستعاذة بصفات الله عزوجل وهذه مشروعة، بل أنها من أعظم ما يستعاذ به فإذا قال الإنسان " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " ونزل منزل لا يضره شيء بإذن الله .

وإذا قالها في الصباح يحفظك الله إلى المساء وإذا قالها في المساء يحفظه الله إلى الصباح .

وانت تستعيذ بكلمات الله عزوجل وكلماته لا تنتهي جل وعلا قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [٢].

وهذه الأنواع استعاذة شرعية .

الثالث :الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[٣] وهذه استعاذة شركية كالاستعاذة بالقبر أو الحجر أو شجر كلها تدخل بهذه الاستعاذة الشركية .

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين / (ص : ٦٣ . ٦٤)
(٢) [لقمان : ٢٧]
(٣) [الجن: ٦]

ومن استغاث بشخص يعتقد أن له قوة خفية ويعتقد أن له القدرة ييسر بها الكون فهذا أيضا شرك أكبر .

والاستغاثة: طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك . [١]

قال ابن القيم رحمه الله : " الاستغاثة لا تكون إلا بعد الذعر " [٢]

الفرق بين الدعاء والاستغاثة:ـ

أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب.

وأما الدعاء فهو أعم يكون من المكروب ومن غيره

فهي أخص أنواع الدعاء فإن دعاء المكروب يقال له استغاثة .

والفرق بين الاستغاثة والاستعاذة :

أن الاستعاذة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك .

والاستغاثة تطلب منه أن يزيل ما حل بك من شدة.

والاستغاثة تتضمن: كمال الافتقار إلى الله ، واعتقاد كفايته ، وهي من أفضل الأعمال وأكملها [٣]

وهي عبادة لا تصرف إلا لله جل وعلا . فالله تعالى يستجيب دعاء المكروب قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٤].

وقال تعالى :﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٥]

---

(١) شرح ثلاثة الأصول اللشيخ ابن عثيمين (ص : ٦٥)

(٢) بدائع الفوائد ٦٠/١ .

(٣) تيسر الأصول بشرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ١٠٦)

(٤) [الأنفال : ٩]

(٥) [النمل : ٦٢]

فدلت الآيات على أن الله عزوجل يستجيب دعاء المستغيث وأنه تعالى يغيثه .

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾وهذا يوم بدر يوم استغاث النبي ﷺ بربه فأرسل له الملائكة لتقاتل معه فكان الغوث مباشرة فهذا بما يتعلق بمعنى الاستغاثة.

والاستغاثة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : ـ

الأول : الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: « اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة الإسلام لا تعبد في الأرض » وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم ألتزمه من ورائه، وقال :يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله هذه الآية . (١)

هذا النوع الأول وهومن أجل العبادات و من كمال التوحيد .

ومن صرفها لغير الله كالذي يستغيث بالأموات أو الغائبين ونحوهم فهذا شرك أكبر

قال ابن القيم رحمه الله :

" ومن أنواعه- أي الشرك - طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص : ٦٥)

يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله " [١].

ماسبب عكوفهم عند القبور والأولياء وعند الأضرحة ؟

يطلبون منهم تفريج الكربات ، فهذا مريض يريد الشفاء وهذا لم يرزق بالذرية فيطلب الولد .

فيذهبون لهم ويسألونهم ويستغيثون بهم . فمن استغاث بالمخلوق خذل لأنه ميت قد انقطعت عنه الأسباب وقد انقطع ، لا يملك لنفسه حولاً ولاقوةً ، ولو كان يستطع النجاة لنجا وخرج من قبره وملك الملايين وعاش في القصور ، لماذا يبقى في القبر وله القدرة على فعل المعجزات بزعمكم!! ، وهذا يدل على بطلان الشرك وصاحبه ليس له إلا الحسرة والندامة وهو كمن يجرى خلف سراب ولن يتحقق له مبتغاه، فهو في الدنيا خاسر وفي الآخرة هالك ، وهو كاستغاثة الغريق بالغريق ، قال تعالى : ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [٢]

الثاني : الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى : " ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]

الثالث :الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز[٤].

---

(١) مدارج السالكين ١ / ٣٤٦ .
(٢) [فاطر : ١٤]
(٣) [النمل: ٦٢]
(٤) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين (ص : ٦٦)

كشخص تعطلت سيارته أو إنقاذ غريق فهذا ليس من الشرك وليس من الاستغاثة الشركية .

فالاستعانة والاستعاذة والاستغاثة ثلاث عبادات متقاربة، وكلها عبوديات متعلقة بالقلب، وكل عبودية منها عبادة عظيمة بل لا يقوم الدين إلا عليها، وهي من أعمال القلوب المهمة، فهناك أعمال قلوب واجبة كالخوف والرجاء والمحبة، وهذه العبوديات بعض يتعلق ببعضها، فالاستعانة مثلاً تتعلق بالتوكل قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]

فلا تستطيع عبادة الله إلا بالعون منه عزوجل.

فالاستعانة (وهي طلب العون من الله جل وعلا) فيها تفويض فيها توكل وفيها تسليم لله جل وعلا فيما يتعلق بالمستقبل وفيما يتعلق فيما وقع فيما مضى من الرضا والتسليم والصبر وكلها يعتمد على لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فإذا استعنت بالله تستغني عن جميع الخلق ، وفيها قوة التوحيد .

ومن استعان بغير الله خذل من المخلوق قال الرسول ﷺ : « إذا سألت فسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله »

ـ **الاستعاذة** (طلب العصمة والتحصين من الله جل وعلا)

فالعبد إذا أراد العبادة والإخلاص تأتيه عوائق وشرور تعيقه عن الصراط المستقيم وتريد أن تؤذيه وتصرفه عن دين الله .

فأنت تستعيذ بالله وتلجأ إلى الله.

وهذ ا معنى الاستعاذة " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

---

(١) [الفاتحة:٥]

وكذلك الاستغاثة وهي (طلب الغوث من الله عزوجل) فالعبد يصل به الكرب من تسلط الأعداء عليه كما فعلت قريش بالنبي ﷺ فالرسول عليه الصلاة والسلام استغاث بالله من شر هؤلاء الأعداء فأنزل الله الملائكة لتقاتل معه وتدافع عنه.

قال تعالى:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (١)

فكذلك أنت أيها العبد تمر بك مواقف وكرب لا تستطيع مواجهتها لوحدك فليس لك إلا ربك وخالقك فتلجأ إليه وتستغيث به.

ولهذا وردت أدعية الكرب منها : -

روى الترمذيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ:« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)» (٢)

روى الشيخانِ عَنْ عَبْدِاللهَّ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ» (٣)

روى الترمذيُّ عَنْ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ :﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُّ لَهُ » (٥).

---

(١) [الأنفال : ٩]

(٢) حديث حسن ، صحيح الترمذي؛ للألباني، حديث: (٢٧٩٦)

(٣) البخاري، ٦٣٤٦/ مسلم، حديث ٢٧٣٠).

(٤) [الأنبياء: ٨٧]

(٥) حديث صحيح ، صحيح الترمذي؛ للألباني، حديث:(٢٧٨٥).

فهذ الأدعية كلها توحيد فالإنسان إذا نزل به الكرب غالباً قلبه لا يفر إلا لله عزوجل إلا إذا كان مطموس البصيرة ، غارق في الشرك. فالإنسان صاحب الفطرة السليمة لا يعرف إلا الله خاصة إذا نزلت به الشدة .

فالكافرين على كفرهم وعلى ما هم فيه ومع ذلك إذا نزلت بهم الشدة لا يعرفون إلا الله ولا يلجؤون إلا لله ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(١) وهذا درس مهم للقلب عندما يكون الإنسان في كربة وفي أمرٍ جلل أين يكون القلب حينها ؟

أين يفزع القلب ؟

إذا فزع القلب لله ولجأ إليه فهذا دلالة على قوة التوحيد في القلب .

ولهذا تنزل السكينة ويأتي الربط ويأتي التثبيت . إذا اشتدت الشدة تنزل السكينة فالسكينة لا تنزل إلا على عباد الله المؤمنين قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٢).

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(٣)

تنزل السكينة وقت الشدة ووقت المصائب رسول ﷺ يدخل الغار وقريش عازمة على قتله أي كرب هذا ؟ وأي مصيبة ؟ !

عندها يأتي الفرج وتنزل السكينة على نبينا ﷺ يأتي الربط والتثبيت على قلبه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) [العنكبوت :٦٥]
(٢) [الفتح : ٤]
(٣) [الفتح :١٨]

الذبح:-

ثم انتقل المؤلف رحمه الله إلى ذكر عبادة ماليه بدنية وهي من أفضل العبادات و أجل الطاعات وهي دليل صدق الإيمان وسمو النفس وفيها التقرب إلى الله بالذبح وقال: **وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَه وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**(١).

وَمِنَ السنة: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله».

الذبح هو: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص . (٢)

والذبح أنواع:

ـ **الأول:** الذبح لله و المقصود به التقرب لله جل وعلا وتعظيمه والتقرب إليه على الوجه الذي شرعه .

تذبح الذبيحة بسكين حادة ـ وتوجه للقبلة ـ ويسمى على الذبيحة.

لا تذبح لصنم ولا لقبر ولا تذبح بالزهق بحيث ترمى من فوق جدار وكذلك المتردية والنطيحة فهذه كلها لا تحل إنما تذبح بالطريقة المشروعة السابقة .

وهذه عبادة عظيمة ومن أجل الطاعات .

ودليل الإيمان واليقين وحسن الظن بالله عزوجل .

ـ **الثاني:** إكرام الضيف وهذه الذبيحة تذبح لوجه الله ولكن يراد بها إكرام الضيف وهذه جائزة .

الثالث: الذبح للأكل أو التجارة ونحوها فهذه كلها من الوجوه المباحة .

---

(١) [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين (ص : ٦٦)

الرابع: الذبح الشركي هو أن تصرف لغير الله بأن تذبح للأصنام أو للقبور تعظيماً لها أو التماس شفاعتها أو تقرباً لها أو نحو ذلك سواء كان المذبوح بعيراً أو بقرة أو شاة أو دجاجة أو أصغر من ذلك ولو ذباباً!! كلها من الشرك .

لذلك جاء في السنة «لعن الله من ذبح لغير الله » واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، وإذا ذبحه للقرابين فهذا شرك وكفر .

ويدخل في هذا من يذهب للكاهن أو المشعوذ ويطلب منه ذبح ديك مثلاً فهذا الشخص يظن أنه من العلاج والشخص الذي يأمره بذلك يتقرب إلى الجن والشياطين بهذه الذبيحة فهذا شرك أكبر . حتى لو جهل لأنه وجب عليه أن يتعلم فالعلم ولله الحمد منتشر فيجب عليه السؤال والتعلم . ولا يغتر بذلك وهذه تقع كثيراً في بعض القرى ، إذا جاءهم المريض للتداوي طلبوا منه الذبح في مكان ما أو بعضهم إذا سكن بيت جديد طلبوا منه ذبح شاة مثلاً عند الباب ، فهذا المراد بها التقرب للجن والشياطين فهذا كله شرك وتقرب لغير الله.

النذر:-

وقال المؤلف رحمه الله :**ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾**[1]

النذر : هو إيجاب الإنسان على نفسه شيئاً لم يجب عليه . [2]

سواء كان صدقة أو طاعة أو عبادة وهذا يقع كثيراً مثلاَ شخص يقول نذرت لله إن شفيت أن أتصدق بكذا ألف أو أنحر بعيراً هذه عبادة ويكره فعلها؛ لأن الإنسان يلزم نفسه بما ليس عليه.

---

(١) [الإنسان: ٧]

(٢) شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح آل الشيخ (ص : ١١٨)

و إذا دخل في النذر يجب عليه الوفاء قال تعالى : ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ فجاء بالثناء على من يوفي بالنذر ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾[١] أي عسير كثير الأهوال " مستطير " منتشر وقاسياً على الناس إلا من رحم الله .

جاء في الحديث « مَن نذَر أنْ يُطيعَ اللهَ فلْيُطِعْه ومَن نذَر أنْ يعصيَ اللهَ فلا يعصِه »[٢].

فمن نذرا أن يعمل أمراً حلالاً فاليوف بنذره، كصيام أو كذبيحة أو صدقة لله تعالى .

لكن إذا نذر لغير الله كشخص قال إذا نجح ابني من المدرسة سأذبح للولي أو للصنم فهذا لا يوفى بنذره؛ لأنه شرك .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

" فمن نذر لغير الله فهو مشرك أعظم من شرك الحلف بغير الله"[٣].

كفارة النذر : ـ

اذا نذر نذراً ولم يستطع الوفاء به فكفارته كفارة يمين .

عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو صيام ثلاثة أيام .

قال ابن باز رحمه الله عندما سئل عن امرأة عجزت عن الوفاء بالنذر: ـ

" ... فتكفر كفارة يمين والحمد لله إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم هذه كفارة اليمين عشرة فقراء تعشيهم أو تغديهم أو تعطي كل واحد نصف صاع من التمر أو الرز ونحوهما من قوت البلد، أو تكسوهم على قميص قميص لكل واحد فإن عجزت تصوم ثلاثة أيام فالمقصود أنها تفعل ما تستطيع إذا

---

(١) [الإنسان:٨]

(٢) صحيح ابن حبان رقم (٤٣٨٧)

(٣) الفتاوى٣٣ / ١٢٣ .

كان نذر طاعة تؤدي الطاعة حسب طاقتها وإن عجزت تبقى في ذمتها، فإن كان المنذور مكروهًا أو محرمًا لم تفعله وعليها كفارة يمين". [١]

أما إذا نذر نذر شرك أو معصية لا يلزمه الوفاء به والدليل عن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال« لا وَفاءَ لنَذرٍ في معصيةٍ، ولا فيما لا يَملِكُ العبدُ »[٢].

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ أدلة اثبات ربوبية الله تعالى .

ـ بيان بإن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده .

ـ توضيح أنواع العبادة .

ـ معنى الإسلام والإيمان والإحسان.

ـ الفرق بين الإسلام والإيمان .

ـ توضيح أركان كلاً من الإسلام . والإيمان . والإحسان.

ـ بيان أنواع العبادات القلبية وشرح كل نوع من هذه العبادات وهي:- الخوف ، التوكل ، الإنابة ، الخشية ، الرجاء ، الاستعانة ، الاستغاثة ، الاستعاذة ، الذبح ، النذر .

ـ أدلة العبادات القلبية .

ـ أقوال العلماء في العبادات القلبية .

ـ توضيح الفرق بين العبادات القلبية وأنواعها .

ـ بيان قسم كل نوع من هذه العبادات القلبية .

ـ توضيح أصول الاستعاذة بالله .

ـ صيغ الاستعاذة بالله .

---

(١) موقع سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله

(٢) أخرجه مسلم (١٦٤١)

مواضع الاستعاذة بالله تعالى .

ـ توضيح معنى الذبح وأنواعه .

ـ بيان معنى النذر .

ـ بيان كفارة النذر .

المتن

الأَصْلُ الثَّانِي

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

المرتبة الأولى: الإسلام

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1]

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2] وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

---

(١) [آل عمران، ١٨].

(٢) [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

الشرح

قال المؤلف رحمه الله : **(الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة)** يعنى أن الإسلام يعرف بالأدلة من الكتاب والسنة .

وذكر المؤلف عدة مسائل وهي مسائل الدين ولا يعذر أحد بجهلها.

ومن هذه المسائل : ـ

تعريف الإسلام .

ماهي مراتبه ؟

ما معنى لا إله إلا الله ؟

ما تعريفها ؟

ما أركانها ؟

ما شروطها ؟

قال المؤلف رحمه الله : ـ

الإسلام:-

(وهو الاستسلام لله بالتوحيد وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ)

فالتعريف اشتمل على ثلاثة مسائل مهمة هي معنى الإسلام .

الركن الأول من التعريف هو " الاستسلام لله بالتوحيد "

أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاما شرعياً وذلك بتوحيد الله عز وجل وافراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب . [١]

وهذا معنى الدين القائم وهو الدين الذي لا يقبل من العبد ديناً سواه. لابد للعبد معرفة من هو معبوده ومن هو ربه ويعرف أيضاً ما هو الدين الذي

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين / (ص : ٦٨)

ينتسب إليه فهذا هو الأصل الثاني من أصول الدين. فالله عزوجل خلقنا لنعبده ونعتنق هذا الدين، وهذا الدين ليس ديناَ مجهولاً، بل قائم بأدلته العظيمة من الكتاب والسنة بنور وبرهان وبصيرة ولهذا بيَّن أركانه وأهم ما يجب فيه.

فأولاً: الاستسلام بالذل، والخضوع له سبحانه، وإفراده بالربوبية، والملك، والخلق، والتدبير.

وإفراده جل وعلا في جميع أنواع العبادة وهذه هي حقيقة دين الإسلام بأن يسلم العبد أفعاله لله سبحانه وتعالى.

وهذا معنى " **لا إله إلا الله** " والمسلم سمى مسلماً لخضوع جوارحه لطاعة ربه جل وعلا.

فالاستسلام يأتي بمعنى الخضوع ومعنى الانقياد ومعنى العبودية لله سبحانه جل وعلا.

فمن استسلم لله واستسلم لغيره فهو مشرك. لذلك يجب أن يستسلم العبد لله سبحانه وتعالى.

وأعظم ما يصد الإنسان عن الاستسلام الكبر والحسد والجهل وسوء الظن بالله جل وعلا، فإبليس امتنع عن السجود حسداَ لآدم عليه السلام واليهود لم ينقادوا لدين الإسلام حسداً وكبراً وترفعاً أن يكون هناك نبوة في غير اليهود، فأعرضوا عن دين الإسلام وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم.

فدين الإسلام يقوم على ثلاث أسس يجب على المسلم أ ن يعتقدها.

أولاً: الاستسلام لله بالتوحيد.

ثانياً: الانقياد له بالطاعة. بفعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

ثالثاً : البراءة من الشرك وأهله . وهي أحد ركني التوحيد الذي يبنى عليها " لا إله إلا الله "

" البراءة من الشرك أي أن يتبرأ منه، ويتخلى منه وهذا يستلزم البراءة من الشرك وأهله قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (١) (٢).

فهذه تسمى الأسس التي يقوم عليها دين الإسلام

قال والدين:(**وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ**)

يقصد المؤلف رحمه أن دين الإسلام يقوم على ثلاث مراتب وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فكل مرتبة من هذه المراتب لها تعريف ولها أركان .

أولها الإسلام ويمثل بدائرة كبيرة ثم يأتي بعدها دائرة الإيمان ثم دائرة أصغر وهي دائرة الإحسان. وهذه ثلاث مراتب .

إذا دخل الإسلام ارتقى إلى الإيمان ثم ارتقى إلى الإحسان .

إذا خرج من الإحسان يدخل في الايمان، وإذا خرج من الإيمان يدخل في الإسلام، وإذا خرج من الإسلام خرج من الدين بالكلية، فالدين عظيم لا يخرج أحد منه إلا ببينة وبرهان وقامت عليه الأدلة أنه خرج من الدين فلا يستطيع أحد أن يخرج أحد من الدين أو يكفره إلا ببينة وشاهد واعتراف بلا تأويل أو إكراه.

أما التكفير جزافاً فهذا من الكبائر ومن قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما .

---

(١) [الممتحنة: ٤]

(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين (ص : ٦٩)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا قال الرجلُ لأخيهِ يا كافِرُ باءَ بِه أحَدُهما »[١].

وهذه من المسائل المهمة ومن العلم الضروري الذي يجب على كل مسلم أن يتعلمه ويعلمه ، فيجب علينا أن نعلِّم ابناءنا وبناتنا ونتعلم فيما بينا ونتدارس هذه المسائل فيما بيننا ونراجعها ونحفظها .

وقال المؤلف رحمه الله : (**فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ**) .

فَأولها : " شهادة أن لا إله إلا الله وإن ﷺ رسول الله "

هي عبارتين ولكنها ركن واحد لماذا ؟

لماذا لم يفصل بينهما ؟

لأنه لا يقبل العمل إلا بشرطين وهما الإخلاص والاتباع فالإخلاص يكون بشهادة أن لا إله إلا الله "

والإتباع يكون بشهادة أن محمد رسول الله .

ولاتقوم واحدة دون الأخرى فمن شهد أن لا إله إلا الله شهد أن محمد ﷺ رسول الله .

لانه لم يعرف لا إله إلا الله إلا عن طريق رسول الله ﷺ ومن شهد أن محمد رسول الله فقد شهد أن لا إله إلا الله . فهما شهادتين لكنهما في المعنى ركن واحد .

" ومعنى لا إله إلا الله " لا معبود بحق إلا الله "

---

(١) البخاري (٦١٠٣)

فمن كان يصلي ويصوم ويحج ولكنه يقر بالشرك ويصحح معتقد المشركين فليس بمسلم فلذلك مهم معرفة لا إله إلا الله ومهم معرفة أركان لا إله إلا الله . لأنها لا تقوم إلا بركنيها وهما : ـ

ـ النفي والاثبات .

النفي أولاً لأنه تخلية " فمعناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله.

(لا إله نفي جميع ما يعبد من دون الله)

إلا الله " إثبات العبودية لله وحده لا شريك له .

فلا يكون إثبات إلا بالنفي ولذلك قدم النفي على الإثبات .

وهذه مسألة مهمة وهي في تفسير" لا إله إلا الله "

لو قلنا هناك شخص يشهد أن لا إله إلا الله ولكنه يعتقد أن دين المشركين صواب ويعتقد أن هؤلاء المشركين لهم معبوداتهم وهو يعبد الله ويقول : لهم دينهم ولا يكفرهم ...

هل يكون هذا الشخص مسلم ؟ !

لا يكون مسلم لأنه لم يحقق معنى لا إله إلا الله وهو نفي جميع ما يعبد من دون الله ، و لم ينفي ، ولم يكفر معبوداتهم فلم يحقق معنى لا إله إلا الله .

فلا يكون مسلم إلا بالكفر بجميع ما يعبد من دون الله .

وهذه هي الشهادة ؟

الشهادة هي الاعتقاد الجازم وعدم التردد أو الشك بها .

فكونه يشهد بلا إله إلا الله أي يعتقد اعتقاداً جازماً بكل ما تدل عليه وهذا الاعتقاد يصل فيه إلى كونه يشاهده مشاهدة وهذا أصل الإيمان و أصل العقيدة .

لماذا نقول العقيدة ؟

أي الاعتقاد " ينعقد القلب عليها ، ومعناها اللغوي :من عقد يعقد إذا شد الحبل وأوثقه .

فالعقيدة معناها :-

العقيدة في اللغة: مأخوذة من العقْد، وهو الربطُ والشدُّ بقوة " [١]

التعريف الاصطلاحي العام:

أولاً: عُرّفت العقيدة وفق المفهوم العام بأنها ما يعقد عليه الإنسان قلبه، عقداً جازماً ومحكماً لا يتطرق إليه شك.

ثانياً: تعريف العقيدة الإسلامية:

هي: "الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته. والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره " [٢]

كأنه حبل ينشد على القلب فلا يرجع عن دينه تأتيه الشبهات وتأتيه شياطين الإنس والجن ومن يصرفه عن دينه يأتيه من يشوه عليه دين الإسلام، لكن حقائق الإسلام أصبحت بقلبه كأنه يراها بعينه .

كأنه يرى الجنة و النار وكأنه يرى وعد الله . و يرى اليوم الآخر . من قوة اعتقاده ويقينه

ـ لماذا اليقين شرط من شروط لا إله إلا الله ؟

---

(١) انظر: القاموس المحيط مادة " عقد ".

(٢) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة (ص: ١١-١٢).

لأن الشخص إذا قال لا إله إلا الله وعنده شك وليس لديه علم ولا صدق ولا يقين ويتردد في لا إله إلا الله كالمنافق أول ما تأتيه شبهه يرتد عن دينه وينقلب على عقبه .

متى يرسخ القدم في التوحيد والعقيدة ؟

إذا شهد القلب حقائق لا إله إلا الله .

إذا شهد القلب معنى لا إله إلا الله .

فهذا الأمر اعتقادي في القلب فلا إله إلا الله كلمة تضئ القلب وتضئ الجوارح وتضئ الحياة ولها نور

نور الإيمان . قال تعالى ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١)

هذا النور هو نور " لا إله إلا الله "

قال ابن القيم رحمه الله :ـ

وهذا هو النور الذي أودعه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس، وأصله في قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل ثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر

فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا، فمنهم من نوره كالشمس وآخر كالقمر وآخر كالنجوم وآخر كالسراج وآخر يعطي نورًا على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ أخرى إذا كانت

---

(١) [التحريم :٨]

هذه حال نوره في الدنيا فأعطى على الجسر بمقدار ذلك، بل هو نفس نوره ظهر له عيانًا ... " (١)

لأن نور لا إله إلا الله قد ملئت قلبه وروحه فهو يقرأ القرآن ويشاهد حقائق الإيمان لذلك سميت شهادة فتقول " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد ﷺ عبده ورسوله " .

المسلم إذا دخل بالإسلام ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله إذا لم ينطقها لا يعتبر مسلم ، فلابد أن ينطقها باللسان ويعتقدها بقلبه ويعمل بها بجوارحه.

فهذه الشهادتين التي يدخل بها الإسلام .

وهذا أصل عظيم فهذا الذي يميز بين الكفر والإسلام ويميز أهل الإيمان وأهل الوحدانية وأهل الرسالة فهذا هو الأصل الذي قامت عليه الجنة وهو مفتاح الجنة " شهادة أن لا إله إلا الله " من مات عليها دخل الجنة . عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من كانَ آخرُ كلامِهِ لا إلَهَ إلَّا اللهُ دَخلَ الجنَّةَ » (٢)

وهي الكلمة الطيبة ، وهي الكلمة التي من أجلها أرسل الله الرسل وأنزلت من أجلها الكتب، ومن أجلها خلقت الجنة والنار، ومن أجله خلقت الخليقة كلها ، فهي كلمة عظيمة وهي مفتاح الجنة.

عن وهب بن منبه: " أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟!.

قال: بلى ولكن ليس من مفتاح إلا له أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح " (٣)

---

(١) التفسير القيم لابن القيم رحمه الله لسورة النور (ص / ٣٧٢)

(٢) اخرجه ابوداود (٣١١٦) واللفظ له وأحمد (٢٢٠٣٤)

(٣) رواه البخاري (١٢٣٦) ووصلة أبو نعيم في حلية الأولياء ١٦ / ٤ وانظر تغليق التعليق لابن حجر (٤٥٣ / ٢ / ٤٥٤)

فدليل الشهادة قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . (١)

" هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا الأصل العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد وبطلان الشرك .

وأما شهادة الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله.

وأما شهادة أهل العلم ؛ فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه...وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلا، ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم

(١) [آل عمران: ١٨]

من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه، ولما قرر توحيده قرر عدله، فقال:

قائمًا بالقسط أي: لم يزل متصفا بالقسط في أفعاله وتدبيره بين عباده، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهى عنه، وفيما خلقه وقدره، ثم أعاد تقرير توحيده فقال ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

واعلم أن هذا الأصل الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة النقلية والأدلة العقلية، حتى صار لذوي البصائر أجلى من الشمس..." (١)

وهذه أعظم شهادة فهذه آية عظيمة امتدح الله بها أهل العلم وبين الله تعالى أنهم شهدوا أن لا إله إلا الله .

وشهادته سبحانه هي أعظم شهادة في الوجود قال تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله :ـ

قُلْ لهم - لما بينا لهم الهدى، وأوضحنا لهم المسالك ﴿ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ على هذا الأصل العظيم .﴿قُلِ اللهُ أكبر شهادة﴾، فهو ﴿ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ فلا أعظم منه شهادة، ولا أكبر، وهو يشهد لي بإقراره وفعله، فيقرني على ما قلت لكم، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ *

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي (ص : ١٠٨) طباعة ١٤٢٤هـ
(٢) [الأنعام : ١٩]

لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ فالله حكيم قدير فلا يليق بحكمته وقدرته أن يقر كاذبا عليه زاعما أن الله أرسله ولم يرسله وأن الله أمره بدعوة الخلق ولم يأمره وأن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم ونساءهم وهو مع ذلك يصدقه بإقراره وبفعله فيؤيده على ما قال بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة وينصره ويخذل من خالفه وعاداه فأي شهادة أكبر من هذه الشهادة؟.

وقوله ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ أي: وأوحى الله إليَّ هذا القرآن الكريم لمنفعتكم ومصلحتكم لأنذركم به من العقاب الأليم والنذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به من الترغيب والترهيب وببيان الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة التي مَن قام بها فقد قبل النذارة فهذا القرآن فيه النذارة لكم أيها المخاطبون وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية.

لما بيّن تعالى شهادته التي هي أكبر الشهادات على توحيده قال قل لهؤلاء المعارضين لخبر الله والمكذبين لرسله . "

﴿أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ ﴾ أي إن شهدوا فلا تشهد معهم.

فوازِنْ بين شهادة أصدق القائلين ورب العالمين وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة على توحيد الله وحده لا شريك له وشهادة أهل الشرك الذين مرجت عقولهم وأديانهم وفسدت آراؤهم وأخلاقهم وأضحكوا على أنفسهم العقلاء .بل خالفوا بشهادة فطرهم وتناقضت أقوالهم على إثبات أن مع الله آلهة أخرى مع أنه لا يقوم على ما قالوه أدنى شبهة فضلا عن الحجج واختر لنفسك أي الشهادتين إن كنت

تعقل ونحن نختار لأنفسنا ما اختاره الله لنبيه الذي أمرنا الله بالاقتداء به فقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي منفرد لا يستحق العبودية والإلهية سواه كما أنه المنفرد بالخلق والتدبير ﴿ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأوثان والأنداد وكل ما أشرك به مع الله فهذا حقيقة التوحيد إثبات الإلهية لله ونفيها عما عداه. (١)

قال الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله : ـ

" في الآية الكريمة شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم بذلك وأنه تعالى قائم بالقسط أي العدل ثم قرر ذلك بقوله: ﴿لا إِلَهَ إِلّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء معه ومع الملائكة والمراد بهم أولو العلم بشريعته ويدخل فيهم دخولاً أولياً رسله الكرام. وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد هو الله وملائكته، وأولو العلم، والمشهود به توحيد الله في ألوهيته وتقرير ذلك ﴿لا إِلَهَ إِلّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢)

(**نافياً**) المكلف (**جميع ما يعبد من دون الله**) من القبور والأشجار والأحجار وغيرها، فالموحد يعتقد ويقول أنا لا أعبد أي معبودٍ كان إلا الله فهو الذي أعبده وحده " (٣)

ويطهر القلب عن كل ما سوى الله ، تصفية القلب والاعتقاد، فينبغي للمسلم أن يكون اعتقاده صافياً من الشرك الأصغر ومن التعلق بغير الله .

---

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي / (ص : ٢٤٢)
(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين (ص : ٧١)
(٣) المرجع السابق.

" إلا الله " مثبت العبادة لله وحده فلا يعبد إلا الله فهو سبحانه لا شريك له في عبادته وألوهيته .

ومعنى (**إلا الله**) أي : (**مثبتاً العبادة لله وحده**) فلا أعبد أحداً غيره ، وهو سبحانه (**لا شريك له في عبادته**) وألوهيته (**كما أنه**) جل وعلا (**لا شريك له في ملكه**) وربوبيته ، أي فكما أنه سبحانه المتفرد في ملك هذا الكون لا شريك له فيه ، فواجب أن يفرد في العبادة . (١)

فمن خلق فقد ملك ومن ملك فلابد أن يحكم فنقول إفراده جل وعلا بالخلق والملك والتدبير .

وهذا يستلزم افراده بالعبودية فتوحيد الربوبية هو دال على توحيد الألوهية ومستلزم له

شروط لا إله إلا الله :ـ

١-الْعِلْمُ :بِمَعْنَاهَا الْمُرَادِ مِنْهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ بِذَلِكَ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَاعْلَمْ أنه لا إله إلا الله﴾ (٢)

٢-اليقين : ـ المنافي للشك وذلك بِأَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَدْلُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ يقيناً جازماً.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصادقون ﴾ (٣)

٣- القبول - :المنافي للرد- لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه.

فالمشركون لم ينفوا ما نفته هذه الكلمة وَلَمْ يُثْبِتُوا مَا أَثْبَتَتْهُ بَلْ قَالُوا إِنْكَارًا وَاسْتِكْبَارًا "

---

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول للشيخ عبد المحسن القاسم (ص : ١٢٦)

(٢) [محمد : ١٩]

(٣) [الحجرات : ١٥]

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لشيء عجاب﴾ (١)

وقال تعالى فيهم :ـ

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لشاعر مجنون﴾ (٢)

٤ – الانقياد – لما دلت عليه هذه الكلمة – المنافي للترك.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وأسلموا له﴾

٥ – الصِّدْقُ :ـ فِيهَا الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَهَا صدقاً من قلبه يواطيء قلبه لسانه

قال تعالى : ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين﴾(٣)

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّار» .

فَاشْتَرَطَ فِي إِنْجَاءِ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنَ النَّارِ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قلبه فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب." (٤)

وهذا الصدق ينعكس على اللسان وينعكس على الأقوال والأفعال إذا كنت صادق في " لا إله إلا الله "

يستلزم الصدق في جميع أمور حياتك . صادق مع الناس وصادق في أقوالك وصادق في صلاتك وصادق في صيامك وفي أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صادق مع أولادك ففي الحديث .

---

(١) [ص : ٥]
(٢) [الصافات : ٣٥ . ٣٦]
(٣) [العنكبوت : ٢ . ٣]
(٤) انظر مختصر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (ص : ٨٠ . ٨٢)

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ، وَإِنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا».(١)

٦ -**الْإِخْلَاص**:-وهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جميع شوائب الشرك، ولا يكون له من وراء الشهادتين غرض آخر غير قصده لربه، فتارك الإخلاص لم يستكمل شروط لا إله إلا الله ولو كان منقاداً صادقاً مستيقناً.

قال تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ ﴾(٢)

٧ـ **الْمَحَبَّةُ** :- لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ، وَلِأَهْلِهَا الْعَامِلِينَ بِهَا الْمُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا، وَبُغْضٍ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ .قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله ﴾ (٣) فأخبر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشْرِكُوا مَعَهُ فِي مَحَبَّتِهِ أَحَدًا كَمَا فَعَلَ مُدَّعُو مَحَبَّتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَنْدَادًا يحبونهم كحبه .(٤)

فحبك للصلاة والقرآن والصيام وجميع أعمال البر.. كله ينعكس على محبتك لإله إلا الله .

إذا امتلأ القلب بحب لا إله إلا الله امتلأ بحب الله وبالتالي حب كل ما يحب الله عزوجل

ـ زاد بعض العلماء الشرط الثامن وهو :

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧)

(٢) [الزمر : ٣]

(٣) [البقرة : ١٦٥]

(٤) مختصر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (ص : ٨٢ ـ ٨٣)

٨ - **الكفر بما سوى الله من المعبودات** ، والبراءة من الشرك وأهله قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا ﴾ (١)

علم يقين إخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لهـــا

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوى الإله من الأشياء قد ألها(٢)

وهذه التي تسمى نواقض الإسلام العشرة .

المسائل المستفادة من الدرس :-

١ـ أسس الإسلام التي قام عليها الدين الإسلامي .

وهي الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

٢ ـ تعريف مراتب الدين .

٣ ـ بيان أن لكل مرتبة منزلة وأركان .

٤ ـ توضيح أن أعلى مراتب الدين الإحسان ويليها الإيمان ثم الإسلام .

٥ ـ بيان معنى لا إله إلا الله وأركانها .

٦ ـ تفسير قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .(٣)

٧ ـ بيان أنها شهادة عظيمة قام عليها الدين وأصل عظيم يتميز به كل مسلم عن أهل الكفر.

٨ ـ شروط لا إله إلا الله والأدلة على كل شرط .

---

(١) [البقرة:٢٥٦]

(٢) معارج القبول للشيخ الحافظ الحكمي ص .. (١ /٣٧٧)

(٣) [آل عمران:١٨]

المتن

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1] وقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

الشرح

المؤلف رحمه الله فسر لا إله إلا الله وجاء بأدلة من الكتاب والسنة فقال : وتفسرها أي تفسير لاإله إلا الله فالهاء تعود إلى " لا إله إلا الله " لأن بعض الناس قد يقول لا إله إلا الله ولكن لا يعرف تفسيرها كثير من الناس يقول "لا إله إلا الله " ولكن لا يعرف نواقضها.

يرتكب شيء من نواقضها من شرك أو سحر وهو يقول لا إله إلا الله ويعتقد أنه من أهلها وهو قد خرج منها .

" يخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ الذين اتخذوا من دون اللهّ آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي: مبغض له، مجتنب معاد لأهله، ﴿إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي﴾ فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، فـ ﴿سَيَهْدِينِ ﴾ لما يصلح ديني وآخرتي ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم

---

(١) [الزخرف: ٢٦ . ٢٨].

الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة للهّ وحده، والتبرِّي من عبادة ما سواه.

﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي: ذريته

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ إليها ﴿يَرْجِعُونَ﴾ لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، توصية بعض بنيه -كإسحاق ويعقوب- لبعض، كما قال تعالى: ـ ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[١] إلى آخر الآيات

فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطغيان." [٢]

ولهذا أمرنا الله تعالى أن نتأسى بأمام التوحيد في نفيه وإثباته فتبين أن معنى " لا إله إلا الله " : هي البراءة من كل ما سوى الله وإخلاص العبادة في جميع أنواعها لله سبحانه جل وعلا . الذي خلقنا والذي أرسل لنا الرسل ورضي لنا هذه الدين قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]

وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [٤]

فالله تعالى رضي لنا هذا الدين فلو لو لم يبقى في هذا الدين فخراً إلا أنه الدين الذي ارتضاه لنا لكفانا شرفاً وفخراً .

المسألة مهمة وهي من تفسير" لا إله إلا الله "

النفي والاثبات هي معنى لا إله إلا الله وهي تفسير " لا إله إلا الله"

---

(١) [البقرة:١٣٠]

(٢) تفسير الامام عبد الرحمن السعدي (ص : ٧٣١) طباعة عام ١٤٢٤هـ

(٣) [آل عمران: ٨٥].

(٤) [المائدة:٣]

لا تقبل لا إله إلا الله إلا إذا قالها بصدق ويقين وكفر بجميع ما يعبد من دون الله .

فهذه مسألة مهمة ويبغى لها توضيح وبيان ، الكفر بالطاغوت ليس كلمة تقال باللسان .

لا تصحح مذهب المشركين ، لا تصحح دينهم فهذه كلها أديان باطلة فيجب عليك أن تكفر بجميع ما يعبد من دون الله ، وهذا معنى لا إله إلا الله ، وتفسير لا إله إلا الله ، وهذا هو الدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ ، وهذا التوحيد الذي قام به سيد الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام .

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

" أي: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: هلموا نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدال، ثم فسرها بقوله ﴿ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ فنفرد الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء ولا نشرك به نبيا ولا ملكا ولا وليا ولا صنما ولا وثنا ولا حيوانا ولا جمادا ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ بل تكون الطاعة كلها لله ولرسله، فلا نطيع المخلوقين في معصية الخالق، لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية، فإذا دعي أهل الكتاب أو غيرهم إلى ذلك، فإن أجابوا كانوا مثلكم، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن تولوا فهم معاندون متبعون أهواءهم فاشهدوهم أنكم مسلمون، ولعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك وأنتم أهل العلم على الحقيقة، كان

ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين، وأيضا فإنكم إذا أسلمتم أنتم وآمنتم فلا يعبأ الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم ولخبث طويتهم، كما قال تعالى ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الآية وأيضا فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية مما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه ويعلن بإسلامه، إخبارا بيقينه وشكرا لنعمة ربه. "[1]

وهي الكلمة التي دعا إليها جميع الرسل وهي كلمة الحق كلمة التوحيد أن لا نعبد إلا الله .

ولا نشرك به شيئاً . (شيئاً) نكره في صيغة النفي تفيد العموم ولبيان أن الله لا يقبل شرك حتى وإن كان شيء بسيط (مثال) الذي قرب الذباب .. فعن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي –رضي الله عنه– أنه قال: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ". قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: "مَرَّ رَجُلاَنِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالُوا: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، قَالَ: فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، قَالَ: فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلآخَرِ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، قَالَ: مَا كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهَّ، قَالَ: فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، قَالَ: فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»[2].

هذا الذي قرب ذباب كالذي قرب جمل لا فرق بينهما ؛ لأن العبرة بما قام بالقلب من الاعتقاد وصحة العمل لذلك قال تعالى : ﴿ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ لا وثناً ولا صنماً ولا صليباً ولا غيرها ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك

(١) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (للشيخ عبد الرحمن السعدي ص : ١٢١ ـ ١٢٢)
(٢) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، وصححه الألباني موقوفًا على سلمان.

له ، وهذه دعوة جميع الرسل قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (١)

والآية الثانية فيها مناظرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

فقوله " قل يأهل الكتاب " جامعة " تعالوا " هذه كلمة جامعة للتوحيد الذي جاء به جميع الأنبياء وجاء به موسى وعيسى عليهم السلام . فعيسى وموسى لم يأتوا بالشرك ولا بعبادة غير الله ولا عبدوا الصليب إنما عبدوا الله جل وعلا ، وهذه الكلمة أجمعت عليها أنبياء الله ورسوله صلوات الله عليهم وسلامة .

﴿سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: نحن وإياكم سواء في هذه الكلمة أن لا نعبد إلا الله ولانشرك به شيء ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . وهذا معنى لا إله إلا الله . وهذه الآية آية عظيمة ومن الآيات التي جاءت فيها دعوة أهل الكتاب إلى هذا الدين العظيم . وهذه كلها تفسير لا إله إلا الله " ، ما دلالة هذه الآية :﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

اشتملت على تفسير لا إله إلا الله نفي واثبات:

﴿بَرَآء﴾نفي العبادة من دون الله والتبرأ منه وأهله

﴿إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى﴾ إثبات العبادة لله وحدة لا شريك له واستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية

ليبين أن الله ابتدأه بالخلق والفطرة فهو أولى بالعبادة ، فإذا خلق وفطر فيجب عبادته وحده لا شريك له .

كيف يخلق ويعبد غيره ؟

---

(١) [الأنبياء: ٢٥] تيسر الوصول شرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم ص (١٣٣)

كيف يخلق ويعبد معه إله آخر ويُشرك معه مخلوق ضعيف وهو الخالق سبحانه وتعالى ؟

فهذا من الاستدلال بتوحيد الربوبية على الألوهية قال تعالى :

﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]

له الخلق والأمر الكوني والشرعي ولهذا يجب عبادته وحده لا شريك له وهذا يدل عليه العقل .

فالله خلقك وأعطاك ورزقك، وشق سمعك وبصرك، وأخرجك من بطن أمك، وبعد ما تكبر تعبد غيره ، تجعل معه شريك، وتعبد مخلوق مثلك ضعيف يموت ويهرم ويمرض ويجوع ويعطش .

وهذه من أدلة التوحيد وأدلة لا إله إلا الله .

(١) [البينة: ٥].

المتن

وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[٢]

ودَلِيلُ الصِّيَام: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣]

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[٤]

الشرح

قال المؤلف رحمه الله: وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥]

وهذا الأصل الثالث وهو معرفة النبي ﷺ

---

(١) [التوبة: ١٢٨].
(٢) الأعراف ٥٤
(٣) [البقرة: ١٨٣].
(٤) [آل عمران: ٩٧].
(٥) [التوبة: ١٢٨].

قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعرفون نسبه وحسبه
﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ "بفتح الفاء ، أي : من أشرفكم وأفضلكم .
﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ " شديد عليه
﴿مَاعَنِتُّمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ضللتم
﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي : على إيمانكم وصلاحكم . وقال قتادة: حريص عليكم أي : على ضالكم أن يهديه الله .
﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ "قيل : رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين" (١)

وهذا معنى محمد رسول الله ومعناها : " الإقرار باللسان والتصديق بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله عزوجل إلى جميع الخلق من الجن والأنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٣).

فهو نذير للعالمين وعام للبشرية فرسالته عامة ليست خاصة كالأنبياء الذين قبله ، وهذا الدين الحق قائم منذ بعثته لم يزل ولم يُنسى ولم يذهب منه شيء بل محفوظ حتى بالحرف الواحد فالقرآن حفظه الله وتولى حفظه فلو يزاد حرف واحد لظهر وبان حتى لعامة الناس ، بل لو أن أحداً أنكر حرف من القرآن كفر ، فالله نزل الذكر وحفظه سبحانه . فهذا دين عظيم محفوظ ، حفظ الله الكتاب ، وحفظ الله السنة ، (صحيح البخاري وصحيح مسلم) .

(١) انظر تفسير الإمام البغوي (ص : ٥٩٣) الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ طباعة دار ابن حزم
(٢) الذاريات ٥٦
(٣) [الفرقان :١]

السنة التي حفظت وقيض الله لها رجال مخلصين جمعوها وأفنوا أعمارهم في جمعها وفي حفظها، ولم يفت منها شيئاً، فالآحاديث وصلت الملايين من الصحيح والحسن والضعيف، كلها محفوظة، لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، فالله توعد بحفظه، وتوعد بأنه دينٌ قائمٌ إلى قيام الساعة ، بل سيبقى قائماً وسيدخل الأرض كلها ويبلغ ما بلغ الليل والنهار، سيدخل كل بيت مدر ووبر، ولن يبقى مكان إلا وسيدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل وهذه آية على صدق هذا الدين ، وأنه الدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ .

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلَّا أدخله الله كلمة الإسلام، بِعزِّ عَزِيزٍ، أو ذُلِّ ذَلِيلٍ، إمَّا يُعِزُّهم الله، فيجعلهم من أهلها، أو يُذِلهُّم، فيدينون لها »[1]

عن تميم الدَّاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لَيَبْلُغن هذا الأمر ما بلغ اللَّيل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ[2] ولا وَبَرٍ [3]إلَّا أدخله اللهُ هذا الدِّين، بِعِزِّ عَزِيزٍ أو بِذُلِّ ذَليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر » [4]

---

(١) رواه أحمد (٤/٦) (٢٣٨٦٥)، والطَّبراني (٢٥٤/٢٠) (٦٠١)، وابن حبان (٩١/١٥) (٦٦٩٩)، والحاكم (٤٧٦/٤)، والبيهقي (١٨١/٩) (١٩٠٨٩). قال ابن عساكر في مُعْجَم الشيوخ (٤١٧/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧/٦): رجاله رجال الصَّحيح. وحسَّن إسناده الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٣٩)، وصحَّحه الوادعي في الصَّحيح المسند (١١٥٩) .

(٢) مدر: الطين الصلب. شرح النووي على مسلم (٦٩/ ١٨)

(٣) وبر: صوف أو شعر. تحفة الأحوذي لعبد الرحمن المباركفوري (٤١٩ / ٦)

(٤) رواه أحمد (١٠٣/٤) (١٦٩٩٨)، والطَّبراني (٥٨/٢) (١٢٨٠)، والحاكم (٤٧٧/٤)، والبيهقي (١٨١/٩) (١٩٠٨٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧/٦): رجاله رجال الصَّحيح. وقال الألباني في تحذير الساجد (١٥٨): على شرط مسلم، وله شاهد على شرط مسلم أيضًا.

بل ننظر للحب الذي في القلوب للنبي محمد ﷺ ونحن لم نراه وهذا من دلائل النبوة، وكذلك صدق رسالته وإخباره بأشياء كثيرة ستقع في الأمة ، ووقعت كلها كما قال عليه الصلاة والسلام .

هل يعقل أن يكون هذا النبي كاذب ؟!

كيف يحصل هذا ؟! لو أن شخصاً أخبرك بأخبار، وقال هذه الأخبار ستقع بعد ألف سنة أو بعد عشر سنوات، ثم تقع مثل ما أخبر بعد مئات السنين ؟!

وهذا نبي يخبرنا عن أحداث وتقع كما قال عليه الصلاة والسلام .

كل شيء أخبرنا به وقع أخبرنا بأشراط الساعة وأخبرنا بأحداث أخر الزمان وكلها وقعت وهذه تدل على صحة رسالته ودلائل صدق نبوته ﷺ .

أدلة صدق نبوته قائمة في كل شيء ومن أعظم أدلة صدقه القرآن الذي بين أيدينا ، هذا القرآن المعجزة القائمة إلى قيام الساعة ، هذا الكتاب الذي يتجدد مع الأيام ، يحفظه الصغير والكبير لم يذهب منه حرفاً واحداً . التوراة والإنجيل حُرفت وضُعيت وبُدلت ولكن هذا القرآن لم يضيع منه حرفاً واحداً .

قال : (**وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله**)

(شهادة) تشهد وتقر وتعرف شهادة عظيمة أنه عليه الصلاة والسلام رسول الله ﷺ .

ماذا يجب عليك تجاه هذه الشهادة ؟

هذه شهادة أنت ملزم بها شهادة أن محمد رسول الله ﷺ

قال : (**طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ**) .

فهذه مستلزمات الإقرار بإن محمد رسول الله فهي ليست كلمة تقال باللسان ؟

هذه شهادة وإلزام وتتمثل بكل ما أمرك وطاعته فيما أمر وتطيعه بكل شيء جاء به .

قال ابن القيم رحمه الله:

"الشهادة لرسول الله بأنه نبي لا تُدخل الإنسان في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فشهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية دينًا لم تُدْخِلهُ هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمَّل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة، وأنه صادق، ولم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علِمَ أن الإسلام أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد، والتزام طاعته ودينه ظاهرًا وباطنًا" (١)

فهذه أمور مهمة وهذا الدروس العملية من دروس التوحيد والعقيدة ، نريد أن نرى واقعنا في شهادة أن محمد رسول ﷺ ، نحبه عليه الصلاة والسلام ، ونقر أنه نبي، ونؤمن بدينه وبرسالته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾(٤)

---

(١) زاد المعاد (٣ / ٦٣٨)
(٢) [ال عمران:١٩]
(٣) [النساء : ٨٠]
(٤) [الحشر : ٧]

فهذين الأصلين الذي يرجع إليهما دين الإسلام، طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.

وقال ﷺ :« إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » متفق عليه [١].

في هذا تعظيم الأمر والنهي وتعظيم سنته عليه الصلاة والسلام

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله قالَ: فَبَلَغَ ذلكَ امْرَأَةً مِن بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ القُرْآنَ، فأَتَتْهُ فَقالَتْ: ما حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فَقالَ عبدُالله: وَما لِي لا أَلْعَنُ مَن لَعَنَ رَسولُ الله ﷺ ؟ وَهو في كِتَابِ الله فَقالتِ المَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ ما بيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَما وَجَدْتُهُ فَقالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقَدْ وَجَدْتِيهِ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهَاكُمْ عنْه فَانْتَهُوا﴾ .... » [٢] * .

---

(١) صحيح البخاري رقم (٦٨٥٨) ٦ / ٢٦٥٨، وصحيح مسلم رقم (١٣٣٧) ٢ / ٩٧٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢١٢٥)

* وهذا رد لمن يطعن في السنة وفي الطعن في صحيح البخاري وصحيح مسلم نقول لهم : إن الطعن في صحيح البخاري وصحيح مسلم هو الطعن في نبوة النبي محمد ﷺ .

فمن طعن في سنته عليه الصلاة والسلام فقد طعن في نبوته، ومن أنكر سنته فقد أنكر دينه .

كيف نعبد الله إلا عن طريق السنة ؟

فتفاصيل الصلاة وركعاتها ووقتها لا نعرفها إلا من السنة .

لا يوجد في القرآن آية تقول إن وقت العصر من الساعة كذا إلى كذا، ولا ركعات العصر أربع ركعات. أو الفجر ركعتان. فقد جاءت الآية عامة أقيموا الصلاة ، أما التفصيل في السنة. فمن ينكر السنة سينكر الدين كله .

=

تأمل فقه ابن مسعود رضي الله عنه، فالمرأة لم تجد آية تنهى عن الوشم، ولا آية تنهى عن نمص الحواجب، ولا يوجد آية تنهى عن الكبائر ، ولكن جاءت عامة وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(١).

وهذا هو الإقرار برسالة النبي محمد ﷺ

(وأن لا يعبد الله إلا بما شرع) *

وبالتالي ينكر رسالة النبي محمد ﷺ.

فيجب الحذر فهذه مطاعن وأساليب المنافقين والمبغضين لهذا الدين فقد بدأوا بالأعلى وطعنوا البخاري ليسقط ما تحته وطعنوا فيه لأنه إذا سقط الأعلى سقط كل ما تحته إذا أنكروا البخاري سقطت كل كتب السنة . لأنه أصح كتاب بعد كتاب الله .

وعلى كذا لا نعرف صلاة ولازكاة ولا حج ولا دين لأنه لا يوجد في القرآن تفصيل لذلك .

(١) [الحشر : ٧]

* فلا نعبد الله إلا بشريعة محمد ﷺ لا نأخذ البدع والخرافات ونبتدع بديننا ونقول هذه سنة والناس غالباً تميل للبدعة وهناك من يزينها ويفتتن بها . نتعجب من سؤال الناس عن البدع فمثلاً في شهر رجب الناس تسأل عن البدع .

لماذا لا يسأل عن السنة ؟

لماذا لا يسأل عن سنة رسول ﷺ في رجب ؟

ماهي سنة رسول الله ﷺ في رمضان ؟

ماهي سنة رسول ﷺ في الأعياد ؟

السنة تستلزم منا صبر و استعانة بالله بالثبات عليها .

القوا نظرة على بيوتكم وأحوالكم وأبناءكم وبناتكم ولباسكم وصلاتكم هل هي على وفق ما يحب رسول هـ.

فالرسول ﷺ قال " صلوا كما رأتموني أصلي "

هل صلينا كما صلى عليه الصلاة والسلام ؟

قال ﷺ " خذوا عني مناسككم "

هل حججنا كما أمرنا ؟

هل صمنا كما صام رسول ﷺ ؟

إذا دخل رمضان أقيمت البدع والاحتفالات هل نسأل أنفسنا كيف كان رسول ﷺ يصوم ؟

ما هي سنته عليه الصلاة والسلام في الصيام ؟

وما هو هديه ﷺ في عبادته ؟

=

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بالإخلاص في العبادة لله، موحدين ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام "[1]

فإذا أسست القاعدة العظيمة " التوحيد " يأتي بعدها .

﴿ويقيموا الصلاة﴾ بأركانها وواجباتها في أوقاتها كما أمرك الله .

السؤال: ماهي أركان الصلاة ؟

ماهي واجبات الصلاة ؟

ماهي سنن الصلاة ؟

ماهي شروط الصلاة ؟

فمن نقص ركن من أركان الصلاة بطلت الصلاة .

فهذه الصلاة أمرها عظيم وهي عهد بين العبد وربه من تركها عامداً جاحداً لها كفر .

قال الرسول في الحديث : « العهدُ الذي بينَنا وبينَهم الصلاةُ فمَن تركَها فقد كفرَ »[2]

قال تعالى : ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[3]

فالسنة محفوظة نقلوها أصحابه رضي الله عنهم وما جاء بعدهم ، نقل لنا كل شيء كما قال أبو ذر رضي الله عنه: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً. قال: وقال رسول الله ﷺ : " ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا بين لكم"، فالصحابة نقلوا كل شيء فعله رسول ﷺ في صلاته وفي سائر عباداته وأحواله ﷺ، ولا عذر لمن لم يتعلمها .

(١) تفسير البغوي (ص : ١٤٢٦) الطبعة الثانية لعام ١٤٣٥هـ دار ابن حزم.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٨٧)

(٣) [التوبة :١١]

نحتاج مع الصلاة أن نتعلم إقامتها كما كان رسول الله ﷺ يقيمها ، ولا تكون كأنها روتين يصلي الشخص ينقر صلاته ولا يطمئن في سجوده ولا يطمئن في قيامه ، وتأمل حديث المسيء في صلاته .

«أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ علَى النبيِّ ﷺ، فَرَدَّ وقالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كما صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ علَى النبيِّ ﷺ، فَقالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا، فَقالَ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقالَ: إذَا قُمْتَ إلى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ ما تَيَسَّرَ معكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وافْعَلْ ذلكَ في صَلَاتِكَ كُلِّهَا». (١)

قال له علمني . هذا منهج نبوي الذي لا يعرف يصلي (يتعلم) .

﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ عند محلها، ﴿وَذَلِكَ﴾ الذي أمروا به، ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي الملة والشريعة المستقيمة. أضاف الدين إلى القيِّمة وهي نعته، لاختلاف اللفظين، وأنَّث « القيِّمة » ردًا بها إلى الملة.

وقيل: الهاء فيه للمبالغة، وقيل: « القيِّمة » هي الكتب التي جرى ذكرها، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به، كما قال:﴿وَأَنْـزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ " (٢)

وكذلك الصيام ركن من أركان الإسلام

(١) رواه البخاري (٧٥٧)

(٢) [البقرة:٢١٣] ، تفسير البغوي (ص : ١٤٢٦) الطبعة الثانية لعام ١٤٣٥هـ دار ابن حزم.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]

أي: يُخبِر اللهُ تعالى المؤمنينَ به وبرسولِه مِن هذه الأمَّةِ بفَرْض عِبادةِ الصِّيام عليهم "[٢].

والصِّيام: هو التعبُّدُ لله تعالى بالإمساكِ عن الأكْلِ والشُّرب والجِماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ."[٣]

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ.﴾

أي: فُرِضَت عليكم عِبادةُ الصِّيام كَما فُرِضت أيضًا على الأُممِ السَّابِقة ."[٤]

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: من أجل الوصولِ بصِيامِكم إلى مَرتبةِ التَّقوى .[٥]

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ تفسير كلمة التوحيد من خلال قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلا الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون ﴾.

---

(١) [البقرة : ١٨٣]

(٢) يُنظر: تفسير ابن جرير (١٥٢/٣)، تفسير ابن كثير (٤٩٧/١)، تفسير القرطبي (٢٧٢/٢). وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، قال: (إذا سمعتَ اللهَ يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فأرْعِها سمعك؛ فإنَّه خيرٌ يَأمُر به، أو شرٌّ يَنهى عنه) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٦/١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٣٠/١)، وصحَّح إسنادَه أحمدُ شاكر في عمدة التفسير (٦١٩/ ١)

(٣) يُنظر: تفسير ابن جرير (١٥٢/٣)، تفسير ابن كثير (٤٩٧/١)، مجموع فتاوى ابن تيميَّة) (٢٢٠ / ٢٥)

(٤) يُنظر: تفسير ابن كثير (٤٩٧/١)، تفسير السعدي (ص: ٨٦). وقيل: التشبيه في أصل فرض الصَّوْم، لا في قدْره وكيفيَّته ووقته. وهذا اختيار ابن القيم في جلاء الأفهام (ص: ٢٨٤)، وابن عاشور في تفسيره (١٥٦/٢-١٥٧)، وابن عثيمين في تفسير الفاتحة والبقرة (٣١٦/٢-٣١٧).

(٥) يُنظر: تفسير ابن عطية (٢٥٠/١)، تفسير القرطبي (٢٢٦/١-٢٢٧)، تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيميَّة (٢٧٥ / ١).

ـ استدلال إبراهيم عليه السلام بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية .

- أركان (لا إله إلا الله) النفي والإثبات ، النفي لجميع ما يعبد من دون الله، واثبات العبادة لله وحده .

ـ التوحيد هي الكلمة التي دعا لها جميع الأنبياء عليهم السلام .

ـ الاعتقاد يكون بالقلب وصحة العمل .

ـ مناظرة اليهود والنصارى .

ـ الأصل الثالث معرفة النبي عليه الصلاة والسلام .

ـ أهمية أركان الإسلام .

ـ توضيح أهمية الصلاة وأنها عمود الدين الإسلامي .

ـ فريضة الصيام على أمة محمد ﷺ والأمم من قبلهم .

ـ الصيام من أسباب التقوى .

المتن

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ... "

الشرح

هذه المرتبة هي أساس الدين من لم يوجد عنده أصل الإيمان لا يكون مسلم، من لم يكن في قلبه شيء من الإيمان فهو منافق ويسمى الزنديق وهذا كافر ومنافق ، نفاق أكبر .

فمسألة الإيمان مرتبطة بالإسلام فمن لم يوجد في قلبه أصل الإيمان فليس بمسلم ، فالمراتب متداخلة مع بعضها فمرتبة الإيمان أعظم من مرتبة الإسلام وكذلك الإحسان أعظم وأعلى من مرتبة الإيمان .

ومسائل الإيمان خاض فيها أهل البدع وزلت فيها أقدام كثير من الناس ، وانقسم فيها الناس إلى فرق كثيرة وبدع وضلال كثير أفضى إلى ضياع الدين ولم يبقى من الدين إلا رسمه حتى قال بعضهم يكفي أن يعرف بالقلب كما كان عليه الجهمية وغيرهم، فقالوا يكفي في الإيمان المعرفة حتى أنهم جعلوا فرعون مؤمناً على المعرفة ، وإبليس وهما رؤوس الكفر ، وكادت تطمس معالم هذا الدين لولا أن الله قيض لهذا الدين من يجدده ويذب عنه من علماء أهل السنة في كل قرن رحمهم الله تعالى.

المسائل التي يجب على الإنسان معرفتها في مسائل الإيمان : ـ

ـ تعريف الإيمان .

ـ شعب الإيمان .

ـ تفاوت شعب الإيمان .
ـ الإيمان يزيد وينقص .
ـ الأعمال جزء من الإيمان وأدلة من القران والسنة على ذلك .
ـ خوارم الإيمان .
ـ نواقض الإيمان .
ـ أركان الإيمان .
ـ الفرق بين شعب الإيمان وأركان الإيمان .

معنى الإيمان :

الإيمان لغة : التصديق .

اصطلاحاً : تصديق بالجنان، وقول باللسان ، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وبعبارة أخرى الإيمان (اعتقاد القلب، إقرار اللسان، عمل الجوارح) ، وهو (قول وعمل) .

الإيمان شرعاً :ـ

يتضمن أموراً أربعة كما هو مفصل في الفقرة التالية:-

ب- الإيمان قول وعمل:

أي: قول بالقلب واللسان، وعمل بالقلب واللسان والجوارح، وفيما يلي بيان كل منها:

١- قول القلب: وهو تصديقه وإيقانه. قال تَعَالَى. ﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلك جزاء المحسنين﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ (أي: صدقوا ثم لم يشكّوا)

٢- قول اللسان: وهو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمها. قَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يحزنون﴾ وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَنِّي رَسُولُ اللهَّ ... » .

٣-عَمَلُ الْقَلْبِ: وَهُوَ النِّيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ وَالِانْقِيَادُ وَالْإِقْبَالُ عَلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ ولوازم ذلك وتوابعه، قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يريدون وجهه﴾، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تليت عليهم آياته زداتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ، وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهَّ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دنيا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» ، وَقَالَ ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

٤-عَمَلُ اللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ: فَعَمَلُ اللِّسَانِ مَا لَا يُؤَدَّى إِلَّا بِهِ كَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْأَذْكَارِ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَغَيْرِ ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدي إلا به كالقيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مما في شعب الإيمان قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تجار لن تبور﴾ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ

الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّايِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ (١).

الفرق بين الإسلام والإيمان : ـ

الْأُولَى: أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الْإِفْرَادِ غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بِذِكْرِ الْإِسْلَامِ فَحِينَئِذٍ يُرَادُ بِهِ الدِّينُ كُلُّهُ، القول والعمل.

والثانية: أن يطلق مَقْرُونًا بِالْإِسْلَامِ وَحِينَئِذٍ يُفَسَّرُ بِالِاعْتِقَادَاتِ الْبَاطِنَةِ كَمَا في حديث جبريل وما في معناه

وكقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في كثير مِنَ الْآيَاتِ، وَكَقَوْلِهِ ﷺ «اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفِّهِ عَلَى الْإِيمَانِ» وَذَلِكَ أن الأعمال بالجوارح إنما يتمكن منها في الحياة أما عِنْدُ الْمَوْتِ فَلَا يَبْقَى غَيْرُ قَوْلِ الْقَلْبِ وعمله.

أما أمثلة الحالة الأولى فمنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُورِ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٢).

فالإسلام يدل على الأعمال الظاهرة .

والإيمان يدل على الأعمال الباطنة . " بشرط أن يكون في القلب أصل الإيمان "

وجاء التفريق بينهما في الحديث جبريل عندما سأله رسول الله ﷺ فقال له ما الإسلام ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ": اسم (الإيمان) تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإسلام ، ولا باسم العمل الصالح ، ولا غيرهما ، وتارة يذكر

---

(١) مختصر معارج القبول للشيخ الحكمي ص : " ١٥١. ١٥٢ " الطبعة السابعة عشر دار الصفوة للنشر.

(٢) مختصر معارج القبول . للشيخ الحكمي (ص : ١٥٠) الطبعة السابعة عشر دار الصفوة للنشر.

مقرونا بالإسلام كقوله في حديث جبرائيل : (ما الإسلام ... وما الإيمان)، وكقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[١]، وقوله عز وجل : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[٢].

وقوله تعالى : ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣] ، فلما ذكر الإيمان مع الإسلام: جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة : الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج.

وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وإذا ذكر اسم الإيمان مجردا دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة ، كقوله في حديث الشُعَب : «الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق»

وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان"[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

"إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان ، وعمل الجوارح ، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان ، وضعيف الإيمان ، قال الله تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا

(١) [الأحزاب:٣٥]
(٢) [الحجرات:١٤]
(٣) [الذاريات:٣٦]
(٤) مجموع الفتاوى باختصار (٧/ ١٣.١٥) .

أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، ومن المنافق ، لكن يسمى مسلما ظاهرا ، ولكنه كافر باطنا.

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله ، ولا يصدر إلا من المؤمن حقا كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1].

وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى ، فكل مؤمن مسلم ولا عكس".[2]

ويؤكد ابن تيمية هذا المعنى أيضاً بقوله: "الإسلام فرض، والإيمان فرض، والإسلام داخل فيه، فمن أتى بالإيمان الذي أمر به فلابد أن يكون قد أتى بالإسلام المتناول لجميع الأعمال الواجبة، ومن أتى بما سمي إسلاماً لم يلزم أن يكون قد أتى بالإيمان إلا بدليل منفصل [3].

وخلاصة القول أن يقال: الإيمان هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان عند الإطلاق؛ لأن الإيمان تصديق القلوب وكل ما يتعلق بالإسلام من قول وعمل، والإسلام كذلك هو الانقياد لله والخضوع له بتوحيده والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه، فإذا أطلق أحدهما شمل الآخر، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾ يعني والإيمان داخل في ذلك أما إذا جمعا فإن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة، إذا جمع بينهما كما في حديث جبريل لما سأل النبي عن الإسلام والإيمان، فسر له النبي الإسلام بالأمور الظاهرة كالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، مع

---

(١) [الأنفال:٢-٤]
(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٩٢)
(٣) الإيمان لابن تيمية (ص : ٣٥٠)

بقاء أصل الإيمان في القلب ، وفسر له الإيمان بأمور باطنة قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)

شعب الإيمان : ـ

الإيمان بضع وستون شعبة ... قال رسول اللهَّ ﷺ : «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَدْنَاهَا اِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ» .

" الإيمان عند جمهور أهل السنة له شعب متعددة، كما أخبر بذلك أعلم الخلق ﷺ في حديث شعب الإيمان، وكل شعبة منه تسمى إيماناً، فالصلاة وسائر أعمال الجوارح من الإيمان. والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والرجاء من الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة تفاوتا عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب ". (١)

شعب الإيمان كثيرة : ـ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

" الشعبة من الثلاثة إلى التسعة فيدخل فيها مسائل كثير من صلاة النوافل وصلاة الليل فكلما زدت زادت شعب الإيمان ، وكذلك الصيام ما بين صيام النفل وصيام عاشورا وصيام الاثنين والخميس والزكاة ويتبعها الصدقة من

(١) كتاب الصلاة لابن القيم رحمه الله تعالى ص : ٥٣" بتصرف

اطعام الطعام والتسبيح والذكر وقراءة القرآن كلها من شعب الإيمان وكلها تزيد الإيمان .

فتخيل عندك رصيد وكل يوم تزيده ، فكل يوم ربح ما فيه خسارة، الخسارة الذنوب والمعاصي فإذا فعل المعاصي نزل رصيده من سوق هذه الأرباح، فمازال يخسر حتى يخرج من دينه ، ففي يوم القيامة أول ما يحاسب عليه الصلاة، فإذا كانت ناجحة أفلح ونجا أما إذا فيها تقصير ينام عنها ، يؤخرها عن وقتها ، لا يقيمها بالشكل المطلوب ينقص أجره فيقول الله عزوجل هل لعبدي من نوافل ؟

فتجبر النقص الذي كان في الفرائض وهكذا .

إنسان آذى الناس بلسانه اغتاب أو ظلم الناس ، انتهك أعراضهم يأتي يوم القيامة يؤخذ من حسناته ويعطى الناس مقابل أذيته لهم بلسانه ، أذيته لهم في أعراضهم وفي أموالهم ، وإذا انتهت حسناته يؤخذ من سيأتهم وتوضع عليه، ميزان دقيق وحساب دقيق .

نسأل الله أن ينجينا من أهوال ذلك اليوم .

قال : **" والحياء شعبة من الإيمان "**

ماهو هذا الحياء ؟

هذا الحياء خُلق عظيم وهو خُلق يُفطر عليه العبد وهو خلق

" يحمل المرء على فعل ما يُجمل ويُزين ، ويمنعه من فعل ما يدنس ويشين "[1]

(١) تيسير الأصول شرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ١٤٢)

وأخبر النبي ﷺ «أن الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه [١]

والنبي ﷺ موصوف بالحياء وكان أشد الناس حياء من العذراء في خدرها وهذه الصفة اتصف بها الأنبياء والرسل ومنهم موسى عليه السلام .

جاء في وصف موسى عليه السَّلام أنَّه كان حييًّا ستِّيرًا، حتى كان يستر بدنه، ويستحي أن يظهر ممَّا تحت الثِّياب شيئًا حتى ممَّا ليس بعورة. وبسبب تستُّره الزَّائد، آذاه بعض بني إسرائيل في أقوالهم، فقالوا: ما يبالغ في ستر نفسه إلَّا مِن عيب في جسمه، أو مِن أُدْرَة .[٢]

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ موسى كان رجلًا حييًّا ستِّيرًا، لا يُرَى مِن جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه مِن بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التَّستُّر إلَّا مِن عيب بجلده، إمَّا برص وإمَّا أُدْرَة وإمَّا آفة. وإنَّ الله أراد أن يبـرِّئه ممَّا قالوا لموسى فخلا يومًا وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثمَّ اغتسل، فلمَّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملإٍ مِن بني إسرائيل، فرأوه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه ممَّا يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه، فو الله إنَّ بالحجر لندبًا .[٣] مِن أثر ضربه ثلاثًا، أو أربعًا، أو خمسًا، فذلك

(١) صحيح البخاري رقم (٥٧٦٦) ٥ / ٢٢٦٧ ، وصحيح مسلم رقم (٣٧) ١ / ٦٤ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) الأُدْرَة: نفخة في الخصية. لسان العرب لابن منظور (١٥ / ٤)

(٣) الندب: الآثر الباقي في الحجر من ضرب موسى -عليه السلام- له. فتح الباري لابن رجب (٣٣٠ / ١) .

قوله﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(١)(٢)(٣).

فالإيمان شعب ومنازل فهناك منزلة عالية، وهناك منزلة أدنى من ذلك وهكذا .

الإسلام دين عظيم أي شيء تقدمه مكتوب لك وأي عمل مهما كان قليل يتقبله الله منك ويثيبك عليه ؛ هذا الرجل الذي أماط غصن من قارعة الطريق فكان سبب في دخوله الجنة .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ « لقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ.» (٤)

فلا تستصغر العمل فقد يدخلك الله الجنة بهذا العمل لإنك فعلت العمل بصدق وإخلاص فليست العبرة بكثرة العمل فقد يكون العمل كبير ولكنه رياء وسمعة، وأحياناً يكون العمل صغير ولكنه خالصاً لوجه الله فيتقبله الله عزوجل ويكون سبباً في دخول الجنة .

زيادة الإيمان ونقصانه

ومن عقيدة السلف الصالح – أهل السنة والجماعة – التي أجمعوا عليها: أن الإيمان يزيد وينقص، وأهله يتفاضلون فيه. فقد وردت أدلة كثيرة من الآيات والأحاديث، ومن أئمة السلف الصالح على أن الإيمان درجات

---

(١) [الأحزاب: ٦٩]

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٤)

(٣) وهذا فيه لفتة للمرأة المسلمة أن تتصف بهذا الحياء وأن تتصف بلباس المؤمنات ولا تظهر مفاتن جسمها ولا تتعرى ولتستتر لأن هذا الخلق هو خلق عظيم ومن أخلاق أهل الإسلام ومن أخلاق الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه . ما أحوج المرأة المسلمة لهذا الخلق وهذا الخلق يبدوفي لباسها وحياءها وصوتها ، لا ترفع صوتها أمام الرجال وإذا خرجت من منزلها خرجت متحجبة ومتحفظة هذا هو خلق الحياء الذي يجب على المرأة المسلمة متصفة به وهو شعبة من شعب الإيمان .

(٤) أخرجه مسلم (١٩١٤)

وشعب، يزيد وينقص. الإيمان يزيد: بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان؛ كالطاعات والعبادات؛ من التصديق والمعرفة والعلم، وذكر الله تعالى، والحب والبغض في الله، والخوف والرجاء من الله، والتوكل على الله.. الخ، والقيام بجميع شعائر الدين من الأعمال الصالحة. الإيمان ينقص: بأعمال القلب والجوارح وبقول اللسان؛ كفعل المعاصي والمنكرات، وارتكاب الذنوب والكبائر، والأقوال والأفعال الرديئة، وبغفلة القلب ونسيان ذكر الله تعالى، وبالحسد، والكبر، والعجب، والرياء، والسمعة، والجهل، والإعراض، والتعلق بالدنيا، وجميع الأعمال الطالحة.

ـ والزيادة قد وردت في القرآن في عدة آيات ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة ربهم، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان [1]

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو.

"﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ وهموا باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم يزدهم ذلك إلا إيمانا بالله واتكالا عليه ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾أي: كافينا

(١) انظر: تفسير ابن سعدي رحمه الله (ص : ٣٠٨) الطبعة السابعة لعام ١٤٣٠هـ

كل ما أهمنا ﴿ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ "المفوض إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم" (١)

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾(٢)

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إلَيْهِ فيها أبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُها وهو مُؤْمِنٌ. وعَنْ سَعِيدٍ، وأَبِي سَلَمَةَ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ إلَّا النُّهْبَةَ». (٣)

ـ نقل جملة من الآثار عن السلف والصحابة منها: قول عمر بن عبد العزيز:" الإيمان له فرائض وسنن وحدود" ، وسننا أي : الإيمان يشتمل على (شرائع وحدود وسنن وواجبات) فمن استكملها استكمل الإيمان فأهل التوحيد يتفاوتون، فمنهم كامل الإيمان ،ومنهم ناقص الإيمان، ومع ذلك لا يخرج من الإسلام فيعتبر مسلم مالم يأتي بناقض من نواقض الإسلام ..

وأهل الإيمان في ثلاث مراتب ..

ـ السابقون المقربون، وهؤلاء فعلوا ما أمرهم الله تعالى به، وتركوا ما نهاهم الله عنه، واجتبوا المحرمات

وتركوا المنهيات وتورعوا عن فضول المباحات .

---

(١) انظر: تفسير ابن سعدي رحمه الله (ص : ١٤٥) الطبعة السابعة لعام ١٤٣٠ هـ

(٢) [التوبة: ١٢٤-١٢٥]

(٣) رواه البخاري (٢٤٧٥)

ـ دونهم المقتصد وهم أصحاب اليمين الأبرار . هؤلاء قاموا بالواجبات وتركوا المنهيات .

ـ دونهم الظالم لنفسه وهؤلاء اقتصروا على الفرائض ولم ينتهوا عن المحرمات .

قال ابن كثير رحمه الله : (فمنهم ظالم لنفسه) وهو : المفرط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات . (ومنهم مقتصد) وهو : المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات . (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) وهو : الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات. [١]

متى ينتفي الإيمان :ـ

-بالكفر الأكبر.

-النفاق الاعتقادي .

-الشرك الأكبر.

تعريف الكفر الأكبر :ـ

وهو يناقض الإيمان، ويخرج صاحبه من الإسلام، ويوجب الخلود في النار، ويكون بالاعتقاد، وبالقول، وبالفعل، وبالشك والريب، وبالترك، وبالإعراض، وبالاستكبار.

فالكفر أنواع كثيرة؛ من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له، ولا تنفعه الشفاعة يوم القيامة . [٢]

---

(١) تفسير ابن كثير (ص ٤٣٨)

(٢) انظر الإيمان حقيقته . خوارمه نواقضه عند أهل السنة . عبد الله عبد الحميد الأثري (ص٢٤٦)

وانواعه خمسة : ـ

١ - كفر التكذيب، وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرا أو باطنا فقد كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَما جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾

٢ - كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

٣ - كفر الشك، وهو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَاكَ رَجُلًا لَكِنا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾.

٤ - كفر الإعراض، والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَما أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ .

٥ – كفر النفاق، والمراد النفاق الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر[١] والدليل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾[٢].

تعريف النفاق الاعتقادي : ـ

ـ معنى النفاق " مخالفة الظاهر للباطن "

تعريف النفاق لغة –

مصدر: نافق – يقال: نافق ينافق نفاقا ومنافقة، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره، فإنه إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه – وقيل هو من النفق، وهو السرب الذي يستتر فيه .

أما النفاق في الشرع فمعناه: إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر. سمي بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر. وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٣]

أي الخارجون من الشرع. وجعل الله المنافقين شرا من الكافرين فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[٥] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا

---

(١) مدارج السالكين (١ / ٣٤٦)

(٢) انظر كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة المؤلف: نخبة من العلماء الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ –مقدمة الكتاب لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ (ص : ٦٥، ٦٦) ، ومختصر معارج القبول (ص :١٥٣) الطبعة السابعة عشر ١٤٣١هـ

(٣) [التوبة: ٦٧]

(٤) [النساء: ١٤٥]

(٥) [النساء: ١٤٢]

أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ - فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١] [٢].

أنواع النفاق :ـ

النفاق نوعان : نفاق أكبر ونفاق أصغر

النفاق الأكبر هو النفاق الاعتقادي

ـ النفاق الاعتقادي، وهو النفاقُ الأكبر الذي يُظهر صاحبُه الإسلامَ، ويُبطِن الكفرَ، وهذا النوع مُخرِج من الدين بالكلية، مثل: الكفر، وعدم الإيمان، والاستهزاء بالدِّين وأهلِه، والسخرية منهم، والميل بالكليةِ إلى أعداء الدِّين ومن أنواعه : تكذيب الرسولِ ﷺ، وبُغْضُه، وبُغْضُ ما جاء به، وكراهية الانتصار له .

ـ النوع الثاني: النفاقُ العَمَلي، وهو عملُ شيءٍ من أعمال المنافقين، مع بقاءِ الإيمان في القلبِ، وهذا لا يُخرِج من الملَّة ومثاله ماذكر في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال : قال الرسول ﷺ « أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، ومَن كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّى يَدَعَهَا: إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[٣]

أما تعريف الشرك الأكبر فهو:ـ

أن يتخذ العبد مع الله نداً يسوِّيه به في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته. وهو أعظم ذنب عصي الله به، فهو أكبر الكبائر، وأعظم الظلم؛ لأن الشرك صرف خالص حق الله تعالى – وهو العبادة – لغيره، أو وصف أحد من خلقه

(١) النهاية لابن الأثير (٥ / ٩٨)
(٢) [البقرة: ٩ – ١٠] ، النهاية لابن الأثير (٥ / ٩٨)
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٩)، ومسلم (٥٨)

بشيء من صفاته التي اختص بها – عز وجل –، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١) .

ولذلك رتّب الشرع عليه آثاراً وعقوبات عظيمة، أهمها:

– إن الله لا يغفره إذا مات صاحبه ولم يتب منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (٢)

للشرك الأكبر ثلاثة أقسام رئيسة هي:

القسم الأول: الشرك في الربوبية:

وهو أن يجعل لغير الله تعالى معه نصيباً من الملك أو التدبير أو الخلق أو الرزق الاستقلالي.

القسم الثاني: الشرك في الأسماء والصفات:

وهو: أن يجعل لله تعالى مماثلاً في شيء من الأسماء أو الصفات، أو يصفه تعالى بشيء من صفات خلقه. فمن سمّى غير الله باسم من أسماء الله تعالى معتقداً اتصاف هذا المخلوق بما دل عليه هذا الاسم مما اختص الله تعالى به، أو وصفه بصفة من صفات الله تعالى الخاصة به فهو مشرك في الأسماء والصفات. وكذلك من وصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين فهو مشرك في الصفات.

القسم الثالث : الشرك في الألوهية :

وهو اعتقاد أن غير الله تعالى يستحق أن يعبد أو صرف شيء من العبادة لغيره. (٣).

---

(١) [لقمان: ١٣]

(٢) [النساء: ٤٨، ١١٦] .

(٣) انظر كتاب مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية د . عبد الله عبد العزيز الجبرين ص : (٨٧- ٩٣)

وأنواعه خمسة هي:

أولاً: شرك العبادة.

ثانياً: شرك الشفاعة.

ثالثاً: شرك الطاعة والاتباع.

رابعاً: شرك الدعاء .

خامساً : شرك المحبة .

أولاً: شرك العبادة

وقد ذكر الله عز وجل هذا الشرك في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

والعبادة هي الطاعة، وأصل العبودية الخضوع والتذلل، يقال طريق معبد إذا وطئته الأقدام (٢) .

وهي في الشرع كما سبق تعريفها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هي "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة" (٣) . ومن تعريفها اللغوي يتبين أن العبادة لابد أن يصاحبها خضوع وتذلل لله عز وجل والعبادة تشمل – كما سبق – جميع ما يحبه الله من صلاة وصوم، وحج، وصدقة، وجهاد، وصلة أرحام، وتلاوة قرآن، وذكر، ودعاء .. الخ، فمن صرف شيئاً من ذلك لصنم، أو ولي، أو كوكب، أو قبر، فقد أشرك في عبادته والله غني عن الشرك، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة

---

(١) [يونس:١٨].

(٢) انظر لسان العرب مادة (عبد) (٣/٢٧٠-٢٧٨).

(٣) رسالة العبودية، ص٤.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غير، تركته وشركه» (١) .

ثانياً: شرك الشفاعة:

وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢)

وفي نفيها قال جل وعلا: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٣)

إذن فالشفاعة بمعنى ضم شيء إلى آخر مساوياً له أو دونه لإعانته أو التوصل إلى محبوب عنده.

وهي تعني عند المشركين دعاء غير الله والتوجه إليه بالعبادة والتضرع والرغبة والرهبة والمحبة وسؤاله الحاجات، ليكون ذلك وسيلة إلى نيل ما عند الله عز وجل (٤) .

والشفاعة نوعان:

الأولى: شفاعة منفية .

والثانية: شفاعة مثبتة.

---

(١) رواه مسلم كتاب في الزهد والرقائق باب من أشرك في عمل غير الله، رقم ٢٩٨٥ (ج/٤/٢٢٨٩) ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من طريق آخر عن أبي هريرة بمعناه (ج/٣٤٠).

(٢) [يونس:١٨].

(٣) [يونس : ٣]

(٤) انظر جامع البيان (٩٨/١١).

أولاً: الشفاعة المنفية:

وهي المذكورة في قوله تعالى:ـ ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُون ﴾[١]

فطالبوا الشفاعة من غير الله مشركون، لا تنفعهم شفاعتهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُون ﴾ .[٢]

ثانياً: الشفاعة المثبتة:

فهي المذكورة في قوله تعالى﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[٣]

وهي ثابتة في السنة بشروط هي:

١- الرضا عن الشافع وكونه أهلاً للشفاعة .

٢- الإذن من الله عز وجل في الشفاعة

٣- الرضا عن المشفوع له .

فهؤلاء المشركون محرومون من شفاعة الشافعين لأن الله عز وجل ليس راضياً عنهم جزاء كفرهم وتكذيبهم، والله عز وجل لا يرضى إلا عن أهل التوحيد[٤] .

ثالثاً: شرك الطاعة والاتباع:

إن من أعظم الذنوب، وأشدها عند الله عز وجل، الاعتداء على خصائص الربوبية، من قبل بشر لا يستطيعون لأنفسهم نفعاً ولا رشداً، زاعمين أن لهم سلطان التشريع، وتحليل ما حرمه الرب عز وجل ، قال تعالى :﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم

(١) [الانعام : ٥١]

(٢) [الزمر:٤٣-٤٤].

(٣) [يونس:٣].

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٤/٣٨٠-٣٨٢) وانظر (١٤/٤١٤)، ومدارج السالكين (١/٣٤٠-٣٤١).

مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[١].

رابعاً: شرك الدعاء :

إن دعاء غير الله عز وجل من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله عز وجل، فالدعاء هو العبادة كما جاء في الحديث (الدعاء هو العبادة) [٢] .قال تعالى :﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٣].

والدعاء على نوعين : ـ

الأول: دعاء المسألة.

الثاني: دعاء العبادة.

وهما متلازمان فكل من دعا بكشف الضر، وسؤال الحاجات فقد عبده، وغالب ما جاء في القرآن ما ذكر ودعاء المشركين لآلهتهم، فالمراد به دعاء العبادة [٤] .[٥]

خامساً : شرك المحبة

ـ النوع الثالث من الشرك المحبة : ـ

قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

---

(١) [يونس : ٥٩]

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير في تفسير سورة المؤمن من حديث النعمان بن بشير قال: سمعت النبي ﷺ يقول .. الحديث وفي آخره ثم قال "وقال ربكم ادعوني استجب لكم" الآية ٦٠ غافر رقم ٣٢٤٤ (ج٣٧٢/٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وفي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء من طريق آخر عن النعمان بن بشير به رقم ٣٣٦٩ (٩٢/٩) ورواه الإمام أحمد عن النعمان بن بشير به (٢٦٧/٤، ٢٧١، ٢٨٦)، ورواه ابن ماجة في كتاب الدعاء باب فضل الدعاء من طريق آخر عن النعمان بن بشير بنحوه رقم ٢٨ ٣٨ (١٢٥٨/٢) وعزاه العجلوني في كشف الخفاء لمسلم (٤٨٥/١) وهو وهم.

(٣) [غافر : ٦٠]

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٠/١٥-١٣).

(٥) انظر كتاب أصول الاعتقاد في سورة يونس د . قذلة محمد القحطاني (من ص : ٧٥ . ١٠٥) الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١)، يحبون الله، ويحبون أصنامهم، ولكن لم تنفعهم هذه المحبة؛ لأنهم أشركوا في المحبة ، ووقعوا في الشرك

قال ابن زيد: "هؤلاء المشركون، أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع الله، يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشد حباً لله من حبهم هم لآلهتهم" (٢).

قال الإمام ابن القيم في تفسير هذه الآية: " أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا(٣).

فالمراد إذن بشرك المحبة: محبة العبودية المستلزمة للإجلال، والتعظيم، والذل، والخضوع التي لا تنبغي إلا لله وحده لا شريك له، ومتى صرف العبد هذه المحبة لغير الله فقد أشرك به الشرك الأكبر" (٤).

نواقض الإسلام :ـ

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: اعلم أن نواقض الإسلام عشرة :

١- الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾(٥)

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة. كفر إجماعاً.

٣- من لم يكفر المشركين، أوشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم. كفر إجماعاً.

---

(١) [البقرة : ١٦٥].

(٢) جامع البيان (٣/٢٨٠) .

(٣) التفسير القيم لابن القيم /(ص :١٣٩).

(٤) انظر كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (ص : ٦٣) ، شرح القواعد الأربعة د . قذلة محمد القحطاني

(٥) [النساء: ١١٦] .

٤- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر.

٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعاً. والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[١]

٦- من استهزأ بشيء من دين الله، أو ثوابه، أو عقابه، كفر والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[٢]

٧- السحر، ومنه الصرف، والعطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾[٣]

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٤]

٩- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام، فهو كافر.

١٠- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[٥].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطرا وأكثر ما

---

(١) [محمد: ٩].
(٢) [التوبة: ٦٥، ٦٦].
(٣) [البقرة: ١٠٢].
(٤) [المائدة: ٥١].
(٥) [السجدة: ٢٢].

يكون وقوعا فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم . "[١]

أركان الإيمان :ـ

أركان الإيمان بمعنى أصول ينبغي للعبد أن يكون عالماً بها ومعتقد بها وكلها تتعلق بأعمال القلوب بمعنى أن كلها عقيدة وإذا لم يرسخ القدم بهذا الاعتقاد فلن يرسخ القدم في الإسلام .

والأركان في اللغة : جمع ركن، وركن الشيء جانبه الأقوى.

أركان الإيمان ستة هي:

١- الإيمان بالله تعالى .

٢- الإيمان بالملائكة .

٣- الإيمان بالكتب .

٤- الإيمان بالرسل .

٥- الإيمان باليوم الآخر .

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

(١) كتاب متن نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (من ١ . ٥)

والدليل على هذا جواب رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان قال: «الإِيمَان أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (١).

والإيمان بالله وما بعده مندرج فيه و يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

أدلة وجود الله تعالى : ـ

دل على وجود الله تعالى الفطرة والعقل و الشرع والحس ٠

الفطرة : ـ

دلالة الفطرة فكل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم .

قال ﷺ « ما من مولود يولد إلا على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه البخاري .

قال تعالى : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٢)

لو طفل ولد ولم يؤثر عليه سيكبر موحد لله تعالى سينشئ هذا المولود على " لا إله إلا الله " ؛ لأنها فطرة ، ولكن ما الذي يغير هذا المولود ؟!.

التهويد والتمجيس والتنصر هي التي تحرف هذه الفطرة*.

---

(١) رواه مسلم (٨)

(٢) الروم (٣٠)

* لذلك لابد الحرص على الأطفال بتعليمهم الإسلام ، وغرس في قلوبهم محبة الله حتى ينشأ الطفل نقياً بإيمانه لم تفسد فطرته ، فحافظوا على هذه الفطرة ، ولا يكون الأب أو الأم سبب في تلوث هذه الفطرة ، فهذا الطفل أمانة بين يديك ، لابد من الحرص على الجوهرة التي بين يديك حتى تنشأ صافية نقية تتلقى التوحيد وتتلقى الإيمان وتتلقى القرآن . واجعل لك هدف عظيم بإن هذا الابن يلبسك التاج يوم القيامة، =

العقل :ـ

فهذه المخلوقات لابد من خالق لها ولايمكن أن توجد نفسها ومستحيل وجودها صدفة ، فهذا النظام البديع والمتناسق لابد له من خالق ذكر الله تعالى الدليل العقلي والبرهاني على وجوده قال تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخالقون أَمْ خَلَقُواْ السماوات والأرض بَل لاَّ يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ (١)

فهذا آيات عظيمة وبراهين على وجود الله عزوجل .

كيف يكون الخلق بغير خالق ؟

وكيف يكون هذا الكون بغير خالق ؟

من الذي خلق هذا الكون وسيره، ومن الذي خلقك، ومن الذي خلق أصابع يديك، ومن الذي خلق سمعك وبصرك ؟

أنه الله الواحد الذي لا إله إلا هو .

قال جبير بن مطعم رضي الله عنه : «سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هذِه الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ ، قالَ: كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ. قالَ سُفْيَانُ: فأمَّا أنَا فإنَّما سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ، عن مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبِيهِ، سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ، ولَمْ أسْمَعْهُ زَادَ الذي قالوا لِي» (٢).

فهذا مشروع كبير ليس مشروع سهل ، فهذا المشروع الحقيقي وهو مشروع الحياة ومشروع النجاح مع الدعاء لهم .

(١) [الطور : ٣٥ . ٣٧]

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٥٤)

سمع رضي الله عنه هذه الآية فغيرت كل حياته ودخل في الإسلام، وهذه براهين وآيات التوحيد، هذه الأرض التي فرشها الله تعالى وملأها بالحدائق والأنهار والزينة، وهذه السماء التي تغطينا هل يعقل أن تكون صدفة ؟

تأمل خلق الله في الشمس والجبال والكون ، فكيف بالخالق سبحانه وتعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (١).

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك :إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفها من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟ (٢).

ولهذا سئل أعرابي: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبَعْرَة تدل على البعير، فسماء ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذات فجاج، وبحارٌ ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟

ومن لم يؤمن بوجود الله ولم يوقن بوجود الله فلينكر نفسه فلينكر سمعه وبصره .

فلا إله إلا الله حتى كفار قريش كانوا يقرون بوجود الله ، لا يوجد إلحاد، حتى أبو جهل وأبو لهب ما كانوا يلحدون، كانوا يقرون بوجود الله ولكنهم لم يعبدوه فلم يقبل منهم هذا الإيمان ولم يقبل منهم هذا الإقرار ، لإنهم آمنوا

(١) [الذاريات :٢١]
(٢) كتاب شرح ثلاثة الأصول للعثيمين – الأول الإيمان بوجود الله (ص : ٨٢)

بوجوده لكنهم صرفوا العبادة لغيره . فالإلحاد ظاهرة شاذة لا يقولها إلا ناقص عقل منكر للوجود ومنكر للحس .

الشرع الكتب السماوية :

ويراد به الآيات الشرعية التي أنزلها الله تعالى على رسله ومنها : ـ

التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم والقرآن المهيمن عليها والناسخ لها ..

وهذه الكتب المعجزة ومنها القرآن الذي بين أيدينا ، فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما :أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى : ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾(٢) (٣)

فأنت تدعوا الله وتتحقق لك ما دعوت به .

من الذي سمعك وأنت ساجد لله ؟

من الذي علم ما في قلبك من الحاجات ؟

---

(١) [الأنبياء :٧٦]

(٢) [الأنفال :٩]

(٣) كتاب شرح ثلاثة الأصول للعثيمين – الأول الإيمان بوجود الله (ص : ٨٢)

إنه الله جل وعلا السميع العليم، فالله تعالى عندما نادوه ودعوه قال ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ جاءت الإجابة الفور.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال " :يا رسول الله" هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال" :يا رسول الله "تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال" :اللهم حوالينا ولا علينا"، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت ... »(١)

هذا اليس دليل صدق على وجود الله وربوبيته ، أليس دليل حسي على وجود الله ؟!*

معجزات الأنبياء دالة على وجود الله تعالى

من معجزات النبي ﷺ :

ـ **القرآن الكريم** وهو أعظم آيات النبي ﷺ؛ لأنه الآية السابقة الباقية، فمنذ أوحى الله إليه به حتى اليوم وهو آية شاهدة على نبوة محمد ﷺ

ـ ومن آيات النبي ﷺ ما أظهره الله شاهداً على صدقه **(انشقاق القمر)** فقد انشق القمر وصار فرقتين، وشاهد الناس ذلك وقد أشار الله إلى ذلك في القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمَرُ﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: رفع اليدين في الدعاء. ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء.

* فعلموا أبناءكم الدعاء والتوكل على الله ، فالله تعالى يسمعك ويبصرك وأنت في سجودك وفي ظلمة الليل جل وعلا يعلم الحوائج ويعلم مافي القلوب . وهذا يعطينا قوة اليقين بالله تعالى .

فينبغي للعبد أن يملاء قلبه بحب الله عزوجل ، ويملاء قلبه بالإيمان بالله والإيمان بوجوده تعالى .

ـ **(المعراج)** فإنه من أكبر الآيات؛ فلقد أُسري بالنبي ﷺ في ليلة واحدة إلى بيت المقدس، واجتمع هناك بالأنبياء، وصلى بهم، ثم عرج به جبريل حتى بلغ سدرة المنتهى فوق سبع سموات، وأوحى الله تعالى إليه ما أوحى، وشاهد ﷺ من آيات الله الكبرى .

ـ **(نزول المطر)** باستسقائه مباشرة و**(إقلاع المطر)** باستصحائه مباشرة .

ـ من آيات النبي ﷺ، ما رواه البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: « عَطِشَ النَّاسُ يومَ الحُدَيْبِيَةِ والنَّبيُّ ﷺ بيْنَ يَدَيْهِ رِكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ، فَجَهِشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقالَ: ما لَكُمْ؟ قالوا: ليسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ ولَا نَشْرَبُ إلَّا ما بيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ في الرِّكْوَةِ، فَجَعَلَ المَاءُ يَثُورُ بيْنَ أصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ العُيُونِ، فَشَرِبْنَا وتَوَضَّأْنَا. قُلتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قالَ: لو كُنَّا مِئَةَ ألْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً. » [١]

ـ من آيات النبي ﷺ **(تكثير الطعام)** كما جرى ذلك يوم الخندق وجرى ذلك لأبي هريرة مع أهل الصفة. عن جابر رضي الله عنه : «قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وطَحَنْتُ صَاعًا مِن شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أنْتَ ونَفَرٌ، فَصَاحَ النبيُّ ﷺ، فَقَالَ: يا أهْلَ الخَنْدَقِ إنَّ جَابِرًا قدْ صَنَعَ سُؤْرًا، فَحَيَّ هَلًا بكُمْ» [٢]

معجزات موسى عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٣].

فكان من الآيات التي جاء بها موسى عصاه التي يلقيها فتكون حية ثعباناً، ويأخذها فتعود في يده عصاه الأولى، وقد ألقاها عند فرعون حين دعاه إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) واللفظ له، ومسلم (١٨٥٦) مختصراً
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٧٠) واللفظ له، ومسلم (٢٠٣٩) مطولا
(٣) الأعراف (١٠٧ . ١٠٨)

الإيمان بالله، وكذلك كان موسى يُدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، أي من غيرعيب وبرص .

وقد ألقى موسى عصاه كذلك عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم في المجتمع العظيم، الذي قرره موسى حسب طلب فرعون أن يجعل بينه وبينه موعدًا ليغالبه في قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[1]

فعلم السحرة وهم أهل السحر وأعلم الناس به أن ما جاء به موسى ليس بسحر، وإنما هو من الأمور التي لا يمكن للبشر معارضتها ، وآمنوا ايماناً عميقاً فلم يؤثر فيهم تهديد فرعون لهم ، لانهم رأوا حقائق الإيمان .

وفي زمن عيسى عليه الصلاة والسلام

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2]

الثاني: الإيمان بربوبيته : -

توحيد الربوبية :

هو الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه، ومدبره، والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد

(١) [طه ٦٤: ٧٠]
(٢) [آل عمران: ٤٩]

لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له (ولا مماثل له)، (ولا سمي له)، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته. (١)

وملخص ذلك " إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك، والتدبير"، وتفصيل ذلك:

أولاً: إفراد الله تعالى بالخلق : ـ

فالله تعالى وحده هو الخالق ولا خالق سواه، قال الله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾(٢) وقال تعالى مبيناً بطلأن آلهة الكفار: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٣) .

فالله تعالى وحده هو الخالق، خلق كل شيء فقدره تقديراً كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(٤) .

ثانياً: إفراد الله تعالى بالملك: ـ

فالله تعالى وحده هو المالك كما قال الله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾، وقال تعالى: ﴿قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه﴾، فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله.

---

(١) أعلام السنة المنشورة لإعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ أحمد الحكمي (ص: ٣٠)
(٢) [فاطر: ٣]
(٣) [النحل: ١٧]
(٤) [الصافات: ٩٦]

ثالثاً: إفراد الله بالتدبير، (فالله عز وجل منفرد بالتدبير) :ـ

فهو الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] . وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء [٢].

فإذا ايقنت بإن الله خالق كل شيء فلابد أن يكون مالك لها فمن خلق لابد أن يملك فإذا كان الله خالق مالك ألا يستحق أن يعبد عزوجل ، ألا يستحق أن يكون هو المتصرف في هذا الكون .

معنى الرب :ـ

الرب مأخوذ من التربية قال: **"الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه"** فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمه. فهو سبحانه وتعالى مربياً لجميع الخلق بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده.﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم، والمدبر لهم كما شاء عز وجل . [٣]

الثالث: الإيمان بألوهيته

اي "بأنه وحده الإله الحق لا شريك له "و "الإله "بمعنى المألوه "أي "المعبود حبًا وتعظيماً " [٤]

وهذه أركان العبودية كمال الحب وكمال الذل لله تعالى .

---

(١) [الأعراف: ٥٤]

(٢) (مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الاول – باب التوحيد)

(٣) انظر شرح ثلاثة الأصول . للشيخ محمد بن عثيمين (ص : ٤٦)

(٤) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين (ص : ٨٥)

وقال الله تعالى : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ الرّحْمَنُ الرّحِيمُ ﴾[١].

وقال تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنّهُ لاَ إِلَهَ إِلّا هُوَ وَالْمَلاِئكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَاِئماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[٢] .وكل ما اتخذ إلها مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنّ اللّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[٣]

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في "اللات والعزى ومناة﴿: إِنْ هِيَ إِلّا أَسْمَاءٌ سَمّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[٤]

وقال عن هود أنه قال لقومه : ﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزّلَ اللّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [٥]

وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن :﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلّا أَسْمَاءً سَمّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[٦]

ولهذا كانت دعوة جميع الرسل لأقوامهم (﴿اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون بهم .

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

---

(١) [البقرة :١٦٣]
(٢) [آل عمران :١٨]
(٣) [الحج: ٦٢]
(٤) [النجم :٢٣]
(٥) [الأعراف :٧١]
(٦) [يوسف، الآيتين :٣٩-٤٠]

الأول : ـ أنه ليس في هذه الآلهة التي أتخذوها شيء من خصائص الألوهية"[١].

أي مخلوق سواء صنماً أو ميتاً أو مخلوق يعتقد أن يملك خصائص الألوهية فهي ألهة باطلة لانه مخلوق ضعيف . يموت ويجوع ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً .

الثاني : أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يفردوه بالألوهية كما قال تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢]وقال ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[٣]

وقال :﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾[٤]

كيف تقرون أن الله هو الخالق وتعبدون غيره .

تعبدون مخلوقات لا تنفع ولا تضر أين عقولكم .؟ أين أسماعكم؟ أين أبصاركم ؟

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين (ص : ٨٦)
(٢) البقرة، الآيتين :٢١-٢٢
(٣) الزخرف :٨٧
(٤) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين (ص : ٨٧)

فهولاء المشركون كانوا يعبدون أصنام لكن إذا اشتدت بهم الكربة لا يدعون إلا الله قال تعالى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١)

فالذي ينفعكم في الشدة فكذلك في الرخاء لا ينفعكم إلا الله لماذاتشركون في الرخاء وتوحدون في الشدة ؟

تناقض عجيب حتى بعضهم كان يقول : عن عمران بن الحصين قال : « قال النبيُّ ﷺ لأبي: كم تعبُدُ اليومَ إلهًا؟ فقال: سِتَّةً في الأرضِ وواحدًا في السَّماءِ، قال: فأيُّهم تَعُدُّهُ لرغبتِكَ ورهبتِكَ؟ قال: الذي في السَّماءِ، قال: يا حُصَيْنُ، أَمَا إنَّكَ لو أسلمتَ علَّمْتُكَ كلمتَيْنِ ينفعانِكَ، فلمَّا أسلَمَ قال: يا رسولَ الله، علِّمْني الكلمتَيْنِ، قال: قُلْ: اللَّهمَّ ألهِمْني رُشْدي، وأَعِذْني مِن شرِّ نفسي» (٢)

وبعضهم كان يعبد صنماً من عجوة " تمر " وإذا جاع أكله، وفي وقتنا الحاضر بعضهم يعبد ميتاً في قبره، وماذا يملك لنفسه ؟ وهو تراب قد أرم ومات لا يملك لنفسه شيء ، وهو أحوج إلى حسنة ينجو بها عند الله .

عقول طمس عليها ابليس وشبهاته ومكايده وقد ذكر ابن تيمية عن بعض القبور أنها تخرج يد تصافحهم ، وأحياناً يسمعون صوت من القبر يجيب عليهم ، وهذه زيادة فتنة .

فإذا كان إله لماذا يجلس في القبر ويغطي نفسه بالتراب ؟

فإذا كان قادر وإله يخرج من قبره ويملك ويعطي !!

حاورهم بالعقل وبالمنطق والبرهان .

أنت تتعلق بقبر ، ماذا يفعل لك هذا القبر ؟

---

(١) [العنكبوت :٦٥]

(٢) رواه الذهبي (رقم ٢٥)

هذا السيد والولي ماذا يملك لنفسه ؟

بل هو ضعيف ويخاف وماله حدود إلا مصلحة نفسه ، لا يقدر يشفي ولا يقدر يعطي ولا يقدر يرزق بل هو أضعف ما يكون . يموت ، يمرض .

لماذا في زمن كورونا منعوا زيارتها ؟

لماذا وضعوا على المزارات شبابيك . ؟

لآنه إذا لمسوها ممكن تنتقل لهم الفيروسات ، هي آلهة كما يزعمون لماذا لا تمنع انتقال الفيروسات ؟

لنعلم أن الله هو الحق قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾(١)

قال الله تعالى :﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾(٣)

وقال : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾(٤)

آيات عظيمة كلها في إبطال الشرك والتعلق بغير الله تعالى .

فهذه مسألة مهمة وهي كيف تبطل عبودية غير الله عزوجل وتدفع شبهاتهم بنور الحق ؟

كيف نعالج هذا التوحيد ليخلص ويستقر في القلوب ؟

---

(١) [الحج :٦٢]
(٢) [الفرقان :٣]
(٣) [سبأ :٢٢-٢٣]
(٤) [الأعراف :١٩١-١٩٢]

لماذا تلوثت الفطرة ؟

لماذا انتكست الفطرة ؟

آيات التوحيد واضحة في كل نظرة عين وفي كل نبضة عرق وشواهد ذلك وآياته ودلائله في الآفاق وفي الأنفس . كلها آيات التوحيد ، العقل البشري من الذي خلقه وابدعه .

من الذي جعل له هذه المعرفة وهذه البصيرة ؟

ماذا تستطيع أن تفعل لنفسك ؟

فالطفل يخرج من بطن أمه ليس له عقل لو تعطيه السم أكله لو قرب من بئر رمى نفسه

من الذي رزقك هذا العقل ؟

من الذي كمل هذا العقل ؟

فآيات التوحيد لا يمكن أن تتوقف . كلامك ولسانك الذي انطقه الله وأصابعك الذي تكتب فيها ، قلبك الذي ينبض ، وعينك التي ترف ، الدماء التي تجري في جسدك والعروق التي يجري الله بها الدم.

والكلي التي تنقي ، والمعدة التي تهضم ... "

إنها آيات الله جل وعلا . الدالة على عظمته و وحدانيته .

توحيد الألوهية : ـ

وهذا التوحيد من أجله خلق الله الخلق، و أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ومن أجله خلق الله الأرض والسموات، ومن أجله تقوم الساعة، ومن أجله تنصب الموازين، وتتطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ من وراء ظهره، ومن

أجله خلق الله الجنة والنار، ومن أجله دارت الخصومات بين الانبياء وأممهم وبين أتباع الأنبياء من أهل التوحيد، وبين أهل الشرك والبدع والخرافات، ومن أجله جردت سيوف الجهاد فى سبيل الله .

معنى توحيد الألوهية : هو إفراد الله بالعبادة .

وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى . (١)

معنى العبادة : ـ

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بأنها: " اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة " (٢)

وأركانها " كمال المحبة مع كمال الذل " (٣)

فضائل توحيد الألوهية : ـ

ـ السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما، كما حصل في قصة يونس عليه السلام.

ومن أجل فوائده أنه يمنع الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل

(٢) انظر معارج القبول شرح سلم الأصول (١/ ٣١)
(٣) العبودية، ص(٣٨).
(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٣٢.

أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه»، وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية، ويدل على هذا: ما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله».

ـ إنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿واعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾.

ـ أن الموحد من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ، كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه».

ـ من أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

ـ من فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.(١).

(١) انظر القول السديد للسعدي ص ٢٤، مباحث في العقيدة للدكتور الطيار ص٥٠

العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية :ـ

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

بيان ذلك: أن من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان رباً خالقاً مالكاً مدبراً، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده. ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

أما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن من عبد الله ولم يشرك به شيئاً فهذا يدل ضمناً على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره [١]

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

هو: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسَه في كتابه، أو وَصَفَه به رسوله ﷺ فيما ثبت عنه على الحقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف [٢].

وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي بتعريف جامع حيث قال: "توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية . للشيخ عبد العزيز السلمان (ص : ٤٢١ . ٤٢٢)
(٢) شرح أصول الإيمان د . قذلة القحطاني . (ص : ٤٥)

بوجه من الوجوه. وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله" من جميع الأسماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسولهﷺ من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله" . (١)

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢)

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٣).

وقال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(٤)

معنى التحريف والتعطيل والتشبيه والتمثيل والتكييف

ـ التَّحريف: معناه تغيير ألفاظ الأسماء والصِّفات أو تغيير معانيها.

ـ التَّعطيل معناه: سلب الصِّفات ونفيها عَنِ الله تعالىٰ .

ـ التَّكييف معناه: بيان الهيئة الَّتي تكون عليها الصِّفات فلا يُقال: كيف اِسْتوى؟ كيف يده؟ كيف وجهُه؟

ونحو ذٰلك . (٥)

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد مجموعة ابن سعدي. (٣/١٠)

(٢) [الأعراف:١٨٠]

(٣) [الروم :٢٧]

(٤) [الشورى :١١]

(٥) من «حاشية كتاب "التَّنبيهات اللَّطيفة على العقيدة الواسطيَّة" تأليف: الإمام عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ رحمه الله علَّق عليها: الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز . رحمهما الله تعالى ص:(١٧، ١٨) باختصار وتصرف بسيط "

ـ التشبيه معناه : أن يجعل صفة من صفات الله تعالى مشبهة لصفة من صفات المخلوقين . أو العكس .

ـ التمثيل معناه : أن يجعل صفات الله تعالى مماثلة لصفات المخلوقين . (١)

يجب عليك أيها المؤمن أن تؤمن بأسماء الله وصفاته وتؤمن بما أثبت الله لنفسه واثبتها له رسوله من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن تكيف ولا تمثيل .

نؤمن بان الله سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات جل وعلا وأن هذه الصفات ليست كصفات المخلوقين بل له المثل الأعلى .

نؤمن بالأسماء والصفات بلا تعطيل .

ويجب أن يتبرأ العبد من التشبيه ايضاً والله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٢).

فنحن نثبت لله تعالى السمع والبصر ونثبت لله صفاته كلها وأن استوى على عرشه وأن له العلو وأن له علو الذات وعلو القدر والشرف وعلو القهر والغلبة جل وعلا .

كذلك لا نشبهه جل وعلا بأحد من خلقه فلا نقول له يد كيد أحد من خلقه ولا سمع كسمع المخلوق ، ولا بصر كبصر المخلوق فله سبحانه المثل الأعلى ، وله الصفات التي تليق بجلاله وعظمته والتي لا تشبه صفات المخلوقين .

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: « إنَّ للهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إلَّا واحِدًا، مَن أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ » (٣)

(١) شرح كتاب لمعة الاعتقاد (ص : ٣٤) .
(٢) [الشورى : ١١]
(٣) رواه البخاري (٢٧٣٦)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في معنى الإحصاء:

- الإحاطة بها لفظاً ومعنى.

- دعاء الله بها، لقوله تعالى: ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [١] وذلك بأن تجعلها وسيلة لك عند الدعاء، فتقول: يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم! وما أشبه ذلك.

- أن تتعبد لله بمقتضاها، فإذا علمت أنه رحيم تتعرض لرحمته، وإذا علمت أنه غفور تتعرض لمغفرته، وإذا علمت أنه سميع اتقيت القول الذي يغضبه، وإذا علمت أنه بصير اجتنبت الفعل الذي لا يرضاه [٢]

تعبد الله بإنه بصير فتخاف أن يراك على معصية . وتخاف أن يراك فيما حرم.

وأن الله سميع يسمعك ويراك فتحفظ سمعك وبصرك ، وتخاف الله بالخلوة .

وتتعبد بإن الله حكيم وأن الله حليم وأن الله غفور . كلها صفات الله تعالى، وأنت تتعبد الله بمقتضاها .

وأسماء الله الحسنى كثيرة ليست تسع وتسعون بل هي أكثر من ذلك ولكن ما علمنا منها تسع وتسعون الحديث .. عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب أحدًا قط همٌّ و لا حزنٌ ، فقال: اللهمَّ إني عبدُك ، و ابنُ عبدِك ، و ابنُ أَمَتِك ، ناصيتي بيدِك ، ماضٍ فيَّ حكمُك ، عدلٌ فيَّ قضاؤُك ، أسألُك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسَك ، أو علَّمتَه أحدًا من خلقِك ، أو أنزلتَه في كتابِك ، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَك ، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي ، و نورَ صدري ، و جلاءَ حزني ، و ذَهابَ همِّي ، إلا أذهبَ

(١) [الأعراف: ١٨٠]

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين - ٣/٩٠

اللهُ همَّهُ و حزنَه ، و أبدلَه مكانَه فرجًا قال : فقيل : يا رسولَ الله ألا نتعلَّمُها ؟ فقال بلى ، ينبغي لمن سمعَها أن يتعلَّمَها »[١]

فدل هذا الحديث بإن هناك أسماء علمها بعض خلقه وبعضها لم نعلمها وفيها أسماء استأثر الله بعلمها ، لكن أن تدعو الله بأسمائه الحسنى ما علمت منها ومالم تعلم ؛ فالدعاء بأسماء الله من التوسل بالله وهو جائز وهو من أسباب إجابة الدعاء ، فإذا سألت الله فسأل الله بأسمائه الحسنى قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]

ووصف الله نفسه في سورة الإخلاص قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّه أَحَدٌ اللَّه الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

وهذه السور تعدل ثلث القرآن بما اشتملت عليه من وصف الرب جل وعلا ، فإذا قرأتها فكأنك قرأت ثلث القرآن ، وهي سورة عظيمة .

الفرق التي ضلت في الأسماء والصفات : ـ

الطائفة الأولى: المعطلة نفاة الأسماء والصفات: ـ

الجهمية ورأسهم الجهم بن صفوان ومن تبعه، والمعتزلة ومن وافقهم.

والطائفة الثانية: المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه.

فهما طائفتان متقابلتان على طرفي نقيض، المعطلة يزعمون أنهم بنفيهم للصفات يقصدون تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، فأظهروا الباطل بصورة من الحق، فأفرطوا في التنزيه، وتجاوزوا الحدود حتى وقعوا في الإلحاد

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢) واللفظ له، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/٢١٠) (١٠٣٥٢) باختلاف يسير. وصححه الالباني في السلسلة (١٩٩)

(٢) [الحشر : ٢٢ . ٢٤]

والضلال البعيد .والمشبهة أثبتوا لله الصفات لكنهم شبهوه بخلقه، يقول قائلهم: له سمع كسمعنا وبصر كبصرنا، فأفرطوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه. وكلتا الطائفتين زائغتان عن الصراط المستقيم . (١)

الرد على الفرق الضالة : ـ

ـ أن الله أثبت لنفسه الأسماء والصفات، وأثبتها له رسوله ﷺ فنفيها عن الله أو نفي بعضها، نفي لما أثبته ورسوله، وهذا محادّة لله ورسوله ﷺ.

ـ أنه لا يلزم من وجود هذه الصفات في المخلوقين، أو من تَسَمِّيْ بعض المخلوقين بشيء من تلك الأسماء المشابهة بين الله وخلقه، فإن لله – سبحانه – أسماء وصفات تخصه، وللمخلوقين أسماء وصفات تخصهم؛ وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير .

ـ أن إثبات الصفات كمال، ونفيها نقص، فالذي ليس له صفات إما معدوم وإما ناقص، والله منزه عن ذلك.

ـ أخبر النبي ﷺ أنه «في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» . فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك لا يمكن العلم بكنهه فما ظنك بالخالق – سبحانه –؟!

ـ وهذه الروح التي في بني آدم؛ قد يعلم العاقل اضطراب الناس فيها وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها؛ أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام بها في كيفية الله . (٢)

ـ قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٥٠) للشيخ عبد الرحمن البراك .

(٢) انظر: التدمرية: لشيخ الإسلام، ص:٤٣ تحقيق د. محمد السعوي؛ شرح ثلاثة أصول لابن عثيمين ص:٨٨، عقيدة التوحيد، د. صالح الفوزان ص:٨٠، وما بعدها.

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد على المشبهة ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ رد على المعطلة .

ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات : ـ

١ ـ تحقيق توحيد الله بحيث لا يتعلق بغيره رجاء و لا خوف و لا محبة ولا يعبد غيره.

٢ – كمال محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى اسمائه الحسنى و صفاته العلى .

٣ – تحقيق عبادة الله بتحقيق ما أمر به واجتناب ما نهى عنه . (١)

المسائل المستفادة من الدرس : ـ

ـ بيان معنى الإيمان .

ـ الفرق بين الإيمان والإسلام .

ـ تفاوت شعب الإيمان .

ـ زيادة الإيمان ونقصانه .

ـ أدلة زيادة الإيمان .

ـ متى ينتفي الإيمان .

ـ بيان الكفر والنفاق والشرك وأنواعها .

ـ نواقض الإسلام كما ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

ـ توضيح أنواع التوحيد والفرق بينها .

ـ العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

ـ معنى الإيمان بالأسماء والصفات .

ـ معنى التحريف والتعطيل والتشبيه والتكيف والتمثيل .

ـ بيان الفرق التي ضلت في الأسماء والصفات .

---

(١) شرح أصول الإيمان (ص ٢٤) للشيخ محمد بن عثيمين .

ـ الرد على الفرق الضالة في الأسماء والصفات .
ـ ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات .

المتن

" ..... وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (١)

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٢)

الشرح

أركان الإيمان بعضها متصل ببعض وهي ستة أعظمها وأساسها الإيمان بالله جل وعلا ، فإذا استقر الإيمان بالله تعالى يترتب عليه الإيمان بما بقي من الأركان وهذه الأركان متعلقة بالقلب وبالعقيدة ، فهي أمور عقدية قلبية يجب على المسلم أن يعتقدها وأن يعرف ما يتطلب منه هذه المسائل وهذه الأصول

أهمية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنه النبي ﷺ في سنته.قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴾فأخبر أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك.وقال تعالى في آية أخرى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ فجعل الإيمان

---

(١) [البقرة: ١٧٧].
(٢) [القمر: ٤٩]

بهذه الخصال دليل البرِّ- والبرُّ اسم جامع للخير- وذلك أن هذه الأشياء المذكورة

هي أصول الأعمال الصالحة، وأركان الإيمان التي تتفرع منها سائر شعبه.

كما أخبر الله عز وجل في مقابل هذا أن من كفر بهذه الأركان فقد كفر بالله: فقال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان . [١]

تعريف الملائكة: ـ

الملائكة أصلها "مألكٌ بتقديم الهمزة، من الألوك، وهي الرسالة، ثم قلبت وقدَّمت اللام فقيل مَلاك .. ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل ملَكٌ، فلما جمعوها ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك .." [٢] وقيل أصله: ألك [٣] ، قيل أصله: "ل أ ك" [٤] وكلها مشتقة من الرسالة.

الملائكة في اصطلاح الشرع : ـ

عالم غيبي مخلوقون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، عباد الله المكرمون، خلقهم الله من نور وأسكنهم السماء، وهم من عالم الغيب الذي أمرنا بالإيمان به، ولهم صفات عظيمة ووظائف جسيمة [٥] منحهم الله تعالى الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص : ١٠٥) لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ

(٢) الصحاح (١٦١١/٤).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (٥٢٤/٤).

(٤) انظر: المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، والنهاية في غريب الحديث (٣٥٩/٤)، ولسان العرب (٩٦/١٠).

(٥) انظر: منهاج السنة (٥٣٣/٢-٥٣٨)، والإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة للشيخ صالح الفوزان ص ٥-٦.

الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة ومقتضاه:

والأدلة على وجوب الإيمان بهم في قوله تعالى:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ (٢) الآية. ومن ينكرهم فهو كافر بنص القرآن قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾(٣).

والإيمان بهم يقتضي ما يلي: -

أولاً: الإيمان بوجودهم.

ثانياً: الإيمان بأنهم عباد الله المكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، وهذا ينفي اعتقاد أنهم متولدون عن الله عز وجل، أو إنهم عقول فعالة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثالثاً: الإيمان بهم على سبيل الإجمال والتفصيل، فالإجمال بهم جميعاً، والتفصيل فيمن ذكرهم الله جل وعلا في كتابه، أو ذكره لنا رسوله ﷺ في

(١) [البقرة:٢٨٥]
(٢) [البقرة:١٧٧]
(٣) [النساء:١٣٦]

سنته مما ثبت وصح عنه كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار وحملة العرش (الكروبيون)، وملك الموت [١] .

الكروبيون: " الكروبيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش. وهم الملائكة المقربون "

رابعاً: الإيمان بما جاء من صفاتهم ، ومن ذلك:

١ـ أنهم خلقوا من النور، وأن لهم أجساماً عظيمة، وأن لهم أجنحة قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢].وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «إذ ا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقولـه، كأنه سلسلة على صفوان [٣] قال عليٌّ [٤]: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك – فإذا: فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربُكم قالوا الحقَّ وهو العلي الكبير» [٥] .

٢ ـ ومن صفاتهم أيضاً القوة في العبادة كما وصفهم جل ذكره بقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٦].

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله :"وأما ملك الموت فليس مصرح له باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم ا. هـ البداية والنهاية (٤٢/١).

(٢) [فاطر:١]

(٣) "الصفوان: الحجرُ الأملس. وجمعه صُفِيٌّ وقيل هو جمع، واحده صَفْوانَة" النهاية في غريب الحديث (٤١/٣).

(٤) علي بن عبد الله أحد رواة الحديث وهو شيخ البخاري.

(٥) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ الآية. رقم ٧٠٤٣ (٧٢٠/٦) وفي كتاب التفسير أيضاً في باب قوله:﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ رقم ٤٥٢٤ (١٧٣٦/٤) في كتاب التفسير أيضاً في باب: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾.. الآية، رقم ٤٥٢٢ (١٨٠٤/٤) مطولا، ورواه الترمذي في التفسير باب تفسير سورة سبأ رقم ٣٢٢١ (ج٣٥٧/٨) عن سفيان به وزاد في آخره "والشياطين بعضهم فوق بعض".

(٦) [الأنبياء:٢٠]

٣ ـ ومن صفاتهم أيضاً جمال المنظر وحسنه وبهاؤه كما وصف ذلك عمر ﷺ جبريل عندما أتى رسول الله ففي حديث جبريل ومن صفاتهم أيضاً التشكل بأشكال مختلفة، كما في حديث جبريل عن أبي هريرة ﷺ« أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجلٌ يمشي، قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر". قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: "الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان". قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: "الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه سبحانه وتعالى يراك". قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام"، ثم انصرف الرجل، فقال: ردوا عليّ. فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»[١].

فقد أتاه في صورة أعرابي، وقد يأتيه – عليه الصلاة والسلام – في صورة دحية الكلبي [٢]، وكما في حديث الثلاثة من بني إسرائيل الأبرص، والأقرع،

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب "إن الله عنده علم الساعة "رقم ٤٤٩٩(ج٤/١٧٩٣)، وفي كتاب الإيمان باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان عن أبي حيان بنحوه ورقم الحديث ٥٠ (١/٢٧)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان، عن أبي حيان به رقم ٩ (١/٣٩) وفي الباب روايات عدة.

(٢) كما روى الإمام أحمد في مسنده (٦/١٤١-١٤٢) عن عائشة – رضي الله عنها –.

والأعمى الذين أرسل الله إليهم ملكاً على كل واحد منهم ليبتليهم [١] في صورة رجل، وكما في إرسال الله جل وعلا ملكاً إلى مريم – عليها السلام – وأيضاً الملائكة الذين جاءوا إلى لوط – عليه السلام – في صورة شبان حسان الوجوه وإلى إبراهيم – عليهم السلام – قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾[٢].

٤ ـ ومن صفاتهم أنهم منزهون عما يعتري البشر من الجوع والمرض، والتعب والنوم، والنكاح.

٥ ـ ومن صفاتهم الموت فهم يموتون كما يموت البشر[٣].

٦ ـ ومن صفاتهم السمع والبصر والكلام والأيدي والأقدام والصعود والنزول، ومن صفاتهم العلم والحياء، ومساكنهم في السماء ويهبطون إلى الأرض بأمر الله .. وغير ذلك من الصفات [٤] .

خامساً: الإيمان بما كلفوا به من أعمال وهي كثيرة وجليلة من أهمها:ـ

١ ـ إنزال الوحي على الأنبياء:

فهي التي تنزل بالوحي على الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾[٥] وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[٦]

---

(١) الحديث في كتاب البخاري كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٢٧٧ (١٢٧٦/٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم في كتاب الزهد، رقم: ٢٩٦٤ (٢٢٧٥/٤).

(٢) [هود:٦٩].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٥٩/٤-٢٦٠).

(٤) انظر: مختصر معارج القبول في تفصيل ذلك: الإيمان بالملائكة (رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للشيخ محمد بن سليمان الدرويش (من ص٥٥-١٨).

(٥) [مريم:٦٤]

(٦) [الشعراء:١٩٣-١٩٥]

وقولـه: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[١].

وفي صحيح البخاري عن أم المؤمنين عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول". قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً» [٢].

والصورتان المذكورتان في هذا الحديث هما الحالتان الغالبتان، كما ذكر ذلك ابن حجر رحمه الله [٣] وإلا فقد جاءت حالات أخرى لمجيء الملك بالوحي كإتيانه في صورة أعرابي، وفي صورة دحية الكلبي وفي صورته التي خلق عليها ستمائة جناح، على كرسي بين السماء والأرض وهي حالة نادرة كما قالت عائشة فيما روته عن النبي ﷺ« وإنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ..» [٤] الحديث ، وجبريل عليه السلام هو المختص بالوحي قال تعالى في وصفه: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [٥]، فوصفه بأنه رسول، وأنه كريم عنده،

---

(١) [النحل:٢]

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف بدئ الوحي إلى رسول الله – ق – رقم ٢(٤/١٢)، ورواه في كتاب بدء الخلق باب: ذكر الملائكة رقم ٣٠٤٣ (ج١١٧٦/٣) عن هشام به. ورواه مسلم في الفضائل، باب: طيب عرق النبي ق في البرد وحين يأتيه الوحي رقم الحديث: ٢٣٣٣(١٨١٦-١٨١٧) عن هشام بنحوه.

(٣) انظر: فتح الباري (٢٩/١).

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ رقم: ١٧٧ (١٥٩/١).

(٥) [التكوير:١٩-٢١]

وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه وتعالى، وأنه أمين على الوحي" [١]
ويقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣].

وقد جاء في بعض الأحاديث التصريح بنزول غيره من الملائكة بالوحي ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ فسمع نقيضاً من فوقه، فنزل منه ملك، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي من قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته»[٤] .

٢ ـ إنزال القطر من السماء، وإنبات النبات، والموكل به ميكائيل – عليه السلام – وله أعوان ومنهم الموكل بالنفخ في الصور [٥] ، قال تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[٦].

٣ ـ ومنهم حملة العرش، قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٧].

---

(١) إغاثة اللهفان (١٧٢/٢)، وانظر: البداية والنهاية (٣٩/١).
(٢) [النحل:١٠٢]
(٣) [البقرة:٩٧]
(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة رقم ٨٠٦ (٥٥٤/١) والنسائي في كتاب الافتتاح، باب فضل الفاتحة رقم: ٩١٢ (١٣٨/٢) عن ابن الأحوص به.
(٥) انظر: البداية والنهاية (٤٠/١).
(٦) [الزمر:٦٨]
(٧) [الحاقة:١٧]

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[١] .

٤ـ "ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش ،

وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش. وهم الملائكة المقربون" [٢] .

٥ ـ ومنهم الموكل بالنطفة في الرحم حتى يتم خلقها ويخرج من بطن أمه كما جاء ذلك مصرحاً في كثيرٍ من الأحاديث.

٦ ـ ومنهم الموكل بالجنة وإعداد النعيم لأصحابها ، وفي مقدمة هؤلاء رضوان – عليه السلام – خازن الجنة.

٧ـ ومنهم الموكل بإيقاد النار وإعداد العذاب لأهلها الزبانية، وفي مقدمتهم مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴾[٣].

٨ ـ ومنهم الموكل بتبشير المؤمنين بالجنة والكرامة وذلك عند موتهم.

٩ ـ ومنهم الموكل بعمارة البيت المعمور في السماء.

١٠ ـ ومنهم الموكلة بالسحاب وسوقه.

١١ـ ومنهم الموكلة بالجبال.

١٢ ـ ومنهم الموكلة بكتابة أعمال العباد من خير وشر.

يقول ابن القيم رحمه الله :"وكل حركة في السماوات والأرض: من حركات الأفلاك، والنجوم، والشمس، والقمر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض –

(١) [الزمر:٧٥]
(٢) البداية والنهاية (١/٤٠).
(٣) [الزخرف:٧٧-٧٨]

كما قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ (١)وقال:﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ (٢)وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل – عليهم السلام – وأما المكذبون للرسل، المنكرون للصانع، فيقولون: هي النجوم (٣).

١٣ ـ من الأعمال التي تقوم بها الملائكة، إنزالهم العذاب الشديد، وإهلاك الأمم المكذبة للرسل بأمر الله تعالى وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٤). وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ (٥). وقال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦). وروى ابن جرير عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "لما قال فرعون لا إله إلا الله، جعل جبرائيل يحشو في فيه الطين والتراب" وفي رواية أخرى قال: "لما أغرق الله

(١) [النازعات:٥]
(٢) [الذاريات:٤]
(٣) إغاثة اللهفان ١٧٢/٢-١٧٣، وانظر: فيما سبق: المنهاج للحليمي ٣٠٢/١ وما بعدها وشعب الإيمان للبيهقي ٤٠٥/١-٤٠٦ والبداية والنهاية ٣٥/١ وما بعدها، والحبائك في أخبار الملائك ص١٣ وما بعدها، ومعارج القبول ٦٥٦/٢، وعالم الملائكة للأشقر، وما بعدها، والإيمان بالملائكة لأحمد عز الدين البيانوني ص٧ وما بعدها، والإيمان بالملائكة وأثره للشيخ صالح الفوزان.
(٤) [يونس:١٣]
(٥) [يونس:٧٣]
(٦) [يونس:٩٠]

فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت بإسرائيل، فقال جبرائيل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسهُ في فيه مخافة أن تدركه الرحمة" (١)

وفي إهلاك قوم لوط يقول جل ذكره: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ (٢).

١٤ ـ ومن أعمال الملائكة تبشير المؤمنين: كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٤)

١٥ ـ ومن الأعمال التي تقوم بها الملائكة كتابة أعمال العباد: فالملائكة الكرام تكتب جميع أعمال وأقوال بني آدم، قال تعالى:﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ (٥).قال ابن جرير رحمه الله : ـ عن تفسير هذه

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير في سورة يونس رقم: ٣١٠٦ (٨/٢٦٨-٢٦٩) ورقم: ٣١٠٦ وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح" ا. هـ ورواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رقم ٣٠٦ (١٨/١٧٧) الفتح الرباني وقال صاحب الفتح الرباني عند شرحه لهذا الحديث: "وهذا الحديث بطريقيه رواته ثقات ليس فيه متهم كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره" ا. هـ (١٨/١٧٨) والحديث رواه ابن جرير في التفسير (١١/١٦٣) بعدة طرق، ورواه في التاريخ (١/٣٩٨).
(٢) [هود:٧٧-٨٣].
(٣) [يونس:٦٣-٦٤]
(٤) [فصلت: ٣٠]
(٥) [يونس:٢١].

الآية: "إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا" ا.هـ[١] .

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [٣].

قال البغوي رحمه الله : ـ عند تفسير هذه الآية: "إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلأن بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ ، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات"ا.هـ[٤] .

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٥].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله : "وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات"[٦] ا.هـ.

كتابة الملائكة لجميع الأقوال والأفعال:

اختلف العلماء هل تكتب الملائكة جميع الأقوال والأعمال، أم أنها لا تكتب إلا الحسنات والسيئات؟!

---

(١) جامع البيان (٩٩/١١).
(٢) [الزخرف:٨٠].
(٣) [ق:١٧-١٨].
(٤) معالم التنزيل (٢٢٢/٤).
(٥) [الانفطار:٩-١٢]
(٦) جامع العلوم الحكم (٣٣٦/١).

الأول: أنهما يكتبان جميع ما يصدر من الإنسان حتى أنينه في مرضه، وحتى قولـه أكلت، وشربت .. روي عن مجاهد رحمه الله وروي أيضاً عن مالك رحمه الله ورجح هذا القول السفاريني.

الثاني: إنهما لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه، أو يعذب عليه ونُقل عن عكرمة.

قال ابن رجب رحمه الله : ".. إن ما ليس بحسنة فهو سيئة، وإن كان لا يعاقب عليها فإن بعض السيئات قد لا يعاقب عليها، وقد تقع مكفرة باجتناب الكبائر، ولكن زمانها قد خسره صاحبها حيث ذهب باطلاً، فيحصل له بذلك حسرة في القيامة وأسف عليه، وهو نوع عقوبة" [١] ا.هـ، وقد رويت القولأن عن ابن عباس رضي الله عنه [٢] .

وقال ابن كثيررحمه الله : في تفسير قولـه تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [٣]"أي ما يتكلم بكلمة (إلا لديه رقيب عتيد) أي إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة" ا.هـ[٤] .

وقولـه أيضاً بعد أن ذكر القولين السابقين: "وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ا.هـ[٥].

فأما من قال إن أنين المريض يكتب عليه، فلأن ذلك يعبر عن الشكوى والتبرم "وتعقب ذلك النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك. ثم قال فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى فإنه لاشك إن اشتغاله بالذكر أولى" ا.هـ[٦] والخلاف هذا

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٣٧).
(٢) انظر: الحبائك ص٨١.
(٣) [ق:١٨]
(٤) تفسير ابن كثير (٦/٤٠٠).
(٥) المرجع السابق ونفس الجزء والصفحة، وكتاب الإيمان لابن تيمية ص٤٦-٤٧.
(٦) نقلاً عن السفاريني في لوامع الأنوار (١/٤٥٢).

لفظي، حيث إنهم متفقون على عدم العقاب على المباحات مثل نحو أكلت وشربت .. ونحو ذلك.

كتابة أعمال القلوب:

اختلف العلماء في كتابة الملائكة وإطلاعها على أعمال القلوب، والنية، والإخلاص، .. فمنهم من قال باطلاعهم على أعمال القلوب، واستدلوا بالحديث الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة" [1] قال ابن حجر رحمه الله عن شرح هذا الحديث: وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما في قلب الآدمي إما باطلاع الله إياه أو بأن خلق له علماً يدرك به ذلك. ا.هـ[2] .

وقال شارح الطحاوية رحمه الله: قد ثبت بالنصوص .. أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية لأنها فعل قلب، فدخلت في عموم ﴿ يَعْلَمُونَ مَا

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب من هَمَّ بحسنة أو بسيئة رقم ٦١٢٦ (ج/٢٣٨٠-٢٣٨١) ورواه مسلم في الإيمان، باب: إذا هما لعبد بحسنة كتبت ... رقم ١٣١ (١١٨/١).
(٢) فتح الباري (٣٣٢/١١).

تَفْعَلُونَ ﴾ [١] ا.هـ[٢] ، وقيل: إن الملائكة لا اطلاع لها على أعمال القلوب، ولكن إذا هم العبد بحسنة فاحت منه ريح طيبة، وإذا همَّ بسيئة فاحت منه ريح خبيثة روي هذا عن سفيان بن عيينة وغيره[٣] .

ومما يظهر من الأدلة إن الله تعالى يطلع ملائكته على هذه الأعمال بكيفية لا نعلمها، هو أعلم بها سبحانه، والأدلة على الأول صريحة وصحيحة ، والله أعلم.

وإن قيل هل تكتب الملائكة أعمال من عنده كلب أو صورة أو تدخل لقبض روحه وقد جاء في الحديث بعدم دخولها كما قال ﷺ "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة" [٤] ؟!

وأجيب على هذا بعدة أجوبة منها:

"إن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتاً فيه شيء من ذلك دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه، ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستنكر، فإن فساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء الناس منزلة مؤاخين له أو مترددين إليه، ولا يمنعهم من أن يدخلوه منكرين عليه ومغيرين أو مطالبين له بحق لزمه .."[٥].

---

(١) [الانفطار:١٢]

(٢) شرح الطحاوية ص٣٩٠ط، المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٤٨/١٩)، وانظر: الحبائك ص٩٢ رقم ٣٩١، وانظر: فتح الباري (٣٣٢/١١).

(٤) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شرب أحدكم فليغمسه رقم ٣١٤٤ (١٢٠٦/٣) وفي باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء.. رقم ٣٠٥٣، ورقم ٣٠٥٤ (١١٧٩/٣)، رواه مسلم في اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان.. رقم ١٢٠٦ (/١٦٦٥) عن سفيان به.

(٥) الحبائك ص٢١٥.

"قال الخطابي: المراد بالملائكة: الذين ينزلون بالرحمة والبركة لا الحفظة فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب" ا.هـ[١] .

وقال ابن الأثير رحمه الله: "أراد الملائكة السياحين، غير الحفظة والحاضرين عند الموت" ا.هـ[٢] .

وقال الإمام النووي رحمه الله :"وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة، والتبريك، والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها" ا.هـ[٣].

وأقوال الأئمة السابقة متقاربة، ويكادون يتفقون على أن المراد دخول التكريم والتشريف، وهذا الذي دلت عليه الأدلة.

من ثمرات الإيمان بالملائكة:

١- العلم بعظمة الله تعالى ،فخلق الملائكة يدل على عظمة الخالق وقدرته.

٢-الشكر لله على عنايته ببني آدم وتسخير الملائكة لهم بالحفظ والدعاء وما ينتج عن ذلك من الرحمة والبركة.

٣-محبة الملائكة على ما قاموا به من الأعمال، ومحبتهم أصل من أصول الإيمان[٤].

٤-الإيمان بكرمات الأولياء، وأن الملائكة ترى لمن شاء الله من خلقه إما كرامه أو ابتلاء كما في قصة الثلاثة من بني إسرائيل مثل الأقرع والأعمى والأبرص .

---

(١) الحبائك ص٢١٤، وانظر: فتح الباري (٤٠٥/١٠).
(٢) معالم السنن (٦٥/١).
(٣) شرح مسلم (٨٤/١٤).
(٤) انظر: شرح أصول الإيمان للعلامة محمد بن صالح بن عثيمين(ص٢٩-٣٠)

٥ -الإيمان بآثار الملائكة من البركة والسكينة والإستغفار للمؤمنين والتأييد والنصر .

مسائل مستفادة من الدرس :ـ

ـ أهمية معرفة الملائكة .

ـ تعريف الملائكة .

ـ معرفة صفات الملائكة .

ـ بيان صفات الملائكة .

ـ بيان أعمال الملائكة .

ـ كتابة الملائكة لجميع الأقوال والأفعال .

ـ كتابة أعمال القلوب .

ـ ثمرات الإيمان بالملائكة .

الأصل الثالث من أصول الإيمان

الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان كما جاء في القرآن الكريم، والسنة المتواترة.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[١].وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[٢].

معنى الكتاب :ـ ومعنى الكتاب في اللغة:"اسمٌ لما كتب مجموعاً، والكتاب مصدر"[٣]، يقال: كتب يكتب كتاباً وكتابة والجمع كُتبُ وسمي القرآن كتاباً لما جُمع فيه من القصص والأمثال والعقائد والأمر والنهي والتشريع، أو لأنه اشتمل على جميع الكتب السابقة وكل شيء جمع بعضه إلى بعض سُمي كتاباً وقد جاء في القرآن الكريم بمعنى اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[٤] .

ويأتي بمعنى التوراة والإنجيل وبمعنى القرآن المجيد قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾[٥] ، وبمعنى الرحمة والمغفرة قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾[٦] وغير ذلك[٧] .

---

(١) [البقرة:٢٨٥]
(٢) [النساء:١٣٦]
(٣) لسان العرب (٦٩٨/١).
(٤) [الأنعام:٥٩]
(٥) [فاطر:٣٢]
(٦) [الأنعام:٥٤]
(٧) انظر: بصائر ذوي التمييز (٣٢٩/٤-٣٣٢)، والصحاح (٢٠٨/١) والنهاية في غريب الحديث (١٤٧/٤) ولسان الميزان (٦٩٨/١).

ما المراد بالكتب: ـ

والمراد بالكتب التي يجب الإيمان بها الكتب المنزلة على أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه عليهم، التي حوت الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، وبيان شرائعه وأحكامه.

والإيمان بالكتب يتضمن ما يلي:

أولاً: الاعتقاد الجازم بأن لله جل وعلا كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله.

ثانياً: إن الله تعالى تكلم بها على الحقيقة وليس مجازاً، وأن منها المسموع بحجاب، ومنها ما سمعه الرسول البشري من الرسول الملائكي مبلغاً عن ربه جل وعلا، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(١).

ومنها ما خطه جل وعلا بيده قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾(٢).

ثالثاً: إن جميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣).

رابعاً: إن نسخ هذه الكتب بعضها لبعض حق كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة وكما كان القرآن ناسخاً لجميع هذه الشرائع، وأن النسخ جائز

(١) [الشورى:٥١]
(٢) [الأعراف:١٤٥]
(٣) [يونس:٣٧]

في القرآن الكريم فقد ينسخ بعضه بعضاً كما قال تعالى:﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَـةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [١].

خامساً: إن جميع هذه الكتب قد اتفقت على الدعوة على توحيد الله عز وجل وإن اختلفت الشرائع.

سادساً: الإيمان بأن لله كتباً كثيرة لا يعلم عددها إلا الله، فنؤمن بها إجمالاً، ونؤمن بما ورد ذكره تفصيلاً كالتوراة، والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم، والقرآن.

أما الإيمان بالقرآن الكريم فيشمل جميع ما سبق ويزيد عليها، بأنه يجب مع الإيمان به، امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتحكيمه في جميع شؤون البشر والعمل بمحكمه، والوقوف عند متشابهه، وأنه ناسخ لجميع الكتب السابقة ومهيمن عليها قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [٢] ، وأنه محفوظ بحفظ الله تعالى له، وتلك مزية له خاصة حيث تكفل الله تعالى بحفظه كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[٣].

فجميع ما في المصحف هو كلام الله تعالى لم يفت منه شيء [٤] .

هذا مجمل معنى الإيمان بالكتب، وإليك التعريف بالقرآن الكريم الذي أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والناسخ لجميع الكتب السابقة.

---

(١) [البقرة:١٠٦]

(٢) [المائدة:٤٨]

(٣) [الحجر:٩]

(٤) انظر: فيما سبق: المنهاج في شعب الإيمان (١/٣١٧-٣٢٣) وانظر: شعب الإيمان للبيهقي١/٤٤٧ وما بعدها، وانظر: معارج القبول (٦٧٢-٦٧٥) وانظر: شرح الواسطية ص١٧, وشرح أصول الإيمان للشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين.

القرآن الكريم

تعريفه في اللغة: هو مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً ومعناه الجمع والضم، وسمي القرآن بذلك، لأنها جمعت سوره، وضُم بعضها إلى بعض[١]" وقد يطلق لفظ القرآن على القراءة والتلاوة "يقال قرأ قراءةً وقرآناً"[٢]

وأما في الاصطلاح: فالقرآن اسم لكلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ الذي عجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله، وهو كلام الله حقيقة لا مجازاً، ليس بمخلوق، منه بدأ وإليه يعود، المسموع بالآذان، المتلو بالألسنة، المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة، واتفق عليه السلف [٣] . من أنكر حرفاً من القرآن أو زاد حرفاً فقد كفر.

أوصاف القرآن الكريم: ـ

ـ أنه كتاب الله المبين أي: المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار.

ـ أنه حبل الله المتين أي: العهد القوي الذي جعله الله سبباً للوصول إليه والفوز بكرامته.

ـ أنه سور محكمات أي: مفصل السور كل سورة منفردة عن الأخرى والمحكمات المتقنات المحفوظات من الخلل والتناقض.

ـ أنه آيات بينات أي: علامات ظاهرات على توحيد الله وكمال صفاته وحسن تشريعاته.

---

(١) انظر: الصحاح (٦٥/١) وانظر: لسان العرب (١٢٨/١-١٢٩) وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩٨/٢.

(٢) المرجع السابق (١٢٩/١)، وانظر: الصحاح (٦٥/١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٩٨/٢)، ومجموع الفتاوى (٢٣٥/١٢-٢٣٦) والوجيز في علم التفسير للسيوطي ص٣٩-٤٠، وشرح الطحاوية ص١٣٥-١٣٦.

ـ أن فيه محكمًا ومتشابهًا، فالمحكم ما كان معناه واضحاً والمتشابه ما كان معناه خفيًا.

ـ أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[١]

ـ أنه بريء مما وصفه به المكذبون به من قولهم إنه شعر: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾[٢]. وقول بعضهم: " ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[٣]، ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾[٤]، فقال الله متوعدا هذا القائل: "﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾" [٥].

ـ أنه معجز لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله وإن عاونه غيره: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾[٦]

وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه حكيم في قوله تعالى: ﴿ الٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٧] أي "المحكم المبين" [٨] وبأنه موعظة، وشفاء، وهدى ورحمة كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩]

وزعمت الجهمية، والمعتزلة ومن وافقهم أن القرآن مخلوق.

---

(١) [فُصِّلَت:٤٢]
(٢) [يسس: ٦٩]
(٣) [المدثر: ٢٤]
(٤) [المدثر: ٢٥]
(٥) [المدثر: ٢٦]
(٦) [الإسراء:٨٨]، تعليق مختصر كتاب لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن عثيمين (ص: ٣٥ . ٣٦)
(٧) [يونس:١]
(٨) تفسير ابن كثير (٤٨٢/٣).
(٩) [يونس:٥٧]

وأما الأشاعرة ومن وافقهم فقالوا: إن القرآن "هو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات"[١] وهناك فرقة الواقفة، وهم الذين يقولون لا نقول مخلوقاً ولا غير مخلوق [٢].

وجميع هذه الأقوال خالف أصحابها إجماع الأئمة، كما نصَّ على ذلك عدد منهم كما روى البخاري رحمه الله في خلق أفعال العباد – عن سفيان بن عيينة قال: "أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق" [٣] وقال القاسم الأصبهاني رحمه الله: "أجمع المسلمون أن القرآن كلام الله،و إذا صح أنه كلام الله صح أنه صفته تعالى، وأنه عز وجل موصوف به، وهذه الصفة لازمة لذاته" ا.هـ[٤] .

وروى عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه سمع عبدالرحمن بن مهدي يقول "من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه"[٥].

---

(١) الإرشاد للجويني ص١٠٨ وانظر: ص١٠٩ وما بعدها. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص٥٨ وشرح الفقه الأكبر بشرح ملا على القاري، ص١٥.

(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص١٠٢ والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد ص٤٣ والشريعة للآجري ص٨٧، وشرح أصول الاعتقاد (٣٢٤/٢) والفصل في الملل والنحل (١١/٣) وتحقيق كتاب التوحيد لابن خزيمة (٣٢٩/١).

(٣) رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص٧، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٨١/١) عن البخاري به وقال: "ورواه غير الحكم عن سفيان بن عيينة نحو رواية سلمة بن شبيب عن الحكم بن محمد"ا.هـ ورواه الدارمي في الرد على المريسي (ص١١٦-١١٧) من طريق إسحاق بن إبراهيم الحنظلي به وزاد" الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود" رواه الذهبي في العلو من طريق إسحاق بن راهويه بلفظ الدارمي (مختصر العلو ص١٦٤) وقال عقبة: وقد تواتر هذا عن ابن عيينة" ا.هـ ومشايخ سفيان بن عيينة هم عدد من الصحابة من أمثال ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله وعبدالله بن الزبير – رضي الله عنهم – وأكابر التابعين كعمرو بن دينار. انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٤٥٨/١-٤٥٩).

(٤) الحجة في بيان الحجة (١٩٣/٢) وانظر: الفصل في الملل والنحل (١١/٣) والفتاوى الكبرى (١٤٤/٥) ومختصر الصواعق (٢٨٥/٢-٢٨٦).

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في السنة ص١٦، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٨٦/١) عن عبد الله بن أحمد به وإسناده ثقات.

والسلف – رحمهم الله تعالى – قالوا: "منه بدأ" أي بمعنى أن الله تعالى هو المتكلم به فلم يخلقه في غيره، فيكون بدأ من هذا المخلوق وفي هذا رد على من قال بخلق القرآن، إذ لو كان بدأ من ذلك المحل لكان صفة له، وليس صفة للرب تعالى [١] وأما أصوات العباد، وحركاتهم فهي مخلوقة، قال البخاري – رحمه الله: "حركاتهم [أي العباد] وأصواتهم، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصحف المسطور المكتوب، الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق .." ا.هـ[٢].

ثمرات الإيمان بالكتب:

١ ـ إقامة الحجة على العباد بإنزال الكتب وإرسال الرسل.

٢ ـ رحمة الله بالعباد .

٣ ـ شكر الله على هذه النعمة[٣].

٤ ـ العناية بكتاب الله تعالى حفظاً وتدبراً وعملاً.

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ المراد بالكتب .

ـ معنى الإيمان بالكتب .

ـ ما يتضمن الإيمان بالكتب .

ـ ما يستلزم الإيمان بالكتب .

ـ تعريف القرآن .

ـ أوصاف القرآن .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٤٠).

(٢) خلق أفعال العباد، ص٣٤.

(٣) انظر: شرح أصول الإيمان للشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين(ص٣٣).

ـ منهج أهل السنة والجماعة من القرآن وأنه كلام الله غير مخلوق .
ـ ثمرات الإيمان بالكتب .

الإيمان بالرسل

تعريف النبي والرسول : -

النبي المُخْبَر، فهو مُخْبَر، أي: أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١)

وهو مُخْبِرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢) ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ وقيل: النبوة مشتقة من النَّبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبيّ على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها والنبيَّ ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.(٣).

الرسول : ـ الرسول فهو المرسل، مأخوذ من الإرسال، وأصله رَسَّل وهو "الانبعاث على التؤدة ويقال ناقة رسلة سهلة السير، وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث ." (٤)

فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنَّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى: (ثُمَّ أرسلنا رسلنا تتراً) [المؤمنون: ٤٤] ، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها . (٥)

---

(١) [التحريم: ٣]
(٢) [الحجر: ٤٩]
(٣) الرسل والرسالات (ص : ١٣)
(٤) شرح أصول الإيمان (ص : ٨٢) د . قذلة محمد القحطاني
(٥) الرسل والرسالات (ص : ١٤).

الفرق بين النبي والرسول : ـ

لا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبيّ، ويدلّ على الفرق ما ورد في كتاب الله من عطف النبيِّ على الرسول ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(١) (٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "النبي: هو الذي يُنبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالته؛ فهو نبي وليس برسول، قال تعالى:- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (٣) .. فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق، الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف اللهَ؛ كنوح، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس، وقبلهما آدم كان نبيًّا مكلَّمًا " (٤)

ويتلخص الفرق بين النبي والرسول فيما يلي : ـ

ـ الرسول يأتي بشريعة مستقلة عمن سبقه، بخلاف النبي الذي يكون تابعاً لشريعة رسول قبله.

ـ إن بينهما عموماً من وجه وخصوصاً من وجه آخر، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

---

(١) [الحج: ٥٢]
(٢) الرسل والرسالات (ص : ١٤)
(٣) [الحج: ٥٢].
(٤) النبوات ابن تيميه (ص : ٢١٨)

ـ إن الرسالة أكمل من النبوة، إذ هي – أي الرسالة – نبوة وزيادة.

كما أنهما يجتمعان في أن كلاً من الرسول والنبي يوحى إليه، كما إن كليهما، اصطفاء وتشريف من الله عز وجل، ولا تنال بالكسب، والاجتهاد، كما إن كليهما قد ختم بسيد المرسلين محمد ﷺ وكلاهما مأموران بتبليغ الوحي [١].

فبعثته ﷺ تدل على قرب الساعة وموته كذلك يدل على قرب الساعة .

فقد قال ﷺ : « بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةَ كَهذِه مِن هذِه، أوْ: كَهاتَيْنِ وقَرَنَ بيْنَ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى» [٢].

فلا نبي بعده عليه الصلاة والسلام ولكن الله يرسل رأس كل مائة سنة من يجدد الدين .

ـ الأنبياء كثير ويجتمون في زمن واحد ففي زمن بني إسرائيل اجتمع أكثر من سبعين نبياً .

والرسل قليل وجاء في حديث أبي ذر أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر[٣]

والحاجة إلى الأنبياء ماسة ، وحاجة البشرية إليهم أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب، بل أشد من حاجتها إلى الهواء الذي تتنفسه، وذلك لأنهم رسل كرام جاؤوا بما فيه صلاح العباد، من أطاعهم نجا، ومن خالفهم خسر، سبيلهم هي سبيل الله ، وحزبهم هو حزب الله .

---

(١) شرح أصول الإيمان (ص : ٨٥) د . قذلة محمد القحطاني .

(٢) رواه البخاري (٥٣١٠)

(٣) الحديث رواه أحمد في مسنده (١٧٨/٥، ١٧٩، ٢٦٥)، وقال ابن حجر رحمه الله : صححه ابن حبان ا. هـ فتح الباري (٤١٦/٦)، وقال القرطبي / بعد أن ذكر هذا الحديث: "هذا أصح ما روي في ذلك، خرجه الآجري وأبو حاتم البستي في المسند الصحيح له" ا. هـ الجامع لأحكام القرآن (١٩/٦) والحديث ضعفه آخرون كالعراقي وغيره، انظر: لوامع الأنوار (٢٦٤/٢).

" وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ قال الله تَعَالَى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (١) وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي ﷺ ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر، إليهم ويقول :ائتوا نوحاً رسول بعثه الله – وذكر تمام الحديث. "

وقال الله تعالى في محمد ﷺ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾. (٢)

وهذا يدل على الرسل غير الأنبياء فنوح قبله أنبياء " آدم عليه السلام " فبعث الله بعده رسول وهو نوح عليه السلام بعد ما تغير الناس لأن الناس كانوا قرون طويلة بعد آدم على التوحيد لم يكن فيه شرك .

فكانت الوثنية في زمن نوح عليه السلام ، أول شرك وقع في الأرض في قوم نوح، والسبب في ذلك هو الغلو في الصالحين، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٣)، والدليل على أن هؤلاء المذكورين كانوا في قوم نوح؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال :«هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت » (٤).

وما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، قال: (كانوا قوما صالحين – يغوث ويعوق– بين آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال

(١) [النساء:١٦٣]
(٢) الأحزاب:٤٠
(٣) [نوح:٢٣].
(٤) رواه البخاري برقم (٤٩٢٠).

أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم) [١].

وبقي الشرك إلى زمن محمد ﷺ وهذا يدل على خطورة الشرك وأن الشرك إذا استفحل في الأمم ليس بالسهولة يزول ويرجع بين فترة وفترة فنوح عليه السلام جاهد قومه الف سنة إلا خمسين عاماً ثم أنجاهم الله في السفينة وأغرق الظالمين ثم عادت الأصنام وعبدت الأصنام وجاء بعده الأقوام . من قوم هود وعاد وصالح وأصحاب الأيكة وقوم إبراهيم وقوم يونس ... وهكذا عبدت الأصنام إلى أن بعث محمد ﷺ .

والله عزوجل يرسل الرسل ليمحو معالم الشرك ويعيد الناس إلى التوحيد فالرسل كلها جاءت برسالة واحدة وعقيدة واحدة وهي الدعوة إلى التوحيد " ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تَعَالَى﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطّاغُوتَ ﴾[٢]

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [٣]

وقال تعالى :ـ ﴿ إِنّا أَنْزَلْنَا التّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النّبِيُّونَ الّذِينَ أَسْلَمُوا لِلّذِينَ هَادُوا ﴾ [٤] .

والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهاً

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٦٣٩).
(٢) النحل :٣٦[
(٣) فاطر :٢٤[
(٤) المائدة :٤٤

عند الله : ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلّا مَا شَاءَ اللّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً قُلْ إِنّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾(٢)

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى : ـ﴿ وَالّذِى هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالّذِى يُمِيتُنِي ثُمّ يُحْيِينِ ﴾(٣)

وقال النبي ﷺ : «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني »

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح عليه السلام : ﴿ إِنّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾(٤)

وقال في محمد ﷺ : ﴿ تَبَارَكَ الّذِى نَزّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾(٥) وقال في إبراهيم، وإسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلم: ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ إِنّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ وَإِنّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾(٦).

---

(١) [الأعراف :١٨٨].
(٢) [الجن :٢١-٢٢].
(٣) [الشعراء ٧٩-٨١].
(٤) [الإسراء:٣]
(٥) [الفرقان : ١]
(٦) [ص :٤٥-٤٧].

وقال في عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ ﴾ (١)(٢)

فمن عبد الأنبياء أو رفعهم فوق منزلتهم فهذا مكذب بالأنبياء ، لأن الأنبياء لم يأتوا إلا بالتوحيد .

فمن الإيمان بالرسل أن تؤمن أنهم بشر وأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً وأنهم عباد لله جل وعلا فمن يعتقد أن النبي ﷺ بيده مقاليد الكون أو أنه يعلم الغيب أو أنه يتصرف في الكون فهذا مشرك بالله تعالى مكذب للأنبياء .

معنى الإيمان بالرسل : ـ

معنى الإيمان بالرسل: الاعتقاد الجازم والتصديق القلبي بأن الله عز وجل أرسل رسلاً دعوا إلى توحيد الله عز وجل ونبذ الشرك، وأنهم بلغوا ما أمرهم الله تعالى بتبليغه، من غير زيادة ولا نقصان، وأنهم معصومون من الخطأ فيما يبلغونه، وأن الله عز وجل أيدهم بآيات باهرات تدل على صدقهم. (٣)

ما يتضمن الإيمان بالرسل : ـ

الإيمان بالرسل يتضمن ما يلي:

ـ الإيمان بهم إجمالاً فيما لم يذكر وتفصيلاً فيمن ذكر في القرآن وهم خمسة وعشرون نبياً ذكر منهم ثمانية عشر نبياً .

---

(١) [الزخرف :٥٩]

(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص : ٩٦ ، ٩٧)

(٣) شرح أصول الإيمان (ص : ٨٦) د . قذلة محمد القحطاني .

ـ الإيمان بالرسل يشمل الاعتراف بذلك باللسان، واتباعهم فيما يدعون إليه والإيمان بأن شريعة محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع وأنه ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، ورسالته عامة لجميع الإنس والجن. (١)

ـ الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع .كما قال الله تعالى : ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾(٢) فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا محمداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم

ـ الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله : ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾(٣)

وفي سورة الشورى في قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيه ﴾ (٤)

وأما من لم نعلم أسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(٥).

---

(١) شرح أصول الإيمان (ص : ٨٨) د . قذلة محمد القحطاني .
(٢) [الشعراء :١٠٥]
(٣) [الأحزاب :٧]
(٤) [الشورى :١٣]
(٥) [غافر :٧٨]

ـ تصديق ما صح عنهم من أخبارهم .

ـ العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (١)(٢)

ولا يقبل إلا دين الإسلام قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ : « و الذي نفْسُ محمدٍ بيدِهِ ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ ، لا يهودِيٌّ ، و لا نصرانِيٌّ ، ثُمَّ يموتُ ولم يؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ به ، إلَّا كان من أصحابِ النارِ » (٤)

ـ دلائل النبوة : ـ

وقد أيدهم الله تعالى بآيات بينات هي دلائل صدقهم إذ محال أن يؤيد الله من يدعي الكذب عليه.

ومن دلائل النبوة ما يلي:

أولاً: تأييد الله لرسله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم.

ثانياً: صفات الرسل وأخلاقهم وبيان الصدق فيما يدعون إليه.

ثالثاً: اتفاق دعوة الرسل.

رابعاً: نصر الله عز وجل لهم وإهلاك عدوهم.

خامساً: بشارة النبي السابق بالنبي اللاحق (٥) .

وأستعين بالله تعالى في بيانها وتفصيلها:

---

(١) [النساء :٦٥]

(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله (ص : ٩٧ ـ ٩٨)

(٣) [آل عمران :٨٥]

(٤) رواه مسلم (١٥٣) وصحيح الجامع (٧٠٦٣)

(٥) انظر: الرسل والرسالات للأشقر (ص١١٩-١٢٠).

أولاً: تأييد الله لرسله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم:

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١).

وقوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (٢).

وتسمى دلائل الأنبياء آية، وبينة، وبرهاناً، ومعجزة، والآية في اللغة "العلامة الظاهرة" (٣) .

وأما البينة فهي بمعنى الإيضاح "بان بياناً: اتضح فهو بين .. وبَيَّنتُه وتبينته وأبنته واستبينته: أوضحته وعرفته .." (٤) .

وأما البرهان فهو: "الحجة الفاصلة البينة، يقال: برهن، يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد (٥) الخصم، فهو مبرهن" (٦) وأما لفظ المعجزة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، وهو مأخوذ من العجز "أعجزه الشيء فاته وفلانا: وجده عاجزاً، وصيره عاجزاً، والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز" (٧) قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله "ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة ونحو ذلك، وهذه الألفاظ إذا سميت

---

(١) [يونس:١٣].
(٢) [يونس:٧٤-٧٥].
(٣) بصائر ذوي التمييز (٦٣/٢).
(٤) القاموس المحيط، ص١٥٢٦.
(٥) الألد: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، لسان العرب (٣٩٠/٣-٣٩١).
(٦) لسان العرب (٥١/١٣) مادة (رهن).
(٧) القاموس المحيط، ص٦٦٣.

بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية)، و(البينة)، و(البرهان) ا.هـ[1].

آيات الأنبياء نوعان:

الأول: ما كان من باب العلم، كالاطلاع على بعض أمور الغيب: مثل ما أخبر به الرسول ﷺ من أخبار، وعلوم تتعلق بأحداث مستقبلية حصلت في حياته وبعد مماته، ومثل ما أنبأ به من أنباء الأمم الهالكة، من ذلك أيضاً إخبار عيسى – عليه السلام – لقومه بما يأكلون، وبما يدخرون في بيوتهم .. إلى غير ذلك.

ثانياً: ما كان من باب القدرة، مثل انشقاق البحر لموسى حينما ضربه بعصاه، وكتظليل الغمام، ومثل إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى – عليه السلام – ومثل انشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ وتكثر الطعام، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة .. الخ.

ومن الآيات ما مضى، ووصل إلينا خبره، كآيات الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – ومنها ما هو باق إلى قيام الساعة، كالقرآن الكريم، الذي هو معجزة خالدة، وآية باقية إلى قيام الساعة.

وكالعلم والإيمان الذي في أتباع محمد ﷺ ، وأيضاً ما يخرق من العادات للأولياء والصالحين من أتباعه ﷺ وأيضاً علو هذا الدين وظهوره مهما حاول الأعداء إطفاء نوره، وإهلاك كل من ناوءه ورام الوقوف ضده[2]

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٦٧).

(٢) انظر: الجواب الصحيح (٤/٧٠-٧١).

ثانياً: صفات الرسل وأخلاقهم وبيان الصدق فيما يدعون إليه:

إن المتأمل في حياة الرسل والأنبياء ودعواتهم، ليرى ما كانوا عليه من علو الهمة، والأمانة، والصدق، والترفع عن سفاسف الأمور، كما يرى ما جبلوا عليه من الحلم والصفح، والصبر على الشدائد وحفظ العهد وهم بشر يأكلون، لكن الله اصطفاهم وشرفهم بالرسالة، قال تعالى:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[1]. وفي بيان الصدق فيما يبلغون، يقول تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[3].

والرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – من أزهد الناس في متاع الدنيا، وعرضها الزائل، فهم لا يريدون على دعوتهم جزاءً ولا شكوراً، قال تعالى مبلغاً عن نوح – عليه السلام –: ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾[4]. ولا أدل على ذلك من تلك العروض السخية التي كانت قريش تعرضها على رسول الله رغبة منهم في استجابته لمطالبهم، وترك ما يدعو إليه.[5]

---

(١) [يونس:٢]
(٢) [يونس:١٥]
(٣) [يونس:٥٣].
(٤) [هود:٢٩]
(٥) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٠٢-٢٠٤).

والأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – من أشد الناس بلاءً عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً، قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة" [١] فلو لم يكن الله اصطفاهم وكلفهم بهذا، أكانوا يتشجمون[٢] هذه الصعاب على الناس ليكون ذلك سبباً إلى منافرتهم وقتالهم ؟ !

وخصائص النبوة أربعة:

الأول: الكمال الخَلقي والخُلقي:

ويعني أن الرسول يكون من أكمل قومه خُلقاً وخَلقاً، ونسباً وعقلاً، فلم يأت نبي به عاهة أو بذاءة، أو دناءة في نسبه، وذلك لأنه رسول رب العالمين والرسول على قدر المرسل، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[٣].

الثاني: الفضيلة الإكرامية: ويقصد بها ما يكرمه الله عز وجل من الآيات البينات والبراهين المعجزة الدالة على ماجاء به التي تقوي قلبه وتشد عزمه للقيام بهذه المهمة كما أيد الله موسى – عليه السلام باليد والعصا كما أرسل معه هارون وزيراً، وحل عقدة من لسانه.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء رقم: ٢٤٠٠ (١٢٤/٧)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح) ا.هـ ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء رقم: ٤٠٢٣ (١٣٣٤/٢) عن مصعب بن سعد، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٢/١) عن مصعب بنحوه، ورواه الدارمي باب: أشد الناس بلاء (٤١٢/٢) عن عاصم بنحوه، وانظر: السلسلة الصحيحة حديث رقم: ١٤٣ (٥٣/١-٥٤).

(٢) "جَشَمَ الأمر، بالكسر، يَجشَمُه وجشامةً وتجشَّمه: تكلَّفَه على مشقة" لسان العرب (١٠٠/١٢).

(٣) [الأنعام:١٢٤]

الثالث: إنزال الكتب عليهم: والكتب التي يأتي بها الرسل مشتملة على الهداية والنور، وفيها الآيات العظيمة والدلائل النبوية التي عجز البشر أن يأتوا بمثلها .

الرابع: العصمة: المراد بها أنهم لا يقرون على الخطأ [١] وهم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى إجماعاً [٢] أما في غير ما يتعلق بالتبليغ ففيه خلاف، قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع، هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع؟ ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها؟ أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط؟ .." [٣] .

والذي عليه سلف الأمة وتشهد له الأدلة عصمتهم من الكبائر دون الصغائر، قال شيخ الإسلام رحمه الله : "القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام .. وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة، والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول" [٤] ا.هـ.

ومن هنا فمن ادعى النبوة فسرعان ما يظهر عواره، ويتضح كذبه، حتى ولو جرت على يديه من الخوارق الشيطانية ما جرى، لأن سنة الله جارية في كشفهم، وهزيمتهم.

---

(١) انظر: مقدمة دلائل النبوة للأصبهاني، ص٣٤-٣٦.

(٢) انظر: الشفا (٧٤٦/٢)، ومجموع الفتاوى (٢٩١/١٠)، ومنهاج السنة (٤٧٠/١-٤٧١) ولوامع الأنوار (٣٠٤/٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩٢/١٠-٢٩٣)، وانظر: الشفا ٧٣٥/٢ وما بعدها، وانظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٤) مجموع الفتاوى (٣١٩/٤) وانظر: للاستزادة مجموع الفتاوى (٢٩٣/١٠-٣١٣).

ثالثاً: اتفاق دعوة الرسل:

إن من دلائل النبوة اتفاق دعوة الرسل جميعاً على التوحيد وإخلاص العبادة لله عز وجل، مع تفاوت الأزمنة وتباعد الأمكنة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٢).

وقوله: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾(٣).

وهذا يدل على النبوة من عدة أوجه:

منها: أن جميع الرسل دعوا إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، دون سواه.

ومنها: أن هؤلاء الرسل تفاوتت أزمانهم، وتباعدت أمكنتهم، ومع هذا فالدعوة واحدة.

ومنها: أن الرسول المتأخر يخبر بخبر المتقدم، ويبشر بمن سيلحقه، وهذا دليل العلم والإحاطة بمن سبق، وبمن يلحق، وهذا لا يكون إلا بما أطلعهم الله تعالى عليه من العلم .

---

(١) [النحل:٣٦]
(٢) [النساء:١٦٥]
(٣) [فصلت:١٤]

رابعاً: نصر الله لرسله وإهلاك عدوهم:

قال تعالى في شأن نصرة رسله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[١].

وقولـه: ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ ۚ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

قال ابن كثيررحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ۚ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، حقاً أوجبها الله على نفسه الكريمة كقوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [٣] ا.هـ[٤] .

فنصرة الله لرسله ومن أطاعه من المؤمنين، حقاً أوجبه الله على نفسه، وهو من دلائل نبوة الأنبياء "فهذا يدل مع صدق الأنبياء على الرغبة في اتباعهم والرهبة من مخالفتهم، ففيه العلم بصدقهم، والموعظة للخلق" [٥] ولهذا يقول تعالى في سورة الشعراء بعد كل قصة من قصص الأنبياء: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٦].

وفي نصر الله لرسله، ومحق أعدائهم، دلائل على النبوة أيضاً من حيث إن الله تعالى أبقى هذه المعالم والآثار في الأرض حتى بلغ العلم بها مبلغ التواتر،

---

(١) [يونس:٧٣]
(٢) [يونس:١٠٢-١٠٣]
(٣) [الأنعام:٥٤]
(٤) تفسير ابن كثير (٥٣٢/٣).
(٥) الجواب الصحيح (٢٧٤/٤).
(٦) [الشعراء:٦٧-٦٨]

كتواتر العلم بالطوفان، وتواتر العلم بدمار فرعون وقومه [١] . قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول بأنهم رسل الله وإن أقواماً اتبعوهم وإن أقواماً خالفوهم، وإن الله نصر الرسل والمؤمنين وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها، ونقل هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها، وأخبار اليونان وعلماء الطب والنجوم والفلسفة اليونانية"[٣] .

خامساً: بشارة النبي السابق بالنبي اللاحق:

كذلك من دلائل النبوة الدالة على صدقهم، تبشير الأنبياء السابقين بمن يأتي بعدهم من الأنبياء، وهذا دليل الصدق قال تعالى في سورة يونس – عليه السلام – : .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[٤].

---

(١) انظر: شرح الأصفهانية، ص٩٩.
(٢) [الروم:٩]
(٣) شرح الأصفهانية، ص١٠٣، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٩.
(٤) [يونس:٩٣-٩٤]

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية:

"أي أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك إن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها.." ا.هـ[١]. وتبشير النبي السابق بالنبي اللاحق لا يعني ذلك أن يذكره باسمه ومولده وقبيلته والسنة التي يخرج فيها، بل قد يكون الإخبار مجملاً يعرفه العوام، ويطلع عليه العلماء.

مهمة الرسل ووظائفهم: لقد بين لنا القرآن الكريم والسنة النبوية مهمّة الرسل ووظائفهم، وسنحاول أن نبين ذلك فيما يأتي:-

١ ـ البلاغ المبين: الرسل سفراء الله إلى عباده، وحملة وحيه، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة التي تحملوها إلى عباد الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾[٢].

٢ـ الدّعوة إلى الله: لا تقف مهمّة الرسل عند حدّ بيان الحقِّ وإبلاغه، بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم، والاستجابة لها، وتحقيقها في أنفسهم اعتقاداً وقولاً وعملاً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٣].

٣ـ التبشير والإنذار: ودعوة الرسل إلى الله تقترن دائماً بالتبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[٤].

٤ـ صلاح النفوس وتزكيتها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٠٦).
(٢) [المائدة: ٦٧]
(٣) [النحل: ٣٦]
(٤) [الكهف: ٥٦]

الله رحيم بعباده، ومن رحمته أن يحي نفوسهم بوحيه، وينيرها بنوره. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٢).

٥ ـ تقويم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة: كان الناس في أول الخلق على الفطرة السليمة، يعبدون الله وحده، ولا يشركون به أحداً، فلمّا تفرقوا واختلفوا أرسل الله الرسل ليعيدوا الناس إلى جادة الصواب. قال تعالى:﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾(٣).

٦ـ إقامة الحجّة: لا أحد أحبّ إليه العذر من الله تعالى، فالله جلّ وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب كي لا يبقى للناس حجّة في يوم القيامة، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٤)

٧ـ سياسة الأمة: الذين يستجيبون للرسل يُكونّون جماعة وأمة، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم، والرُّسل يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله قال تعالى: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾(٥).

---

(١) [الشورى: ٥٢]
(٢) [آل عمران: ١٦٤]
(٣) [البقرة:٢١٣]
(٤) [النساء:١٦٥]
(٥) [المائدة: ٤٨]، انظر:: الرسل والرسالات (ص٤٣-٤٤-٤٥)

ثمرات الإيمان بالرسل : ـ

١-العلم برحمة الله بعباده.

٢-إقامة الحجة على العباد بإرسال رسلاً منهم ، يعرفون خُلُقهم وهم من البشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ولم يجعلهم ملائكة.

٣- شكر الله تعالى على هذه النعمة.

٤- محبة الرسل وتعظيمهم والثناء عليهم . [١]

فكل عمل نعمله فهوفي ميزان رسولنا " ﷺ " لانه هو اللي دلنا على الله فيأتي يوم القيامة بميزانه ثقيل بأعمال أمته ﷺ فالرسول بلغ الرسالة وأدى الأمانة فلم يتركنا هملا

" صلوا كما رأيتموني اصلى " " خذوا عني مناسككم "

فقد حفظ الله السيرة وحفظ الله الهدي النبوي فليس هناك بشر نقل هدية من يوم ولادته إلى يوم موته بقصد الاهتداء إلا رسولنا محمد ﷺ فنستحضر منة الله علينا حيث أرسل الينا رسولاً يزكينا ويهدينا ويخرجنا من الظلمات إلى النور .

يبكي لأجل أمته ويبكي شوقاً لأخوانه . قام من فراشه "يأيها المدثر" " يأيها المزمل".

قم يا محمد هناك رسالة عظيمة تنذر بها قومك قم الليل لتتقوى على هذه الدعوة وتنذر هذه الأمة التي عمها الجهل والشرك . (ثلاث وعشرين) لم يقف عن الدعوة حياته كلها حافلة بالدعوة لله ، حافلة بالمصائب حافلة بالابتلاءات حافلة بالكروب وحافلة بتسلط المنافقين ومع ذلك كان صابراً، داعياً ، رحيماً بأمته ﷺ .

---

(١) انظر: شرح أصول الإيمان للشيخ ابن عثيمين (ص : ٣٨. ٣٩) وشرح أصول الإيمان د . قذلة القحطاني (ص: ١٤٢)

اللهم اجعنا مما يسير على هديه. ويشرب من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا . وممن يرد حوضه . فمن بدل عن سنته لا يردون حوضه والعياذ بالله .

ففي الحديث : « خرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى المَقبَرةِ، فسلَّمَ على أهْلِها، قال: سَلامٌ عليكم دارَ قَومٍ مُؤمنينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكم لاحِقونَ، ودِدتُ أنَّا قد رأَيْنا إخوانَنا. قالوا: أَوَلسنا بإخْوانِكَ يا رسولَ الله؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواني الَّذين لم يَأْتوا بَعدُ، وأنا فَرَطُهم على الحَوضِ. قالوا: وكيف تَعرِفُ مَن لم يَأْتِ بَعدُ مِن أُمَّتِكَ يا رسولَ الله؟ قال: أرأَيتَ لو أنَّ رَجُلًا له خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ بَينَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، ألَا يَعرِفُ خَيْلَه؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: فإنَّهم يأتون غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن الوُضوءِ -يَقولُها ثلاثًا- وأنا فَرَطُهم علَى الحَوْضِ، ألَا ليُذادَنَّ رِجالٌ عن حَوْضي كما يُذادُ البَعيرُ الضَّالُّ، أُناديهم: ألَا هَلُمَّ. فيُقالُ: إنَّهم قد بَدَّلوا بَعدَكَ، فأقولُ: سُحْقًا سُحْقًا».[1]

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ بيان معنى النبي والرسول .
ـ توضيح الفرق بين النبي والرسول .
ـ بيان معنى الإيمان بالرسل .
ـ عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالرسل .
ـ توضيح عدد الرسل والرسل المذكرون في القرآن .
ـ ما يتضمن الإيمان بالرسل .
ـ بيان وظائف الرسل .
ـ توضيح دلائل النبوة .
ـ بيان آيات الأنبياء .
ـ بيان ثمرات الإيمان بالرسل .

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩) النسائي (١٥٠) ابن ماجه (٤٣٠٦) أبوداود (٣٢٣٧) أحمد (٩٢٩٢) واللفظ له .

الإيمان باليوم الآخر

هذه مسألة عظيمة وهي من الإيمان بالغيب الذي لم نطلع عليه ولكن أمرنا بالإيمان به وهذه حقيقة يراها المؤمن كل صباح ومساء فالله تعالى جعل هذه الدار دار اختبار وعمل وجعل الآخرة دار الجزاء " مالك يوم الدين " مالك الجزاء والحساب فدار الآخرة ليس فيها عمل وليس فيها تكليف وإنما دار الجزاء .

فالإيمان باليوم الآخر سبب لسعادة المؤمن . فقد لا ينال في الدنيا شيء من الحظوظ ولكن عندما يتذكر الجنة فيها مالا عين رأت وأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيتسلى ويعلم أن هذه الدنيا زائلة .

ومن السنة إذا رأى الإنسان ما يعجبه أن يقول : " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة "

فالدنيا وما فيها ستذهب ولا يبقى منها إلا الأجر إذا احتسب الإنسان .

معنى الإيمان باليوم الآخر :

التصديق الجازم بأن الساعة آتية لاريب فيها و الإيمان بما اشتمل عليه من أهوال ، ومشاهد ، ابتداءً من حياة البرزخ إلى ما بعد ذلك من بعث ، وحشر ، والحساب ، وجنة ، ونار ، والميزان والصراط وتطاير الصحف وحوض النبي ﷺ .. كلها تدخل في الإيمان باليوم الآخر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١)

الإيمان باليوم الآخر من أمور الغيب الذي مدح الله المتصفين به فقال تعالى: ﴿ الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ

(١) [البقرة: ٦٢]

مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم .[2]

فليس فيه موت فيأتى بالموت فيذبح ويقال يأهل الجنة خلود فلا موت ويأهل النار خلود فلا موت .

فلو عرفنا حقيقة هذا الإيمان ما توقفنا دقيقة واحدة عن العمل والعبادة ، وكانت حياتنا سائرة إلى الله في كل طرفة عين وفي كل نبضة عرق لا نتوقف عن السير إلى الله ، فأهل القبور في قبورهم يتمنون الرجوع للدنيا ليركعوا ركعتين، بل إن ركعتين عندهم تعدل الدنيا وما فيها .

لذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يأمر صحابته أن يتذكروا الموت " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:« أكثروا ذكر هادم اللَّذات »[3] الموت.

فينبغي للإنسان أن يتذكر هادم اللذات ؛ لأنه إذا كان محزون أو فقير أو مريض ومبتلى يتذكر أن هذه الحياة قصيرة لذلك يستغلها أعظم استغلال حتى لا تضيع عليه في اللهو الغفلة والأحزان .

فهذه دار فيها العمر محدود وساعات الإنسان محدود فالساعة التي انقضت لا ترجع ولن تعود أبداً .

---

(١) شرح أصول الإيمان د . قذلة القحطاني

(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص : ١٠٠)

(٣) رواه الترمذي، والنَّسائي، وصحَّحه ابن حبَّان.

اليوم الآخر له أسماء كثيرة منها :ـ

يوم القيامة ـ يوم البعث ـ يوم الدين ـ الصاخة ـ الطامَّة الكبرى ـ يوم الحسرة .

الغاشية : يوم عسير، ويوم عظيم، ويوم مشهود، ويوم عبوس قمطرير، ويوم عقيم.

يوم المآب، يوم العرض، يوم الخافضة الرافعة، يوم القصاص، يوم الجزاء، يوم النفخة، يوم الزلزلة، يوم الراجفة، يوم الناقور، يوم التفرق، يوم الصدع، يوم البعثرة، يوم الندامة، يوم الفرار. يوم تبلى السرائر، يوم لا تملك نفساً لنفس شيئاً، يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم دَعّا، يوم تشخص فيه الأبصار، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، يوم لا ينطقون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم لا يكتمون الله حديثاً، يوم لا مرد له من الله، يوم لا بيع فيه ولا خلال، يوم لا ريب فيه. (١)

وغير ذلك من الأسماء الكثيرة، وقد تعددت أسماؤه لعظم أمره وكثرة أحواله وأوصافه .

علامات الساعة تنقسم إلى قسمين :

صغرى وكبرى :ـ

العلامات الصغرى أكثرها وقع منها :ـ

ـ بعثته ﷺ ، لقوله ﷺ : «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السبابة والتي تليها. والحديث في الصحيحين.

ـ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ .

(١) القيامة الكبرى (ص : ٢٠)

ـ ولادة الأمة لربتها ، كما ثبت ذلك في الصحيحين ، وفي معنى هذا الحديث أقوال لأهل العلم ، واختار ابن حجر : أنه يكثر العقوق في الأولاد فيعامِل الولدُ أمَّه معاملة السيد أمَته من الإهانة والسب" (١).

ـ موته ﷺ.

ـ فتح بيت المقدس.

ـ طاعون " عمواس " وهي بلدة في فلسطين.

ـ استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة.

ـ ظهور الفتن ، ومن الفتن التي حدثت في أوائل عهد الإسلام : مقتل عثمان رضي الله عنه ، وموقعة الجمل وصفين ، وظهور الخوارج ، وموقعة الحرة ، وفتنة القول بخلق القرآن.

ـ ظهور مدَّعي النبوة ، ومنهم " مسيلمة الكذاب " و " الأسود العنسي "

ـ ظهور نار الحجاز ، وقد ظهرت نار في منتصف القرن السابع الهجري في عام ٦٥٤ هـ ، وكانت ناراً عظيمة ، وقد توسع العلماء الذين عاصروا ظهورها ومن بعدهم في وصفها ، قال النووي : " خرجت في زماننا نار في المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة ، وتواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان ، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة "

ـ ضياع الأمانة ، ومن مظاهر تضييع الأمانة إسناد أمور الناس إلى غير أهلها القادرين على تسييرها.

ـ قبض العلم وظهور الجهل ، ويكون قبض العلم بقبض العلماء ، كما جاء في الصحيحين.

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر (١ / ١٢٢)

ـ انتشار الزنا.
ـ انتشار الربا.
ـ ظهور المعازف.
ـ كثرة شرب الخمر.
ـ كثرة القتل.
ـ كثرة الزلازل.
ـ ظهور الخسف والمسخ والقذف.
ـ ظهور الكاسيات العاريات.
ـ صدق رؤيا المؤمن.
ـ كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق.
ـ كثرة النساء.
ـ رجوع أرض العرب مروجاً وأنهاراً.
ـ انكشاف الفرات عن جبل من ذهب.
ـ كلام السباع والجمادات الإنس.
ـ كثرة الروم وقتالهم للمسلمين.
ـ فتح القسطنطينية. (١)

أمارات الساعة الكبرى : ـ

الدخان : -

من الآيات الكبرى التي تقع قبيل الساعة الدخان، قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ومما يدل دلالة صريحة على أن الدخان من العلامات الكبرى ما رواه مسلم عن حذيفة بن

(١) انظر القيامة الصغرى (من ص : ١٤٥ ـ ٢٠٠١)

أسيد الغفاري، قال:« اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » ، وقد رجح ابن كثير أن آية الدخان لم تأت بعد، وأورد في ذلك حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية: الدابة. والثالثة: الدجال » رواه ابن جرير. ورواه الطبراني وإسناده جيد. (١)

الدابة : ـ

هي دابة عظيمة تكلم الناس وتخبرهم بأحوالهم، قال تعالى: ﴿وإذاوقع الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. قيل: وهي الجساسة المذكورة في صحيح مسلم، وهي دابة أهلب أي غليظة الشعر لا يدري قبلها من دبرها من كثرة الشعر، وقيل وسميت الجساسة لتجسسها الأخبار للدجال. والله أعلم.وهذه الدابة يكون خروجها على الناس ضحى، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيَّتُهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قريباً» (٢).

---

(١) القيامة الصغرى (ص : ٢٣٠ ـ ٢٣١)

(٢) مختصر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (ص : ١٧٤) الطبعة السابعة عشر ١٤٣١هـ

النار التي تحشر الناس : ـ

خروج النار العظيمة، وهي آخر أشراط السَّاعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام السَّاعة.

ـ مكان خروجها:

ـ جاءت الروايات بأن خروج هذه النار من اليمن، من قعرة عدن هي المدينة المعروفة في اليمن جنوب الجزيرة العربية وتخرج من بحر حضرموت؛ كما جاء في روايات أخرى.

ـ وروى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال قال رسول الله ﷺ « ستخرجُ نارٌ من حضْرَمَوْتٍ – أو من نحو بَحْر حضْرَمَوْتٍ – قبلَ يوم القيامة ، تُحْشرُ الناسَ . قالوا : يا رسولَ اللهِ فما تأمُرُنا ؟ فقال : عليكُم بالشَّام» (١)

– وروى الإمام البخاري عن أنس رضى الله عنه أن عبد الله بن سلام لما اسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل، ومنها : ما أول أشراط السَّاعة ؟ فقال النبي ﷺ : «أما أول أشراط السَّاعة؛ فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» (٢)

الدجال : ـ

ـ صفته أنه شاب قَطَط أعور العين اليمنى مكتوب بين عينيه كافر(ك ف ر) يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب، وعلى عينه ظفرة غليظة – جلدة تغشى البصر أو لحمة تنبت عند المآقي :

---

(١) سنن الترمذي الرقم (٢٢١٧) حسن غريب صحيح :أخرجه الترمذي (٢٢١٧) واللفظ له، وأحمد (٥١٤٦)

(٢) صحيح البخاري (٣٩٣٨)

ـ يهبط كل قرية في أربعين ليلة إلا مكة والمدينة على أنقابها الملائكة تحرسها، وترجف الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كافر ومنافق.ـ يعصم منه من قرأ عليه فواتح سورة الكهف.

-يخرج خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فعاثٍ يَمِينًا وعاثٍ شمالاً، فيلبث في الأرض أربعين يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وسائر أيامه كأيامنا واليوم الذي هو أكبر من يومنا يُقدر له قدره من الصلاة، وينزل الدجال أول ما ينزل بالجُرُف قرب المدينة فيخرج إليه منافقوها، ويفر الناس منه في الجبال، والعرب يومئذ قليل، ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً .

ـ أما إسراعه في الأرض فكالغيث استدبرته الريح.

ـ ومعه ما يفتن الناس، فيؤمنون له فتمطرهم السماء وتخرج الأرض لهم الثمار وتدبر الأنعام لهم اللبن، ومن يكفرون به يصبحون ممحلين في خراب، ومعه نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأَيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، والآخر رأي العين نار تأجج

ـ ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتطيعه.

ـ ويأمر بالرجل فيقطعه جزلتين ثم يمر بينهما فيقوم حياً، ويحاول أن يفتن مسلماً فيفعل به مثل ذلك فيقول الرجل: ما ازددت فيك إلا بصيرة، فيحاول الدجال قتله فلا يستطيع، فيأخذ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قذفه إلى النار. – ويأمر برجل ممتليء شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين مية الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فبينما هو كذلك إذا بالمسيح ابن مريم فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله. " [1].

(١) مختصر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (ص : ١٧٥ . ١٧٦) الطبعة السابعة عشر ١٤٣١هـ

ـ نزول المسيح ابن مريم : ـ

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ وهذا دلالة على نزوله عليه السلام ومعيشته فترة ثم موته لأنه رفع دون أن يؤمن به كل أهل الكتاب.

-ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، وبعد أن يقتل الدجال بباب لد يأتي قوماً عصمهم الله منه فيمسح عن وجوهم وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لأحد بقتالهم فحرز عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ." [١]

يأجوج ومأجوج : ـ

وفي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ - ﷺ - يوماً مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، ويل للعرب من شر قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ) - وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَام وَالَّتِي تَلِيهَا - قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ أنهلِك وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: (نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَث) .

-وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الحق ... ﴾

-وهم كثيرون جداً، حتى أن أوائلهم - كما في حديث النواس عند مسلم -« ليمرون عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء» [٢].

---

(١) مختصر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (ص : ١٧٦) الطبعة السابعة عشر ١٤٣١هـ

(٢) مختصر معارج القبول (للشيخ حافظ الحكمي) (ص : ١٧٧) الطبعة السابعة عشر لعام ١٤٣١هـ

" وخروجهم يقع بعد نزول عيسى ابن مريم وهزيمته للدجال، ففي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان في حديثه الطويل، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه (أي من الدجال)، «فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى، إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحْصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فَيَرْغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النّغَفَ في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فَيَرْغَبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة.»[1]

الخسوف الثلاثة : ـ

ـ عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه قال :« كانَ النَّبيُّ ﷺ في غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ منه، فَاطَّلَعَ إلَيْنَا، فَقالَ: ما تَذْكُرُونَ؟ قُلْنَا: السَّاعَةَ، قالَ: إنَّ السَّاعَةَ لا تَكُونُ حتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَالدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِن قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ. قالَ

(١) القيامة الصغرى (ص : ٢٨٣)

شُعْبَةُ: وَحدَّثَني عبدُ العَزِيزِ بنُ رُفَيْعٍ، عن أَبِي الطُّفَيْلِ، عن أَبِي سَرِيحَةَ، مِثْلَ ذلكَ، لا يَذْكُرُ النَّبيَّ ﷺ، وقالَ أَحَدُهُما في العَاشِرَةِ: نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وقالَ الآخَرُ: وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ في البَحْرِ. وفي روايةٍ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ في غُرْفَةٍ، وَنَحْنُ تَحْتَهَا نَتَحَدَّثُ، وَسَاقَ الحَدِيثَ بِمِثْلِهِ. قالَ شُعْبَةُ: وَأَحْسِبُهُ قالَ: تَنْزِلُ معهُمْ إذَا نَزَلُوا، وَتَقِيلُ معهُمْ حَيْثُ قالوا»[1].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :« سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب " قلت : يا رسول الله ! أيُخسَفُ بالأرض وفيها الصالحون ؟ قال لها رسول الله ﷺ :إذا أكثر أهلها الخبث» [2].

طلوع الشمس من مغربها : ـ

إذا أذن الله تعالى بنهاية العالم ، وقيام الساعة أمرها أن تطلع من جهة المغرب ، وحينئذ يؤمن الناس ويوقنون بأمر القيامة ، لكن لا ينفعهم الإيمان في تلك اللحظة إلا من كان آمن من قبل ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾[3].

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا ، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ».[4]

وتطلع الشمس من المغرب يوم الجمعة لذلك هذا اليوم يوم عظيم حتى البهائم تخاف في ذلك اليوم .

---

(١) رواه مسلم (٢٩٠١)

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٧٤) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١١): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات.

(٣) [الأنعام:١٥٨

(٤) روى البخاري (٤٦٣٥) ومسلم (١٥٧)

فهذا اليوم يوم دعاء وتضرع لله ، ويوم تقوم فيه ساعة استجابة الدعوات وهو عيد من أعياد المسلمين فيعظم هذا اليوم ويخاف أن يكون هذا اليوم هو يوم خروج الشمس من مغربها .

ـ ولا تقوم الساعة الأعلى شرار الناس . ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى لا يُقالَ في الأرضِ اللهُ اللهُ » (١).

" حال العبد عند الموت "

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت ، وحال الإنسان عند الموت.

إ ذا جاءت ملائكة الرحمن العبد المؤمن بالبشرى من الله ظهر عليه الفرح والسرور، أما الكافر والفاجر فإنه يظهر عليه الضيق والحزن والتعب، ومن ثم فإن العبد المؤمن في حال الاحتضار يشتاق إلى لقاء الله، والعبد الكافر أو الفاجر يكره لقاء الله تعالى، فقد روى أنس بن مالك، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضِر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه» (٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي

(١) رواه الترمذي (٢٢٠٧)
(٢) رواه البخاري (٦٥٠٧).

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ (١).

نعيم القبر وعذابه :ـ

أجمع العلماء على أن العبد ينعم في القبر أو يعذب .

ذكر الرسول ﷺ في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه «أن الملائكة تسأل العبد المؤمن في قبره فيحسن الإجابة وعند ذاك : ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال :فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره، قال :ويأتيه (وفي رواية: يمثل له) رجل حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول :أبشر بالذي يسرك،)أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم (هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له) :وأنت فبشرك الله بخير (من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول :أنا عملك الصالح)فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً في طاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً(، ثم يفتح له باب من الجنة، وباب من النار، فيقال :هذا منزلك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما في الجنة، قال :ربِّ عجل قيام الساعة، كيما أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال له :اسكن» . (٢)

وذكر صلوات الله عليه وسلامه أن العبد الكافر أو الفاجر بعد أن يسيء الإجابة ينادي منادٍ في السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه في قبره، حتى تختلف فيه

---

(١) فصلت (٣٠)

(٢) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٧) (١٨٥٥٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٣٠٠). من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود. وقال البيهقي: هذا حديث صحيح الإسناد. وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٢٨٠)، وابن حجر في هداية الرواة (١/ ١١٦) كما أشار لذلك في مقدمته، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح.

أضلاعه، ويأتيه (وفي رواية :ويمثل له (رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول :أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول) :وأنت فبشرك الله بالشر(، من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول :أنا عملك الخبيث،)فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله ، فجزاك الله شراً، ثم يقيض الله له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة، لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ثم يفتح له باب من النار، ويمهد من فرش النار فيقول :رب لا تقم الساعة . [١]

وفي حديث أنس رضي الله عنه « أن العبد المؤمن إذا أجاب الإجابة الصادقة في قبره، يقال له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال النبي ﷺ :فيراهما جميعاً، قال قتادة :وذكر لنا أنه يفسح له في قبره وذكر في حديث أنس أن الكافر والمنافق بعد أن يجيب في قبره تلك الإجابة الكاذبة، يقال له : لا دريت، ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين . » [٢]

«إن هذه الأمة ستُبْتَلى في قبورها، فلولا أن لا تَدَافنوا لدعوتُ اللهَ أنْ يُسْمِعَكم من عذاب القبرثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا من عذاب القبر» [٣].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٤/ ٢٩٥) (١٨٦٣٧). من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٥٠): هو في (الصحيح) وغيره باختصار رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨).

(٣) صحيح على شرط مسلم (٨٦٨٠)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :« إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال» .[١]

عن ابن عباس رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول قولوا: «اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات.»[٢]

الإيمان بالبرزخ :ـ

البرزخ في كلام العرب الحاجز بين الشيئين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[٣] ، أي: حاجزاً والبرزخ في الشريعة: الدار التي تعقب الموت إلى البعث، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. قال مجاهد: هو ما بين الموت والبعث، وقيل للشعبي: مات فلان، ليس هو في دار الدنيا، ولا في الآخرة .[٤]

وقال ابن القيم: " عذاب القبر ونعيمه اسمه لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة "[٥] .

---

(١) رواه مسلم (٥٨٨)
(٢) رواه مسلم (٥٩٠)
(٣) [الفرقان: ٥٣]
(٤) القيامة الصغرى (ص : ١٥)
(٥) كتاب الروح لابن القيم (ص : ٩٨، ٩٩)

النفخ بالصور :

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الْإِيمَانُ بِالصُّورِ وَالنَّفْخِ فِيهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ عز وجل سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، والصور هو القرن الذي وكل الله به إسرافيل عليه السلام لينفخ فيه حين يأمره بذلك قال تعالى: ﴿ ونفخ فى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ إِلَّا من شاء الله وكل أتوه داخرين﴾ .

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ فَقَالَ: (قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ)» .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:« كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ التقمه وأصغى سمعه وحتى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل» . (١)

فالنفخة الأولى يموت الناس كلهم ويموت جميع المخلوقات قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾(٢).

أما النفخة الثانية فهي نفخة البعث والنشور والخروج من القبر فينفخ اسرافيل النفخة الثانية فيحي الله الناس ويخرجون من قبورهم حفاة عراة

---

(١) مختصر معارج القبول (ص : ٢٢٨) للشيخ حافظ الحكمي .
(٢) [القصص : ٨٨]

غرلاً وأول من تنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ كما جاء في الحديث : « أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ » (١)

الإيمان بالبعث : ـ

التعريفُ بالبَعث وَالنشور

البعث في اللغة: الإرسال يقال: "بعثه وابتعثه بمعنىً، أي أرسله، فانبعث" (٢) ، ويأتي بمعنى الإسراع يقال: "انبعث في السير أي أسرع"(٣).

ويأتي بمعنى الإحياء بعد الموت (٤) ، ويأتي بمعنى الإثارة، والنشر، والتحريك (٥) .

أما في اصطلاح الشرع: فيراد به البعث بعد الموت، بإحياء الأجساد، وعودة الأرواح إليها، وذلك بعد النفخ في الصور، النفخة الثانية.

قال ابن كثير : "البعث وهو المعاد، وقيام الأرواح، والأجساد يوم القيامة"(٦) .

---

(١) ابن ماجة (٣٤٩٦)
(٢) الصحاح (٢٧٣/١)، وانظر: لسان العرب (١١٦/٢)، والقاموس المحيط ص ٢١١.
(٣) لسان العرب (١١٧/٢).
(٤) انظر: المرجع السابق، وانظر: الصحاح (٢٧٣/١).
(٥) انظر: الصحاح (٢٧٣/١).
(٦) تفسير ابن كثير (٦١٤/٤).

وقال الشيخ عبدالعزيز السلمان – حفظه الله – في تعريف البعث هو: "إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي" ا.هـ[١] .

وهذه التعاريف تدل على اشتمال البعث على بعث الأجساد والأرواح، إذ المعاد الجسماني هو: "المتبادر عند الإطلاق، ويجب الإيمان به واعتقاده ويكفر منكره" [٢] .

وأيضاً تعاد هذه الأبدان، بأعيانها وأعراضها، قال القرطبي: "وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم"[٣] .

وقال ابن حزم : "أجمع جميع المسلمين على أن الله تعالى يبعث الأجساد يوم القيامة، فيرد إليها أرواحها" ا.هـ[٤] .

بل معاد الأجساد أمر متفق عليه عند أصحاب الملل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى" ا.هـ[٥] . والذي عليه سلف الأمة أن الأجساد تستحيل تراباً كما كانت [٦] ، عدا عجب الذنب [٧] كما في الحديث عن أبي

(١) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص٧٨-٧٩.
(٢) الكواكب الدرية لشرح الدرة المصنية محمد بن مانع، ص٦٥.
(٣) التذكرة، ص١٨٢.
(٤) الأصول والفروع، ص١٦.
(٥) مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤)، وانظر: أيضاً (٢٦٢/٤، ٣١٣-٣١٥)، وتفسير الرازي (٧/١٧) ويقظة أولي الاعتبار، ص٢٣ وما بعدها، ولم يخالف إلا فرقة الصدوقيين من النصارى كما ذكر ذلك الأشقر في اليوم الآخر، ص (٩٢-٩٤) وقولهم في الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى فقرة ٢٣.
(٦) يستثنى من ذلك أجساد الأنبياء والشهداء ونحوهم ممن خصهم الدليل.
(٧) عجب الذنب هو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز، وهو العسيب من الدَّواب، النهاية في غريب الحديث (١٨٤/٣).

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب» [١] ، وهذه الاستحالة ليست أمراً مستحيلاً فها هي النطفة تستحيل علقة، ثم مضغة، ثم تكتمل بشراً سوياً، وكذلك في أثناء حياته فهو يبدأ طفلاً ثم شاباً، ثم كهلاً، وهكذا الإعادة، يعاد الخلق بعد أن استحالوا تراباً[٢] .

ومع اتفاق الشرائع على الإخبار بالبعث و تأكيده، فقد أنكره قوم، وتأوله آخرون على المعاد الروحاني، دون الجسماني، اعتماداً على استحالة ذلك في عقولهم القاصرة .

والخلاصة أنَّ الناس في البعث على أربع طوائف:

الأول: إثبات المعاد للبدن والروح جميعاً، وهو قول سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، بل على ذلك أيضاً اتفق المسلمون، وغيرهم من أهل الملل كاليهود والنصارى.

الثاني: إنكار المعاد للأبدان والأرواح، كما هو اعتقاد مشركي العرب، واليونان والهند، وهو مذكور في القرآن.

الثالث: قول من يثبت المعاد للأبدان فقط، ونسب شيخ الإسلام رحمه الله هذا القول إلى كثير من المتكلمين من الجهمية والمعتزلة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، رقم: ٢٩٥٥ (٤/٢٢٧١)، ورواه أبو داود في كتاب السنة، باب: ذكر البعث والصور رقم ٤٧٤٣ (٢/٦٤٩) عن أبي الزناد به بنحوه، ورواه النسائي في السنن في كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين رقم ٢٠٧٧ (٤/١١١-١١٢) به.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٧١.

الرابع: المعاد للأرواح فقط دون الأبدان وهو قول الفلاسفة أتباع أرسطو[١] من أمثال ابن سينا [٢] ، والفارابي [٣] ، وغيرهما من المنافقين، والصابئين، والمجوس، والباطنية [٤] ... [٥] .

وقد صرح ابن سينا وغيره من الفلاسفة بإنكار البعث الجسماني.

وهذا الضلال منشؤه القياس الفاسد، فقد قاسوا بعقولهم قدرة الرب تعالى بقدرة البشر، فاعتقدوا استحالة ذلك .

ولهذا نجد أن القرآن الكريم في تقريره لقضية البعث، يركز على ثلاثة أصول:

---

(١) هو أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين، لقب بأمير الفلسفة، ولد سنة (٣٨٤) ق.م وتوفي سنة (٣٢٢) ق.م، ذهب إلى أثينا في عصر ازدهار الفلسفة، وكان شيخها أفلاطون فالتحق به حوالي عشرين سنة ثم اعتزله فجأة، مما كان مسوغاً لنقد أعدائه وطعنهم، يلقب بالمعلم الأول، وله مؤلفات كثيرة في الإلهيات والطبيعيات، انظر: دائرة معارف القرن العشرين (١/١٦٤-١٦٩).

(٢) الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي فيلسوف، أصله من بلخ، ولد في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، وكانت وفاته سنة ٤٣٨هـ، أظهر الإسلام، وأبطن الإلحاد والزندقة، قال ابن القيم – رحمه الله –: "وكان ابن سينا، كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم، فكان من القرامطة، الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا ربٍ خالق، ولا رسول، مبعوث جاء من عند الله" ا. هـ، إغاثة اللهفان (٢/٨٠) له مؤلفات كثيرة مليئة بالكفر والزندقة منها (المعاد) و(الشفا) و(القانون) وغيرها، انظر: الأعلام للزركلي (٢/٢٤١-٢٤٢).

(٣) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، يلقب بالمعلم الثاني، من الفلاسفة المنتسبين للإسلام ولد في فاراب سنة ٢٦٠، نشأ في بغداد وألف فيها معظم كتبه، ومن مؤلفاته (الفصوص)، و"آراء أهل المدينة الفاضلة" وغيرهما، توفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٧/٢٠).

(٤) الباطنية: فرقة إباحية مؤسسها ميمون بن ديصان المعروف بالقداح يدعي أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، لهم صلة بالمجوس، لا يعترفون باليوم الآخر ولازم قولهم إبطال الشريعة وسقوط التكاليف وهم فرق شتى منها الصباحية والناصرية والقرامطة البابكية.. الخ، انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص١١٨-١٢٥.

(٥) انظر: الجواب الصحيح (٤٠/٩٦-١٠٠)، ومجموع الفتاوى (٤٠/٣١٣-٣١٥) والمواقف ٣٧١-٣٧٤، والقيامة الكبرى ٧١/٧٢.

الأول: تقرير كمال العلم :ـ

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[١] وهذه الآية جاءت بعد الآيات التي فيها إثبات البعث.ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[٢].

الثاني: تقرير كمال القدرة :ـ

كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣].

الثالث: تقرير كمال الحكمة:ـ

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[٥].

وأدلة إثبات البعث والرد على منكريه كثيرة جداً، منها ما يتعلق بالإمكان ومنها ما يتعلق بالوقوع كما قصه الله تعالى علينا في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ

(١) [يونس:٦١]
(٢) [يس:٧٨-٧٩]
(٣) [يس:٨١-٨٢]
(٤) [المؤمنون:١١٥]
(٥) [القيامة:٣٦]، انظر: الفوائد، ص١٦-١٧، وانظر: تفسير الرازي (٢٧/١٧).

لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾. (١).

وقوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى في شأن أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾(٣).

وغير ذلك وبيان ذلك في مواطنه (٤) ، وقد تعددت أساليب القرآن الكريم وتنوعت طرقه في إثبات قضية البعث، بل لم يتناول القرآن الكريم – بعد الإيمان بالله – أمراً من أمور العقيدة أبلغ مما تناول أمر البعث . الاستدلال ببدء الخلق على إعادته، فمن بدأ الخلق من العدم فهو قادر على الإعادة قال تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾ (٥)الآية.

---

(١) [البقرة:٢٤٣]
(٢) [البقرة:٢٥٩]
(٣) [الكهف:١٩]
(٤) انظر: المواقف للايجي، ص٣٧١-٣٧٣، وتفسير الرازي (١٧/١٧-٢٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/٣٢-٣٨) ومجموع الفتاوى (١٧/٢٤٦-٢٦١)، والفوائد ص١٥-١٧، وشرح العقيدة الطحاوية، ص٤٦٣-٤٧٢.
(٥) [يونس:٤]

ويقول تعالى في سورة الحج: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ ﴾[1] الآية.

ولاشك أن من قدر على ذلك، قادر على الإعادة، إذ هي من باب أولى [2].

قال ابن القيم – رحمه الله – : "خلق الإنسان فإنه من أعظم الأدلة على التوحيد والمعاد، وأي دليل أوضح من تركيب هذه الصورة الآدمية بأعضائها وقواها وصفاتها، وما فيها من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والعلوم والإرادات والصناعات كل ذلك من نطفة ماء"ا.هـ[3].

كما إن حكمة الرب تعالى وعدله تقتضي البعث والجزاء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾[4].

فالله تعالى خلق العباد وأمرهم ونهاهم، ووعدهم على امتثال أوامره وتوعدهم على ترك الأمر، فلو لم يكن هناك بعث وجزاء لكان هذا الأمر والنهي والوعد والوعيد عبثاً، وهذا ينزه عنه البارئ جل وعلا.

---

(١) [الحج:٥]

(٢) انظر: تفسير الرازي (٢٦/١٧)، وانظر: الصواعق المرسلة (٤٧٣/٢-٤٧٥، ٤٨٠).

(٣) الفوائد، ص٢١.

(٤) [يونس:٤]

قال ابن القيم رحمه الله : "لهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى، وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه..[١]ا.هـ.

"فلو لم يكن للإنسان عاقبة ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصباً وهماً وحزناً ولا يكون بعدها حال مغبوطة لكان أخس الحيوانات أحسن حالاً من الإنسان" [٢] .

ويقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٣]

ويقول جل ذكره: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [٤].

إن إنكارهم للبعث ناتج عن قصور إدراكهم عن إعادة الإنسان بعد موته، وبعد أن أصبح رميماً، فلفت الحق جل وعلا أنظارهم إلى الأرض اليابسة فهي أشد جموداً وخموداً، ومع ذلك تفتقت بالنبات الأخضر وأينعت أطرافها، وعادت لها الحياة والنمو، فكذلك الإنسان [٥]

ومن الأدلة العقلية على البعث:

لفت النظر إلى خلق السماوات والأرض، وخلق الأفلاك والكواكب، على ما اشتملت عليه من العظمة التي تعلو على خلق الإنسان أضعافاً مضاعفة،

---

(١) الفوائد، ص١٧.

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني، ص١٩٨.

(٣) [الحجر:٩٢-٩٣].

(٤) [القصص:٨٤]

(٥) انظر: اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام، تأليف، د. فرج الله عبدالباري، ص٣٩٧ وانظر: محمد المثل الأعلى، تأليف أحمد جاد المولى، ص١٤٨-١٤٩.

ولهذا عقب الله تعالى بعد ذكره لخلق السماوات والأرض في ستة أيام، بقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾(١).

ويقول جل ذكره: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

ويقول أيضاً: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .ويقول تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٤).

وبيّن شيخ الإسلام رحمه الله إمكان الاستدلال بالدليل العقلي على البعث من خلال هذه الأدلة بقوله: "الإنسان يعلم الإمكان الخارجي تارة بعلمه بوجود الشيء وتارة بعلمه بوجود نظيره، وتارة بعلمه بوجود ما الشيء أولى بالوجود منه، فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه، ثم إنه إذا تبين كون الشيء ممكناً فلابد من بيان قدرة الرب على ذلك (٥) ا.هـ.

ثم أثبت رحمه الله البعث على ضوء هذا الاستدلال إذ خلق السماوات والأرض أبلغ من خلق الإنسان:

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٦).

وكذلك البدء أشق من الإعادة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

(١) [يونس:٤]
(٢) [يونس:٥٥-٥٦]
(٣) [يونس:١٠١]
(٤) [يس:٨١]
(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/٣١/٣٢).
(٦) [غافر:٥٧]

﴾[١].

أما الأدلة على البعث من الحس:

فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا في سورة البقرة في خمس أمثلة:

١- قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

٢- في قصة القتيل الذي اختصموا به بنو اسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٣]

٣- في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف، فأماتهم الله ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾[٤].

٤- في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِـى هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥].

---

(١) [الروم:٢٧]
(٢) [البقرة ٥٤,٥٥]
(٣) [البقرة ٧٢,٧٣]
(٤) [البقرة ٢٤٣]
(٥) [البقرة ٢٥٩]

٥- في قصة ابراهيم الخليل حين سأل الله أن يريه كيف يحيي الموتى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

الإيمان بالحشر:

تعريفه:

الحشر لغة: الجمع يقال "حشرهم يحشرهم حشراً: جمعهم" (٢) وسمي بهذا الاسم لأنه تجتمع فيه الخلائق (٣).

وفي اصطلاح الشرع: جمع الخلائق، وسوقهم إلى أرض المحشر بما فيهم المكلف وغير المكلف، من البهائم والوحوش على القول الصحيح، وذلك لفصل القضاء (٤).

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٥) الآيات، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٦).

---

(١) [البقرة ٢٦٠].
(٢) لسان العرب (١٩٠/٤) مادة "حشر".
(٣) انظر: الصحاح (٦٣٠/٢)، وانظر: لسان العرب (١٩٠/٤).
(٤) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ص١٧٠.
(٥) [يونس:٢٨]
(٦) [يونس:٤٥]

عموم الحشر للثقلين والبهائم والوحوش:

وعلى أرض المحشر يحشر الله تعالى الخلائق، من الإنس، والجن، وهذا لا خلاف فيه، وأما حشر البهائم والوحوش، فاختلف فيه العلماء على قولين:

الأول: بأنها تحشر جميعاً، وهو قول أبي ذر، وأبي هريرة، وعمرو بن العاص وابن عباس والحسن وغيرهم [١] ورجحه ابن جرير[٢] ، والقرطبي [٣] ، وذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية [٤] ، وابن كثير [٥] -رحمهم الله-.

واستدلوا بعدة أدلة منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٦].

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [٧] .

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾[٨].

قال شيخ الإسلام: "وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة"[٩]ا.هـ.

---

(١) انظر: جامع البيان (١٨٨/٧-١٨٩)، وانظر: التذكرة ٢٧٣.
(٢) انظر: جامع البيان (١٨٩/٧).
(٣) انظر: التذكرة (٢٧٣).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤٨/٤).
(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (٢٣٤/٢).
(٦) [الأنعام:٣٨]
(٧) [التكوير:٥]
(٨) [الشورى:٢٩]
(٩) مجموع الفتاوى (٢٤٨/٤).

أيضاً استدلوا بالأحاديث الدالة على القصاص بين البهائم، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه رسول الله قال: "لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء [١] من الشاة القرناء"[٢].

قال شيخ الإسلام : "والأحاديث في ذلك مشهورة، فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض، ثم يقول لها: كوني تراباً، فتصير تراباً، فيقول الكافر حينئذ: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ﴾ [٣] ا.هـ[٤].

القول الثاني: من قال بعدم الحشر للبهائم، وأن معنى حشرها موتها روى عن ابن عباس في رواية عنه، والضحاك [٥].

ودليلهم أن هذه البهائم لا تعقل، ولا تفقه وليست مكلفة لقوله تعالى: ﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[٦].

فهي ليست أهلاً للكرامة، فلا فائدة من حشرها [٧].

أحوال أهل المحشر:

جاء في الأحاديث أن الناس يحشرون حفاة، عراة، غرلاً [٨] كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «تحشرون حفاة عراة

---

(١) "هي التي لا قرن لها" النهاية في غريب الحديث (٢٨٤/١).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم رقم: ٢٥٨٢ (١٩٩٧/٤)، ورواه أحمد في مسنده (١٩٣/١٢)، ط، دار المعارف بمصر عن العلاء به بنحوه. ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص رقم ٢٤٢٢ (١٣٨/٧) عن العلاء به.

(٣) [النبأ:٤٠]

(٤) انظر: الفتاوى (٢٤٨/٤).

(٥) انظر: جامع البيان (١٨٨/٧) وانظر: (٦٧/٣٠) وانظر: زاد المسير (٣٦/٣)، وانظر: التذكرة، ص٢٧٣.

(٦) [الفرقان:٤٤]

(٧) انظر: التذكرة، ص٢٧٤.

(٨) "الغرلُ" جمل الأغرل، وهو الأقلف والغرلة: القلفة النهاية في غريب الحديث (٣٦٢/٣).

غرلاً. قالت عائشة: فقلت يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك»(١).

أهوال يوم القيامة : ـ

ـ تشتد الاهوال ويعظم الخطب ويود الكافر أن له ملك ما في الأرض ليفتدي به من سوء العذاب ..

قال تعالى : ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

﴾قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاّ تَرَىَ فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً يَوْمَئِذٍ يَتّبِعُونَ الدّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً ﴾(٢).

ـ يوم طويل قال تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (٣).

وقال تعالى :﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾(٤)يوم يشتد فيه الحر ، يوم تشتد فيه الاهوال كل هذه الجبال وما على الأرض تغير الدنيا لا يوجد عليها شيء وصار مثل القرص والناس واقفون ينتظرون الفرج وينتظرون النجاة وكل مرتهن بعمله ، قال تعالى :﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٥).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر رقم: ٦١٦٢ (٢٣٩١/٥)، ورواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم ٢٨٥٩ (١٩٤/٤) عن حاتم بن أبي صفيره به، بنحوه.

(٢) [طه:١٠٥-١٠٨]

(٣) [المعارج : ٤]

(٤) [المعارج : ٥]

(٥) [الروم :٥٥]

تتغير الأرض، وتتزلزل الجبال، وتكون كثبان الرمل كالصوف المنفوش، وتسير سير السحاب، وتفجر البحار وتكون ناراً ،وتسوى الأرض وتتحرك السماء وتتشقق والملائكة على أطرافها ويذهب نور الشمس وتتناثر النجوم ، وتشخص الابصار وتتقلب القلوب ويشيب الصغير وتذهب العقول وكلا يقول نفسي نفسي .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (١).

قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ ﴿وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ (٢).

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٣).

اقرؤا سورة الحاقة ، المعارج الواقعة ، التكوير والانفطار .

هذه السور شيبت رسول الله ﷺ شاب رأسه عليه الصلاة والسلام وهو يقرأها ويتأثر بما فيها قال عليه الصلاة والسلام " شيبتني هود وأخواتها .. "

يقول المناوي رحمه الله : "(شيبتني هود) أي سورة هود (وأخواتها) أي وأشباهها من السور التي فيها ذكر أهوال القيامة ، والعذاب. والهموم والأحزان إذا تقاحمت على الإنسان أسرع إليه الشيب في غير أوانه " (٤)

فيحب الاستعداد لهذا اليوم وانه سيحاب على الذرة قال تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(٥).

---

(١) [عبس : ٣٣]
(٢) [المعارج : ١١ . ١٤]
(٣) [ابراهيم : ٤٨]
(٤) فيض القدير (٢٢١/٤)
(٥) [الزلزلة:٨]

قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

ذكر مُسلم من حَدِيث الْمِقْدَاد بن الْأسود قَالَ سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: « تدنى الشَّمْس يَوْم الْقِيَامَة من الْخلق حَتَّى تكون مِنْهُم كمقدار ميل قَالَ سليم بن عَامر فوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بالميل مسافة الأَرْض أَو الْمِيل الَّذِي تكحل بِهِ الْعين قَالَ فَيكون النَّاس على قدر أَعْمَالهم فِي الْعرق فَمنهمْ من يكون إِلَى كعبيه وَمِنْهُم من يكون إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُم من يكون إِلَى حقْوَيْهِ وَمِنْهُم من يلجمه الْعرق الجاما »(٢)

لذلك من يفرج كربة فالدنيا يفرج عنه كربة من كرب يوم القيامة .. ، ففي الحديث قال ﷺ « ومَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسلمٍ كُرْبةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بها كُرْبةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامةِ .... » (٣)

ـ وفي الحديث قوله ﷺ : «سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: إمامٌ عادلٌ وشابٌّ نشَأ في عبادةِ الله تعالى ورجلٌ ذكَر اللهَ خاليًا ففاضت عيناه ورجلٌ ـ كان ـ قلبُه معلَّقٌ في المَسجدِ ورجُلأن تحابَّا في الله: اجتمَعا عليه وتفرَّقا ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ إلى نفسِها فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه » (٤)

أهوال يوم القيامة

وفي ثلاثة مواضع لا يسأل أحد عن أحد: عند تطاير الصحف ، وعند الميزان ، وعند الصراط .

في هذا اليوم الناس يفرون للأنبياء يطلبون منهم الشفاعة ...

---

(١) [الحج : ١]
(٢) صحيح الجامع (٢٩٣٣)
(٣) صحيح البخاري (٢٤٤٢)
(٤) رواه ابن حبان (٧٣٣٨)

عن أبي هريرة رضي الله عنه «أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بلَحْمٍ فَرُفِعَ إلَيْهِ الذِّرَاعُ، وكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ منها نَهْشَةً، ثُمَّ قالَ: أنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَومَ القِيَامَةِ، وهلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذلكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ ما لا يُطِيقُونَ ولَا يَحْتَمِلُونَ، فيَقولُ النَّاسُ: ألَا تَرَوْنَ ما قدْ بَلَغَكُمْ، ألَا تَنْظُرُونَ مَن يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: علَيْكُم بآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السَّلَامُ فيَقولونَ له: أنْتَ أبو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، ألَا تَرَى إلى ما قدْ بَلَغَنَا؟ فيَقولُ آدَمُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فيَقولونَ: يا نُوحُ، إنَّكَ أنْتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهْلِ الأرْضِ، وقدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ: إنَّ رَبِّي عزَّ وجلَّ قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنَّه قدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا علَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى إبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إبْرَاهِيمَ فيَقولونَ: يا إبْرَاهِيمُ أنْتَ نَبِيُّ اللهِ وخَلِيلُهُ مِن أهْلِ الأرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ ألَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، فيَقولُ لَهمْ : إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ – فَذَكَرَهُنَّ أبو حَيَّانَ في الحَدِيثِ – نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فيَقولونَ: يا مُوسَى أنْتَ رَسولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وبِكَلَامِهِ علَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ، ألَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ

يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنِّي قدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فيَقولونَ: يا عِيسَى أنْتَ رَسولُ اللهَّ، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ فيَقولُ عِيسَى: إنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ولَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إلى غيرِي اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فيَقولونَ: يا مُحَمَّدُ أنْتَ رَسولُ اللهَّ وخَاتِمُ الأنْبِيَاءِ، وقدْ غَفَرَ اللهُّ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، فأنْطَلِقُ فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عزَّ وجلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُّ عَلَيَّ مِن مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ علَى أحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأرْفَعُ رَأْسِي، فأقُولُ: أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، أُمَّتي يا رَبِّ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ أدْخِلْ مِن أُمَّتِكَ مَن لا حِسَابَ عليهم مِنَ البَابِ الأيْمَنِ مِن أبْوَابِ الجَنَّةِ، وهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذلكَ مِنَ الأبْوَابِ، ثُمَّ قالَ: والذي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّ ما بيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِن مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كما بيْنَ مَكَّةَ وحِمْيَرَ - أوْ كما بيْنَ مَكَّةَ وبُصْرَى- »[1]

ثم يأتي بعد ذلك الحساب قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[2]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :« ليسَ أحَدٌ يُحاسَبُ إلَّا هَلَكَ قالَتْ: قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُّ فِداءَكَ، أليسَ يقولُ

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)
(٢) [الزلزلة:٨]

اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا﴾ قالَ: ذاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ ومَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ» (١)

فالله يتجاوز عن المؤمن ويستر عليه كما جاء في الحديث عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما «أنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ، كيفَ سَمِعْتَ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ في النَّجْوَى؟ قالَ: يَدْنُو أحَدُكُمْ مِن رَبِّهِ حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عليه، فيَقولُ: أعَمِلْتَ كَذَا وكَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ، ويقولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ، فيُقَرِّرُهُ، ثُمَّ يقولُ: إنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وأَنَا أغْفِرُهَا لكَ اليومَ» (٢)

فرحمة الله واسعة ومغفرته عظيمة إلا الشرك فإن الله لا يغفره عزوجل.

فالدواوين ثلاثة : ـ

ديوان لا يغفره الله وهو الشرك .

ديوان يتجاوز الله عنه ، وهو ما بينه وبين العبد إذا تاب وأناب .

ديوان المظالم ، لابد فيه من الحساب، وهو ما بين العبد وبين الناس .

فالقصاص يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات كما جاء في الحديث فيؤخذ من حسناته ..ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ» . (٣)

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦)
(٢) صحيح البخاري (٧٥١٤)
(٣) صحيح مسلم (٢٥٨١)

وفي الحديث : « لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إلى أهْلِها يَومَ القِيامَةِ، حتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ، مِنَ الشَّاةِ القَرْناءِ.» (١)

فالحذر من حقوق الناس من الظلم والغيبة قذف الأعراض قذف المحصنات الكذب والبهتان كلها هذه من الأمور التي لابد فيها من القصاص .

نشر الصحف :

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾(٣)

فكلاً ينتظر صحيفه لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فتتطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ، وهو موقف عظيم ، ومشهد مهيب . نسأل الله أن يجعلنا ممن يأخذ كتابه بيمينه .

الميزان ومعناه عند أهل السنة والجماعة :

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان، والمقصود به: الميزان الذي يوزن به أعمال العباد من خير أو شر، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

(١) رواه مسلم (٢٥٨٢)
(٢) [الحاقة:١٩-٢٤]
(٣) [الاسراء : ١٣]

النبي ﷺ قال: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

أعظم ما يثقل الميزان كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " .

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسع وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر. ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب. فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل ويقول: لا. فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة. وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة - وهي الورقة الصغيرة - فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» (١)

قال تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢)

موازين الآخرة توزن بالعمل كما في الحديث« إنَّ عبدَ الله بنَ مسعودٍ انْكَشَفَتْ ساقُه ، وكانت دقيقةً هزيلةً ، فضَحِكَ منها بعضُ الحاضِرِينَ . فقال النبيُّ : أَتَضْحَكُونَ من دِقَّةِ ساقَيْهِ ! و الذي نفسي بيدِه لَهُمَا أَثْقَلُ في الميزانِ من جَبَلِ أُحُدٍ » (٣)

الحوض - حوض النبي ﷺ :ـ

ذكر النبي ﷺ أوصافا متعددة لحوضه، ترغيبا للأمة في بذل الأسباب الموجبة لوروده والشرب منه، فذكر من أوصافه: أن ماءه أشد بياضاً من

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)
(٢) [الأعراف :٨]
(٣) حسنه الألباني في غاية المرام الرقم (٤١٦)

اللبن، وأحلى من العسل، وأن طوله وعرضه سواء، وأن سعته كما بين أيلة وصنعاء، وأن عدد كؤوسه كعدد نجوم السماء، وأن من شرب منه لا يظمأ أبدا، وهذه الأوصاف ذكرها النبي – ﷺ – في أحاديث، منها:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ «إِنَّ حوضي لأبعد من أيلة إلى عدنٍ، والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم، ولهو أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إِنِّي لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه. قيل: يا رسول الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون عليَّ غُرّاً محجَّلين من أَثر الوضوء، ليست لأحدٍ غيركم» (١)

" أيلة " بلدة بطرف بحر القلزم من طرف الشام ..

والرسول يعرف أمته بآثار الوضوء ففي الحديث « رَقِيتُ مع أَبِي هُرَيْرَةَ علَى ظَهْرِ المَسْجِدِ، فَتَوَضَّأَ، فقالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: إنَّ أُمَّتي يُدْعَوْنَ يَومَ القِيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِن آثارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطاعَ مِنكُم أنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»(٢).

ففي الحديث : « لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ ناسٌ مِن أصْحابِي الحَوْضَ، حتَّى عَرَفْتُهُمُ، اخْتُلِجُوا دُونِي، فأقُولُ: أصْحابِي! فيَقولُ : لا تَدْرِي ما أحْدَثُوا بَعْدَكَ » (٣)

الصراط : ـ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾. قال قَتَادَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ هُوَ الْمَمَرُّ عَلَيْهَا. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زيد بن أسلم: ورود المسلمين على الْمُرُورُ عَلَى الْجِسْرِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهَا وَوُرُودُ الْمُشْرِكِينَ أن يدخلوها.

(١) ورواه مسلم / ٢٤٨ في الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند
(٢) البخاري (١٣٦)
(٣) صحيح البخاري (٦٥٨٢)

وروى الإمام أحمد الله عن ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ كُلُّهُمْ ثُمَّ يَصدُرون عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ»(١) .

اختلاف سرعة الناس في المرور على الصراط: تختلف سرعة الناس في المرور على الصراط وذلك باختلاف قوة النور الذي يعطى لهم على قدر أعمالهم ، ويدل عليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه الطويل الذي فيه يقول النبي ﷺ: «ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخرُّ يد، وتعلق يد، وتخر رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أرانا لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد» (٢).

القنطرة :

روى البخاري في صحيحه مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا .. » .

قَولُهُ ﷺ: «فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»: قال الشيخ ابن عثيمين: "وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص

(١) مختصر معارج القبول (ص : ٢٥٤) للشيخ حافظ الحكمي .
(٢) رواه الحاكم (٤٠٨ / ٢)

أخص لأجل أن يذهب الغل، والحقد، والبغضاء التي في قلوب الناس فيكون هذا بمنزلة التنقية، والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص، فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار لأجل تنقية ما في القلوب حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل" كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين ﴾[1].

الحشر إلى دار القرار: الجنَّة أو النار: ـ

وبعد مشاهدة القيامة يطلب من كل أمة أن تتبع الإله الذي كانت تعبده في ختام هذا اليوم يحشر العباد إما إلى الجنة وإما إلى النار، وهما المقرّ الأخير الذي يصير إليه العباد جميعاً، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه يطلب من كل أمة في آخر ذلك اليوم أن تتبع الإله الذي كانت تعبده، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس، والذي كان يعبد القمر يتبع القمر، والذي كان يعبد الأصنام تصور لهم آلهتهم ثم تسير أمامهم ويتبعونها، والذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه، ثم إن هذه الآلهة الباطلة تتساقط في النار، ويتساقط عبادها وراءها في السعير، كما قال تعالى في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾، ولا يبقى بعد ذلك إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب، وفي المؤمنين المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا، فيأتيهم ربهم، فيقول لهم: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيعرفونه بساقه عندما يكشفها لهم، وعند ذلك يخرون له سجوداً، إلا المنافقون فلا يستطيعون ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ثم يتبع المؤمنون ربهم، وينصب الصراط ويعطى المؤمنون أنوارهم، ويسيرون على الصراط، ويطفأ نور المنافقين، ويقال لهم: ارجعواوراءكم فالتمسوا نوراً، ثم يضرب بينهم بسور

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين (ص : ٤٠٣) الطبعة الخامسة ١٤٣٣هـ دار ابن جوزي.

له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، ويمر العباد على الصراط مسرعين بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة . (١)

فإذا دخل المؤمنون الجنة : ـ

قالوا : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (٢)

وقال تعالى :﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)

فالجنة سلعة الله وهي غالية ففي الحديث : « إنَّ أهلَ الجنةِ لَيتراءَون أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم ، كما تُراءون الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابرَ في الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ لتفاضُلَ ما بينهم » (٤)

وقال ﷺ : « ذرِ النَّاسَ يَعمَلونَ، فإنَّ الجنَّةَ مائةُ درجةٍ، ما بينَ كلِّ درجتينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، والفِردَوْسُ أعلاها درَجةً وأوسَطُها، وفَوقَها عرشُ الرَّحْمنِ، ومِنها تُفَجَّرُ أنْهارُ الجنَّةِ، فإذا سألتُمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ » (٥)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ (٦)

قال النبي ﷺ في حديث الإسراء :« ثم رفعت إليّ سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا

---

(١) القيامة الكبرى (ص : ٢٥٣، ٢٥٤)
(٢) [فاطر: ٣٤ ـ ٣٥]
(٣) [السجدة : ١٧]
(٤) الجامع الصحيح (٢٠٢٧)
(٥) الجامع الصحيح (٤٣٠٦)
(٦) [النجم: ١٣ – ١٤]

أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ فقال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران: فالنيل والفرات»[١]

فليس فيها حقد ولا حسد وقلوب اهل الجنة صافية نقية واعمالهم طيبة " لا لغو فيها ولا تأثيم " .

وأول من يدخلها نبينا محمد ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَومَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟، فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ». [٢]

ثم أمته ثم الفقراء المهاجرين ثم الفقراء عامة يدخلون

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِيْنَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَومَ القِيَامَةِ إِلَى الجَنَّةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً»[٣].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُون أَلْفاً أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، لا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ». [٤]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إنّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لا يَبُولُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ، وَلا يَتْفِلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ،

(١) رواه البخاري: ٣٢٠٧، ومسلم:٤٣٤.
(٢) أخرجه مسلم (١٩٧)
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٧٩)
(٤) رواه مسلم (٣٥٤)

أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعاً».(١)

وأعظم نعيم أهل الجنة رؤية الله عزوجل، ويلهمون الحمد كما يلهمون النفس.

إخراج الموحدين من النار وعن آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر الخارجين من النار خروجًا منها

في حديث البخاري يقول النبي ﷺ : «حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء يقال له: ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، ويبقى رجل منهم مقبل بوجهه على النار، فيقول: يا رب قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النار؟ فلايزال يدعو الله، فيقول- أي الله : لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة؟ فيقول: أليس قد زعمت ألا تسألني غيره، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فلا يزال يدعو، فيقول -أي الله : لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق ألا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: رب أدخلني الجنة؟ ثم يقول: أو ليس قد زعمت ألا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو

(١) رواه مسلم (٢٨٣٤) وابن ماجه (٣٥١٣)

حتى يضحك-أي الله ، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل له: تمن من كذا؟ فيتمنى، ثم يقال له: تمن من كذا؟ فيتمنى حتى تنقطع به الأماني، فيقول له: هذا لك ومثله معه » (١).

أحوال أهل النار :ـ

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ " ﴾

أبواب النار، وأنها تفتح فجأة بمجرد وصول أصحابها إليها، لتعجل لهم العقوبة، و عددها سبعة، بنص كلام الله تعالى لما قال : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾(٢).

وأنها أطباق بعضها أسفل من بعض، قال الشيخ السعدي رحمه الله: "كل باب أسفل من الآخر لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ من أتباع إبليس : ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ أي بحسب أعمالهم" (٣)

"وقال ﷺ : « والذي نفسي بيدِه لو أنَّ قطرةً من الزَّقُّومِ قُطِرَت في بحارِ الأرضِ لأَفسدَتْ أو قال لأَمَرَّتْ على أهلِ الأرضِ معايشَهم فكيف بمن يكونُ طعامُه » (٤).

مجيء النار :ـ

أنه في ذلك اليوم الرهيب، والموقف العصيب، قال عزوجل عن ذلك المجيء الرهيب

---

(١) رواه البخاري: (٦٥٧٣)

(٢) [الحجر: ٤٤]

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: ٤٣١.

(٤) ضعيف الترغيب (٢١٥٩)

﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [١]، قال عبد الله بن مسعود : «يُجَاءُ بِجَهَنَّمَ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» [٢]

وقد قال ﷺ :« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام » [٣] قوله :يؤتى بجهنم من المكان الذي خلقها الله فيه، إلى أرض المحشر، ويدل على ذلك أنه قال﴿: وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾

الإيمان بالجنة والنار :ـ

قال الطحاوي رحمه الله : " والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه، وكل يعمل لما قد فرغ له، وصائر إلى ما خلق له، والخير والشر مقدران على العباد ".وقال محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية في شرحه لهذا النص:" أما قوله: "إن الجنة والنار مخلوقتان"، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن" . [٤]

مسائل مستفادة من الدرس :ـ

ـ معنى الإيمان باليوم الآخر .

ـ أسماء اليوم الآخر .

ـ علامات الساعة الكبرى والصغرى .

ـ حال العبد عند الموت .

ـ نعيم القبر وعذابه .

---

(١) [الفجر: ٢٣]

(٢) الطبراني في الكبير: (٣٩/٩)

(٣) رواه مسلم: (٧٣٤٣)

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص : ٤٢٠) لمحمد علاء الدين بن أبي العز الطبعة لعام ١٤١٨هـ

ـ أسباب عذاب القبر .
ـ حال البرزخ .
ـ النفخ بالصور .
ـ البعث والحشر .
ـ أهوال يوم القيامة .
ـ الشفاعة العظمى .
ـ القنطرة .
ـ الحشر إلى دار القرار الجنة أو النار .
ـ الفرق بين حال أهل الجنة وحال أهل النار .
ـ الإيمان بالجنة والنار .

المتن

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[١]

الشرح

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، فالإيمان بالقضاء والقدر من أسباب سعادة المؤمن، وانشراح صدره في هذه الحياة، إيمانه بالقضاء والقدر، لأنه يعلم أن الأمور كبيرها وصغيرها كلها بتقدير الله تعالى فيرضى ويسلم، والإيمان بالقضاء والقدر من أهم ركائز العقيدة الإسلامية، وهو ركن من أركان الإيمان .[٢]*

فما معنى الإيمان بالقضاء والقدر ؟

ما الأدلة على الإيمان بالقضاء والقدر ؟

ما مراتب القدر ؟

ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر:

" الإيمان بعلم الله بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وكتابته في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، ثم الإيمان بمشيئته جل وعلا، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ووقوعهما على التقدير السابق زماناً، وصفةً.وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة [٣]

وللإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب يجب الإيمان بها جميعاً

---

(١) [القمر: ٤٩]

(٢) * قبل الشرح أنبه إلى أهمية التأصيل الشرعي في هذا الباب وعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر لا تؤخذ من المواقع المشبوهة ، ولا تؤخذ من التخمين ، وانما تؤخذ بتأصيل من الكتاب والسنة . وهي من أركان الإيمان الستة .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤٨/٣-١٤٩)، (٤٤٩/٨، ٤٥٢، ٤٥٩)، وانظر: الواسطية، ص٢٢-٢٣ وانظر: التدمرية ص٢٠٩، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٥١، وانظر: لوامع الأنوار (٣٤٨/١).

المرتبة الأولى: العلم.

ومعناه الإيمان بأن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو تعالى يعلم ما الخلق عاملون وعلم أحوالهم، وآجالهم وأرزاقهم، وهو متصف بهذا العلم أزلاً وأبداً، وهذا ما اتفقت عليه هذه الأمة، عدا فرقة القدرية الضالة التي ظهرت في أواخر عهد الصحابة [١].

ومنكر هذه المرتبة كافر بالإجماع [٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣]

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ..﴾[٤] الآية.

وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٥].

---

(١) فرقة القدرية ظهرت في أواخر عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وأول من قال بنفي القدر معبد الجهني كما ذكرت أكثر المصادر، وقتل صبراً في زمن الحجاج عند خروجه من ابن الأشعث، وقد قيل: إنه مات مصلوباً بدمشق لبدعته في القدر، وكان القدرية الغلاة ينفون العلم السابق وأن الله تعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وأن الأمر أنف ثم ظهرت بعد ذلك فرقة القدرية المجوسية نفاة المشيئة والخلق وهم جمهور المعتزلة ومن وافقهم من الخوارج والمرجئة والشيعة، انظر: الفصل في الملل والنحل (٨٢/٣)، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٣٠/١) (٤٥/١)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٦٤/٧)، وانظر: ميزان الاعتدال (١٤١/٤)، وانظر: تهذيب التهذيب (٢٠٣/١٠-٢٠٤).

(٢) انظر: السنة للخلال، ص ٥٢٩-٥٣٠، وانظر: الإبانة ص٢٠٣ وانظر: شرح أصول الاعتقاد (٧٠٦/٤ وما بعدها) وانظر: مجموع الفتاوى (٤٩١/٨-٤٩٧)، وانظر: شفاء العليل ص ٥٥-٦٣، وانظر: معارج القبول (٣٢٨/٢) وانظر: (٩٢٠/٣-٩٢٣).

(٣) [لقمان :٣٤]

(٤) [يونس:٣٩]

(٥) [يونس:٦١]

وقوله: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[١].

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة

ومعناها أن الله تعالى كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، وعلى ذلك أجمع أهل السنة.

قال ابن القيم رحمه الله "وأجمع الصحابة والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب" ا. هـ[٢]

ودليلها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾[٣]

وهذه الآية جمعت بين مرتبتي العلم والكتابة، وهذا يقع كثيراً في القرآن الكريم[٤] كقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[٥].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء»[٦] .

والأدلة على هذه المرتبة من الكتاب والسنة كثيرة جداً[٧] .

---

(١) [يونس:٦٥]

(٢) شفاء العليل، ص٧٧.

(٣) [يونس:٦١]

(٤) انظر: تفسير الكريم الرحمن (٣٦٦/٣).

(٥) [الحج:٧٠]

(٦) رواه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى – عليهما السلام – رقم ٢٦٥٣ (٢٠٤٤/٤).

(٧) انظر: شفاء العليل من ص٧٣ إلى ص ٧٩، وانظر: معارج القبول (٩٢٤/٣-٩٤٠).

عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنَّ أوَّلَ ما خلق اللهُ القلَمُ ، فقال لهُ اكتُبْ ، قال : ما أكتُبُ ؟ قال : اكتُبْ القدَرَ ، ما كان و ما هو كائِنٌ إلى الأبَدِ » (١)

قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفةً، ثم يكونُ علقةً مثلَ ذلك ، ثم يكونُ مضغةً مثلَ ذلك ، ثم يبعثُ اللهُ إليه ملَكا ، ويُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ ، ويُقالُ له : اكتبْ عملَه ، ورزقَه ، وأجلَه ، وشقيٌّ أو سعيدٌ ؛ ثم يُنفخُ فيه الروحَ ، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ ، حتى لا يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ ، فيدخلُ النارَ . وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ ، حتى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذراعٌ ، فيسبقُ عليه الكتابُ ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ ، فيدخلُ الجنةَ » (٢)

المرتبة الثالثة: المشيئة

فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ابن القيم رحمه الله : "وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان ..، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"ا.هـ(٣).

---

(١) الجامع الصحيح (٢٠١٧)

(٢) صحيح الجامع (١٥٤٣) والبخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) باختلاف يسي فكل شيء كتبه الله تعالى فالجنين يخرج من بطن امه وقد كتب الله رزقه وعمله واجله وشقي أو سعيد فالإنسان يبذل الأسباب ولكنها كلها كتبت .

(٣) شفاء العليل، ص٨٠.

والإيمان بالمشيئة إيمان بحقيقة الربوبية، إذ لا يجري في الكون إلا ما يشاؤه الرب تعالى، فالخلق خلقه، والعباد عباده، والرزق رزقه، والعطاء عطاؤه، والمنع منعه، إذ لا مالك غيره، ولا رب سواه [١].

ودليلهما في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [٢].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٣].وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [٤].

وقوله جل ذكره: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[٥].

وهذه المشيئة متعلقة بالأمر الكوني القدري، وهي مستلزمة لوقوع المراد ولا يلزم منها الحب والبغض، كما شاء الله تعالى خلق إبليس والشياطين والكفار وهو يبغضهم، وكذلك خلقه من الأفعال ما يبغضه ويسخطه، كالكفر والشرك والنفاق، فهو سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا يسأل عما يفعل.وأما المحبة والرضا فمتعلقها أمره تعالى الديني، وهو لا يستلزم الوقوع، إذ قد يحب الله تعالى أمراً ولا يشاؤه فلا يقع لعدم المشيئة،

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٨٠-٩٠.
(٢) [يونس:١٦]
(٣) [يونس:٢٥]
(٤) [يونس:٤٩].
(٥) [يونس:٩٩-١٠٠]

وقد يشاؤه ويحبه فيقع[١] .والأحاديث في إثبات هذه المرتبة كثيرة وقد عقد البخاري رحمه الله في صحيحه لذلك باب ساق فيه جملة من الأحاديث [٢].

المرتبة الرابعة: الخلق

وتعني الإيمان بأن الله خالق كل شيء، بما في ذلك أفعال العباد، وقدرهم، وآجالهم، وهذه المرتبة اتفق عليها أهل الإسلام، واتفقت عليها الكتب الإلهية ونازع فيها التي قبلها طوائف من القدرية [٣].

ودليلها في قولـه تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [٤]الآية.

وقولـه ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [٥] .

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [٦].

قال ابن القيم : "وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله، وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإن الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له" ا.هـ[٧] .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/١٨٨-١٩٠) و(٨/١٩٧-٢٠٠)، وانظر: منهاج السنة (٣/١٦-١٧) (٣/١٨٠، ١٥٦-١٥٨)، وانظر: شفاء العليل ص (٨٨-٩٠)، (٤٤٥-٤٤٨)، وانظر: فتح الباري (١٣/٤٥٨-٤٥٩)، وانظر: لوامع الأنوار (١/٣٣٨-٣٣٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٦/٢٧١٥).

(٣) انظر: منهاج السنة (٣/١٢-١٣، ١٢٨-١٢٩)، وانظر: شفاء العليل، ص٩١.

(٤) [الأعراف:٥٤]

(٥) [يونس:٦].

(٦) [الزمر:٦٢]

(٧) شفاء العليل، ص٩٧.

ومنكر هذه المرتبة مبتدع ضال، ولا يحكم بكفره، ما لم ينكر العلم[١]

هذه هي مراتب القدر التي لا يكتمل إيمان المسلم، إلا بإيمانه بجميعها[٢].

كما جاء في حديث جبريل عندما سأل رسول الله ﷺ "ما الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله، قال: صدقت .." الحديث [٣] .

رُوي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه» [٤] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه: "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عز وجل وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقضاً للتوحيد ومن وجد الله وآمن بالقدر، كانت العروة الوثقى" [٥] .

---

(١) انظر: الإيمان لابن تيمية ص٣٦٩.

(٢) انظر: الواسطية ص ٢٢-٢٣، وانظر: جامع العلوم والحكم (١/١٠٣-١٠٤)، وانظر: لمعة الاعتقاد مع شرحها للشيخ محمد بن عثيمين (٩٢-٩٣)، وانظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة "رسالة ماجستير" بجامعة الإمام محمد بن سعود للشيخ عبد الرحمن المحمود ٢٣-٥٨.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى رقم ١٠ (١/٤٠).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/٤٤١-٤٤٢)، ورواه أبو عاصم في السنة رقم: ٢٤٧٦ (١/١١٠) عن أبي الربيع به بنحوه، وقال الألباني في تخريجه: حديث صحيح، رجاله ثقات على ضعف هشام، ولكنه قد توبع، ولحديثه شواهد ا. هـ ظلال الجنة، ص (١/١١٠).

(٥) رواه الآجري في الشريعة ص ٢١، ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم ١١١٢ (٣/٦٢٣) من طريق أخرى بنحوه، ورواه أيضاً برقم: ١٢٢٤ (٤/٦٧٠) بأطول منه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/١٩٧) ثم قال: "رواه الطبراني في الأوسط وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف، وقال الألباني: "ضعيف موقوفاً ومرفوعاً" تخريج العقيدة الطحاوية، ص٢٥٠، قلت: وإن كان ضعيفاً فمعناه صحيح.

قال الإمام النووي رحمه الله: "تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد، من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى" ا.هـ[١] .

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: "الإيمان بالقدر خيره وشره فهي الخصلة العظمى التي تتفاوت فيها الأقدام بكثير من الدرجات، فمن رسخ قدمه في هذه الخصلة ارتفعت طبقته في الإيمان" ا.هـ[٢] .

فيجب الإيمان بالقضاء والقدر فالله تعالى لا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن به .

الإيمان بحكمة الله تعالى فالله حكيم رحيم فيما قدر جل وعلا .

فهذه الأقدار لله حكمه فيها قد يكون فيها ابتلاء وقد فيها تمحص ورفعة للدرجات وتكفير الخطايا والذنوب ، والصبر يعتبر من الإيمان بالقدر فلا يجوز التسخط على أقدار الله . فمن الأدعية التي ندعو بها في الصباح والمساء " ففي الحديث أنه من قال : « رَضيتُ باللهَّ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبِمُحمَّدٍ رسولًا، وجَبت لَهُ الجنَّةُ» [٣] ، و من قالها منَ قلبه ذاق حلاوة الإيمان .

وهذا الرضى معناه الرضا بالله ربا، بربوبيته، وألوهيته، وحكمه، وبشرعه وبأمره، وقدره، فإذا لم يصل العبد إلى هذه الحقيقة لم يذق حلاوة الإيمان .

ومتى يتبن ذلك ؟

عندما تأتيه مصيبة أو مر ببلاء . كيف يكون رضاه ؟

بعض الناس إذا أصيب بالبلا ء انتكس، وبعضهم يخرج من دينه؛ لأن الإيمان بالقضاء والقدر ما رسخ في قلبه فالابتلاء والمصائب تقيس الإيمان برضاك عن الله تعالى .

---

(١) شرح مسلم (٢/١٥٥).

(٢) قطر الولي على حديث الولي ص ٤١٣.

(٣) رواه أبو داود (١٥٢٩)

فترضى بالله خالقاً ومدبراً وإلهاً وحاكماً، وترضى بشرعه وأمره وقدره ، فإذا وقعت المصيبة ترضى لأنك تعرف أن الله قدره قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يقول علقمة بن قيس رحمه الله في تفسير الآية: " هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضَى " (١)

فهذه منزلة الرضا وهي منزلة عظيمة ولكن إذا لم يقدر على الرضا فليزم منزلة الصبر وهو حبس اللسان عن التسخط وحبس القلب والجوارح عن النياحه واللطم وشق الجيوب .

وفي الحديث :« لا يبلغُ العبدُ حقيقةَ الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه» (٢)

فالإيمان له أثر في الرضا بقضاء الله ، فكلما ارتفع الإيمان كلما رضى الإنسان بأقدار الله ، بل إن سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام مرت عليه المصائب فمات أبناءه وبناته ودفنهم بيده الشريفة عدا فاطمة رضي الله عنها ، وماتت خديجة رضي الله عنها، ومات عمه ومات عدداً من أصحابه ، وهو صابراً راضياً مستسلماً لأمر الله تعالى عليه الصلاة والسلام .

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه : « أنَّ ابنةً لِرَسولِ اللهِ ﷺ أرْسَلَتْ إلَيْهِ ومع رَسولِ اللهِ ﷺ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، وسَعْدٌ، وأُبَيٌّ، أنَّ ابْنِي قَدِ احْتُضِرَ فَاشْهَدْنَا، فأرْسَلَ يَقْرَأُ السَّلَامَ ويقولُ: إنَّ للهِ ما أخَذَ وما أعْطَى، وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وتَحْتَسِبْ فأرْسَلَتْ إلَيْهِ تُقْسِمُ عليه، فَقَامَ وقُمْنَا معهُ، فَلَمَّا قَعَدَ رُفِعَ إلَيْهِ، فأقْعَدَهُ في حَجْرِهِ، ونَفْسُ الصَّبِيِّ تَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسولِ اللهِ

(١) تفسير الطبري (٤٢١/٢٣)
(٢) الجامع الصحيح (٢١٥٠)

ﷺ، فَقَالَ سَعْدٌ: ما هذا يا رَسولَ اللهَّ؟! قَالَ: هذِه رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللهُ في قُلُوبِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، وإنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنَ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ » (١)

فالصبر من لوازم الرضا بقضاء الله وقدره .

ففي الحديث : ـ " عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له " (٢)

ودل ذلك على أن المؤمن له حالتين إما سراء فيكون شاكراً لله ومتعبد لله بهذه النعمة وصرفها في طاعة الله سواء كان في نعمة صحة أو مال أو نعمة أولاد كل شيء يتعبد الله بهذه النعمة

ويستخدمها في طاعة الله .

و إما تصيبه المصائب والإبتلاء فهو صابرا ومحتسباً وراضياً بما قدره الله .

فلا يستطيع الشيطان أن يظفر منه بشيء ففي الحالتين مؤمن بالله ومؤمن بقضاه وقدره .

وأحياناً نعمة السراء أشد من نعمة الضراء لأن الإنسان أحياناً ينسى النعمة وينسى شكر النعمة وربما كفر بالنعمة ، ربما بطرأ بها وربما استعملها بالمعصية ربما اغتر بها .

فنعمة الضراء يكون الإنسان فيها منكسر لله وقريب من الله ، لكن السراء قد تفتن العبد وتنسيه حياة الفقراء فيصاب بما هو أعظم من ذلك .

والدليل على ذلك حديث الثلاثة الأبرص والأقرع والأعمى . (٣)

---

(١) رواه البخاري (٦٦٥٥)
(٢) الحديث رواه مسلم (٢٩٩٩)
(٣) رواه مسلم (٢٩٦٤)

وتأمل حال الأبرص والأقرع عندما كفرا بنعمة الله وجحدا بها، وفتنا بهذا المال، ونسبا هذه النعمة لأنفسهم ولآبائهم وأجدادهم فسخط الله عليهما.

كذلك من الأمور التي يجب الحذر منها لأنها تقدح في كمال التوحيد، سب الدهر، وهذه مسألة تتعلق بالقضاء والقدر والله تعالى هو الذي خلق القدر وهو الذي خلق الليل والنهار ويقلب الليل والنهار كما قال في الحديث القدسي: " إنَّ اللهَ يقولُ يُؤذِيني ابنُ آدَمَ يسُبُّ الدَّهرَ وأنا الدَّهرُ بيدي الأمرُ أُقلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ "(١)

فالله تعالى هو الذي خلق الليل والنهار فإذا جاءت المصيبة في هذا اليوم يسب الدهر ويسب اليوم فالدهر لا علاقة له لما أصاب الأنسان أو يتشائم الإنسان من شهر معين أو يوم معين أو وقت معين.

والإيمان بالقدر لا يمنح العبد حجة على ما ترك الواجبات أو فعل المعاصي، ومن احتج بالقدر فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾(٢)، ولو كان لهم حجة بالقدر ما إذا مكن الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾(٣)

ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

---

(١) رواه الطبراني (٨ / ٣٥٤)
(٢) [الأنعام:١٤٨]
(٣) [النساء: ١٦٥]

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ الآية»[١]. وفي لفظ لمسلم: «فكل ميسر لما خلق له »[٢] فأمر النبي ﷺ الصحابة بالعمل والنهي عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[٣].

وقال: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[٤] ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكن مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

والخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به العبد إلا بعد وقوع المقدور وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدو له بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتاج بالقدر، أفليس شأن الأمرين واحداً؟

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠٥)، ومسلم (٢٦٤٧).
(٢) رواه مسلم (٢٦٤٧).
(٣) [التغابن:١٦]
(٤) [البقرة: ٢٨٦]

وإليك مثال يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض، وخوف، وجوع، والثاني: منتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال. فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمان، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك طريق في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟

مثال آخر: نرى المريض يأمر بالدواء فيشربه ولا تشتهيه نفسه، وينهى عن الطعام الذي يضره ويتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله أو يفعل ما نهى الله ورسوله ثم يحتج بالقدر؟

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يتقبل حجته، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى. ويذكر" أن ـ أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله، فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله"[1].

(١) شرح الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب شرح لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م (ص : ١١٤ ـ ١١٥)

وقد ضل في القدر طائفتان:

"**إحداهما: الجبرية** الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه آثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعال أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾(١)

وقال: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾(٢)، وقال: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾(٣).

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم

(١) [آل عمران:١٥٢]
(٢) [الكهف:٢٩]
(٣) [فُصِّلَت:٤٦]

مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[2]

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته".[3]

ثمرات الإيمان بالقدر:

١ـ التوكل على الله وتفويض الأمر له سبحانه.

٢ـ السعادة التي تحصل للعبد بالرضا بقضاء الله وقدره كما بينها عليه الصلاة والسلام في قوله: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له» [4].

٣ـ نفي العجب عن النفس.عند حصول مراده فما قدره الله من أسباب الخيرفيحب أن يكون شاكراً لله تعالى وهذا منهج نبينا عليه الصلاة والسلام فتح الله مكة ودخلها فاتحاً ونصره الله على هؤلاء المشركين ، ومع ذلك دخلها شاكرا لله ومنكسراً لله تعالى وعفى عنهم.

٤ـ المسارعة للعمل الصالح وعدم الاتكال[5].

---

(١) [البقرة:٢٥٣]

(٢) [السجدة:١٣]

(٣) انظر شرح الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب شرح لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م (ص :١١٧)

(٤) صحيح مسلم (كتاب الزهد والرقاق – باب المؤمن أمره كله خير)، (٤/٢٢٩٥) برقم (٢٩٩٩).

(٥) انظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص٥٨-٥٩).

٥ ـ الطمأنينة لما يجري من أقدار الله فالانسان يفعل الأسباب ولكن إذا وقع الأمر فهذا الذي قدره الله في اللوح المحفوظ فدعاء الاستخارة ..." اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر- ويسميه باسمه من زواج أو سفر أو غيرهما- خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسِّره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، وقدّر لي الخير حيث كان، ثم أرضني به "

هذه الاستخاره هي تفويض لله تعالى الذي يعلم السر ويعلم النجوى فأنت تفوض الأمر لله جل وعلا وتسأل الله أن يرضيك فإذا وقع فهذا الذي قدره الله فأرضى به وكون واثقاً أن الله قدره والله ما في قدره إلا الخير والبركة عاجلاً أو آجلاً .

٦ ـ أن يعلم الإنسان أن هذه المصيبة فيها الخير فقد تكفرمن الذنوب أو ترفعك منزلة في الجنة فقد يكون للإ نسان منزلة عالية في الجنة لا يصل لها إلا بهذه المصيبة فتكون ابتلاء ، وقد تكون هذه المصيبة فيها ردع للإنسان عن الظلم، أو يكون في غفلة عن الدين، فالمصيبة ترده للدين وترجعه لله .

مسائل مستفاد من الدرس : ـ

ـ تعريف الإيمان بالقضاء والقدر .

ـ أهمية معرفة الإيمان بالقضاء والقدر .

ـ مراتب الإيمان بالقضاء والقدر . " العلم ، الكتابة ، المشيئة ، الخلق "

ـ أقوال العلماء في مراتب الإيمان بالقضاء والقدر .

ـ بيان أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يمنح حجة ترك الواجب أو فعل معصية من عدة وجوه .

ـ بيان الفرق التي ضلت في باب القضاء والقدر .

ـ ثمرات الإيمان بالقدر .

المتن

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإحسان

رُكْنٌ وَاحِدٌ ، وهو : (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّه مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1] ، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2]وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[3]، وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: (أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ:(أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإحسان. قَالَ: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: (يَا عُمَرُ

(١) [النحل: ١٢٨].
(٢) [الشعراء: ٢١٧ . ٢٢٠].
(٣) [يونس: ٦١].

أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟). قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم » (١).

الشرح

مرتبة الإحسان : ـ

فمرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين إذا كمل الإنسان مرتبة الإسلام ارتفع لمرتبة الإيمان ثم ارتفع لمنزلة الإحسان وهذه المرتبة العالية « أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّه يَرَاكَ»

فهذه المرتبة مبنية على أعمال القلوب فلا يصلها العبد حتى يصل إلى غاية الحب وغاية الذل فيصل إلى حب الله والذل له سبحانه .

غاية الحب أن تعبد الله بكل جوارحك سائرا إلى الله في كل وقت وفي لحظة وفي كل حين .

غاية الذل أن تكون في غاية الخوف من الله جل وعلا .

ويترتب على هذا أن يكون العبد عابداً لله مخلصاً لله لا يريد بعمله رياء ولا سمعه ولا مدح من الناس

يكون العبد في غاية الرجاء فأعمال القلوب تتحقق في الإحسان أن يكون في أعلى مراتب الإخلاص وأعلى مراتب اليقين وأعلى مراتب الخوف وأعلى مراتب الرجاء وأعلى مراتب الحب لله جل وعلا .

وهؤلاء عباد الله المخلصين وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ الذي عبد الله وقام حتى تفطرت قداماه .

---

(١) رواه مسلم (٨).

معنى الإحسان :ـ

الإحسان هو: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»

فضل الإحسان: قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١]

جزاء الإحسان: قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[٢]

مراتب الإحسان : .

أولها: مرتبة المراقبة والمشاهدة والخوف من الله عزَّ وجلَّ وخشيته.

وثانيها: مرتبة الحياء من الله سبحانه وتعالى.

وثالثها: مرتبة الأنس برب العالمين ..

آثار الإحسان:

ـ وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه " الإحسان " فإنه سوف يكون مخلصاً لله – عز وجل –

" من تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان على ألا يراه الناس في عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سراً، إلا إذا كان في إعلان ذلك مصلحة للمسلمين والإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعاً يقتدي به، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراساً يسيرون عليه أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدي بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء لهذا يثني الله – عز وجل – على الذين ينفقون أموالهم سرا وعلانية .. "[٣]

والإحسان مرتبة عظيمة لا يناله إلا خواص أهل الإيمان الكُمل وهم الصفوة من عباد الله المحسنين .

---

(١) [البقرة: ١٩٥].

(٢) [الرحمن:٦٠].

(٣) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله الطبعة الثانية لعام ١٤٢٦هـ (ص : ١٢٠)

"فالإحسان ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه " [١]

سواء فيما بينه وبين الله عزوجل أو ما بينه وبين عباد الله .

فهو سبحانه يحب من عباده من كان محسن لعباده . فسبحانه جل وعلا الذي رحمته وسعت كل شيء .

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله :فأن **تعبد الله كأنك تراه**، كما قال النبي ﷺ، وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى، **"فإن لم تكن تراه فإنه يراك"**، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله – عز وجل – كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه " [٢]

وهذه الدرجة أدنى من الأولى ، فالدرجة الأولى مبينة على الحب والشوق والذل لله تعالى ، والدرجة الثانية مبنية على الخوف ، وهاتين هما أصول العبادة، فالعبادة مبنية على غاية الحب وغاية الذل .

فإذا كان الإنسان على هذا الوجه فسوف يكون مخلصاً لله تعالى لا يريد بعبادته رياء ولا سمعه بل إنه يخفي عبادته وبخفي أعماله لأنه له مع الله شأن في هذه العبادات كما وصف الله عباده المحسنين بقوله:﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله الطبعة الثانية لعام ١٤٢٦هـ (ص : ١١٨)
(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين الطبعة الثانية لعام ١٤٢٦هـ (ص : ١١٩)

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١]

ذكر الله حالة المتصدقين في جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم﴾ أي: طاعته وطريق مرضاته، لا في المحرمات والمكروهات وشهوات أنفسهم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ إذا خاف المقصرون ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إذا حزن المفرطون، ففازوا بحصول المقصود المطلوب، ونجوا من الشرور والمرهوب، ولما كمل تعالى حالة المحسنين إلى عباده بأنواع النفقات ذكر حالة الظالمين المسيئين إليهم غاية الإساءة "[٢]

فهم بالسر يعملون وفي العلانية لا يأبهون ولا يرقبون الناس فقلوبهم متعلقة بالله تعالى الذي يهمهم كيف يتقبل الله أعمالهم ..

وأعظم ما يعين العبد للوصول لمرتبة الإحسان : ـ

ـ العلم من أعظم الأمور التي تصل للإنسان لمرتبة الإحسان فكل ما عرف الإنسان الله تعالى وصل إلى درجة الإحسان فمعرفة التوحيد يملاء قلبه بمحبته والذل له وخشيته.

فالجهل بالله من أسباب ضعف العبادة والتجرأ على المعاصي والمنكرات لأن العبد المحسن لا يمكن أن يعصي الله ، كذلك إذا استشعر أن الله يراه لا يتجرأ على فعل المعصية دليل مرتبة الإحسان قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّه مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾.

---

(١) [البقرة : ٢٧٤]

(٢) تفسير السعدي (ص ٤٦)

ـ كثرة ذكر الله . لأن الغافل بعيد عن الله إذا غفل القلب غفل اللسان . وهذا لا يصل إلى مرتبة الإحسان . إذا كان الإنسان لا يذكر الله إلا قليلاً ولا يسبح الله إلا قليلاً ولا يقرأ القرآن إلا قليلاً فهو في حالة من ضعف الإيمان .

ـ محاسبة النفس ومراقبة الله ويصبح الإنسان محاسب لنفسه في جميع أعماله.

ـ تلاوة القرآن وتدبره وأعمال السر وقيام الليل وتذكر الجنة والنار والآخرة وما أعده الله للمحسنين .

فيجب على العبد أن يجاهد نفسه للوصول لهذه المرتبة .

معية الله تعالى :ـ

معية الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

معية الله تنقسم إلى قسمين :ـ

ـ معية عامة .

ـ معية خاصة .

فالعامة هي: التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن، وكافر وبَر وفاجر، في العلم، والقدرة، والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية. وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال المراقبة لله عزّ وجل، ولذلك قال النبي ﷺ: "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت" .

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ .

وأما الخاصة فهي: التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له. وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم. وهذه المعية توجب لمن آمن بها كمال الثبات والقوة.ومن أمثلتها قوله تعالى:

﴿ وأَنَّ اللَّهَ مَعَ المؤمنِينَ ﴾ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

وهذه معية الله مع المتقين وأبرز صفة لهم هي التقوى أي اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترك المعاصي والمحرمات .

والمحسنون في عبادتهم ومحسنون إلى الخلق لذلك نالوا معية الله فهو يحفظهم ويكلؤهم ويؤيدهم ، وهي المعية الخاصة للمؤمنين والمحسنين كما كانت معية الله لنبيه محمد ﷺ عندما دخل الغار وهو وحيد شريد ومكروا فيه الكفار وطرده من مكة ومع ذلك يؤيه الله وينصره الله وكان في الغار وينزل الله عليه آيات السكينة والتثبيت والربط مع صاحبه أبا بكر رضي الله عنه وارضاه فالشاهد أن الله له معية خاصة مع أولياءه من أهل الإحسان .

" والله مع المتقين المحسنين، بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله، بأن عبدوا الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه"(١).

من أدلة مرتبة الإحسان :ـ

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .

أعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به ، الاعتماد على ربه ، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعال ، في جلب المنافع ، ودفع المضار، مع ثقته به ، وحسن ظنه بحصول مطلوبه ، فإنه عزيز رحيم ، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده ، وبرحمته به يفعل ذلك.

(١) تفسير ابن سعدي سورة النحل (ص : ٤٥٤)

﴿ الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ، ثم نبهه على الاستعانة باستحضار قرب الله ، والنزول في منزل الإحسان فقال: ﴿ الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ ﴾ أي: يراك في هذه العبادة العظيمة ، التي هي الصلاة ، وقت قيامك ، وتقلبك راكعا وساجدا خصها بالذكر، لفضلها وشرفها ، ولأن من استحضر فيها قرب ربه ، خشع وذل ، وأكملها ، وبتكميلها، يكمل سائر عمله ، ويستعين بها على جميع أموره.

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لسائر الأصوات على اختلافها وتشتتها وتنوعها،

الْعَلِيمُ (الذي أحاط بالظواهر والبواطن ، والغيب والشهادة)

فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله ، وسمعه لكل ما ينطق به ، وعلمه بما ينطوي عليه قلبه من الهم ، والعزم ، والنيات ، مما يعينه على منزلة الإحسان. (١) الدليل الثالث للإحسان قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾

يخبر تعالى، عن عموم مشاهدته، واطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم، وسكناتهم، وفي ضمن هذا، الدعوة لمراقبته على الدوام فقال: وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ أي: حال من أحوالك الدينية والدنيوية.

﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾ أي: وما تتلو من القرآن الذي أوحاه الله إليك. وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ صغير أو كبير إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ أي: وقت شروعكم فيه، واستمراركم على العمل به.

(١) تفسير ابن سعدي سورة الشورى (ص : ٦٠٣)

فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وإياكم، وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم وبواطنكم. "[١]

وهذه الآية عظيمة لو استشعرنا معناها بحيث نراقب الله تعالى في جميع أعمالنا فذكر الله تعالى جميع أمورك وجميع أحوالك ثم خص تلاوة القرآن ثم ذكر الاعمال كلها والخطاب موجه للرسول ﷺ وأمته في جميع أحوالكم وحركاتكم وسكناتكم إلا والله عزوجل شاهدا عليكم ومطلعاً عليكم .

فإذا استشعر الله هذا الإحاطة وهذه المعية فإنه يخاف الله ويراقبه[٢]*

فالله خفف عنا فأول ما فرضت الصلاة كانت خمسين صلاة فلو فرضت خمسين صلاة لم نستطع تأديتها كيف نؤدي خمسين صلاة مع الحياة والمشاغل والأولاد ؟

فرب العالمين لطف بنا وجعلها خمس صلوات ، هذا معنى الإحسان مع الله تعالى .

أما الإحسان مع الخلق: أن تحسن مع الناس بالمال وببذل العلم الإحسان للناس ببذل المعروف .

---

(١) تفسير السعدي سورة يونس (ص ٣٦٢)

(٢) *. أين أهتمامنا بالعبادات ؟

. أين اهتمامنا بصلواتنا ؟ التي ترفع لله عزوجل كل يوم وهي الصلاة التي بينك وبين الله وهي أعظم ميثاق وأول ما تسأل عنها يوم القيامة ؟ وكذلك صيام رمضان وهو يدخل علينا مرة في الشهر .كيف تكون النية في صيامه . هل استشعرنا كيف نقدمه لله ؟ ملف في ثلاثين يوم على ماذا سوف نقدم هذا التقرير وهذه الخزائن ، ثلاثين خزينة لا يكون فيه نميمة ولا فيها غيبة ولا فيها نقص !! وهل أكملت به السنن والواجبات . لماذا قلبت الموازين في رمضان يكون الاهتمام بالطعام والشراب والاهتمام بالشكليات !!

وهذه الشكليات لا تتعبد الله بها . أين العبادة التي يريدها الله منك في رمضان ؟

هذه درجات الإحسان ؟ كيف نحسن مع الله ؟ كيف نقدم لله العبادة التي يرضاه هو سبحانه لا كما تهواها أنفسنا ؟ أين اتقاننا لأعمال الآخرة ؟ هذا دين ليس لهو ولعب فالله يريد أن تتعبد له وتؤدي عبادة لله عزوجل !!.

ومن بذل المعروف الابتسامة ومن الإحسان بكف الأذى عن الناس . فعندك جار لا تستطيع أن تقدم له شيء من الإحسان كف الأذى عنه وعدم إيذاءه .

والأقارب من الإحسان وصلهم وزيارتهم بالكلمة الطيبة بالمساعدة البدنية بالمواساة فالمواساة نوع من أنواع الإحسان .

فالله عزوجل يريد من عباده أن يكون متحابين ومتآلفين .

وهناك حقوق للمسلم يجب القيام بها وهي كما ذكرها الرسول ﷺ في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»(١)

وفي رواية لمسلم :«حق المسلم على المسلم ست قيل: ما هن يا رسول الله؟، قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»(٢)وكذلك الإحسان إلى الزوج والأولاد والوالدين هم أولى الناس بهذا الإحسان فليكن خيرك لأهل بيتك وعاملهم بمبدأ الإحسان . فلا نتعامل بميزان الدنيا بحيث أحسن لي أحسن له وإذا أساء لي أسيء له .. لا ! المؤمن حاله غير المؤمن يعامل الناس بمرتبة الإحسان وهذا المحسن شأنه مع الله عظيم فقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣)

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، (٢/ ٧١) برقم: (١٢٤٠)، ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم: (٢١٦٢)، بلفظ :خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، (٤/ ١٧٠٥)، برقم(٢١٦٢)

(٣) [فصلت : ٣٥]

جاءت هذه الآية في سورة فصلت في موضوع قوله تعالى :﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (١)

ـ من الإحسان للناس تعليم العلم بل من أعظم الإحسان نشر العلم .

فالمرأة التي سقت كلباً بالخف ماء فدخلت الجنة ، فكيف بمن سقى الناس العلم ؟

كيف بمن سقى الناس القرآن ؟

كيف بمن سقى الناس التوحيد ؟

كيف بمن دلهم على التوحيد وأخرجهم من ظلمات الشرك ؟

فالبركة في نشر العلم وإنقاذ الناس من البدع ومن الشركيات .

فانشر العلم واحتسب واطلب من الله القبول فما يدريك قد نكون كلمة يسمعها منك عاصي أو مذنب أو مشرك يغيره الله ويفتح الله بها قلوب غلف واذان صم والمخلص كلامه مؤثر .

قَالَ عبد الله بن أَحْمد بن حَنْبَل قَالَ: "أُخْبِرْتُ عَنِ ابْنِ السَّمَّاكِ قَالَ: قَالَ ذَرٌّ لِأَبِيهِ، عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ :مَا بَالُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَتَكَلَّمُونَ فَلَا يَبْكِي أَحَدٌ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ سُمِعَ الْبُكَاءُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا؟ فَقَالَ :يَا بُنَيَّ! لَيْسَتِ النَّائِحَةُ الْمُسْتَأْجَرَةُ كَالنَّائِحَةِ الثَّكْلَى" (٢) .

فمن عرف الله وأحب الله ليس كلامه كمن لم يعرف الله ولم يحب الله .

وهذه من أعظم مراتب الإحسان .

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ شرح حديث جبريل عليه السلام .

ـ بيان أهمية معرفة الإحسان .

---

(١) فصلت (٣٤ . ٣٥)

(٢) القصاص والمذكرين لابن الجوزي (ص : ٢٥٠)

ـ معنى الإحسان .

ـ مراتب الإحسان .

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُون ﴾[1]

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

ـ توضيح معنى معية الله .

ـ بيان الأمور المعينة للوصول إلى مرتبة الإحسان .

ـ أدلة دالة على الإحسان .

ـ بيان كيف يكون الإحسان مع الله ومع الخلق .

ـ بيان أن من الإحسان مراقبة الله في جميع الأعمال .

(١) [النحل : ١٢٨]

المتن

الأَصْلُ الثَّالِثُ : مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلام، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة. نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾ ، وَأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ. بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالْدَعْوةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾[1] وَمَعْنَى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

الشرح

هذا الأصل الثالث من الأصول الثلاثة وهو أصل عظيم يجب معرفته، بل إنه من العلم الضروري الذي لا يسع لأحد أن يجهله* .

---

(١) [المدثر: ١-٧].

* فيجب على المسلم معرفة هذا الأصل ويعرف سيرة النبي وأخلاق النبي ﷺ .

املؤا بيتكم بسنته وبسيرته وبذكر حبه ﷺ حتى يتعلق الأجيال بنبيهم ويتبعون نبيهم ﷺ وما تنحرف بهم الطرق ويقلدون الكفرة واليهود والنصارى .

ما هو الواجب علينا في معرفة النبي ﷺ ؟

معرفة نسبه ﷺ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله ابن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل، إبن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام " [1]

لهذا اليهود حقدت على النبي ﷺ ؛ لأنه من نسل إسماعيل عليه السلام، ولم يؤمنوا به كفراً وعناداً مع أن البشارة به في كتبهم وعرفوه .

و نبينا ﷺ اسمه (**محمد**) ومعناه : الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره ، وله عدة أسماء : هذا أشهرها وأفضلها وأعظمها، ومنها (أحمد والعاقب والحاشر و المقفى ونبي الملحمة)، ولهذا جاء في القرآن بهذا الاسم كما في قولـه تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ ، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ ، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾، ولقبه أبو القاسم ، ووالده (**عبد الله**) وهو الذبيح الثاني المفدى بمائة من الإبل، ولم يدرك النبوة وقد مات وهو كافر، وجده (**عبد المطلب**) واسمه شيبة ، ويقال له : شيبة الحمد ، لجوده وجماع أمر قريش إليه، وإنما سمي بعبد المطلب ، لأن عمه المطلب قدم به مكة وهو رديفه وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبداً له فقالوا هذا عبد المطلب أي: عبدٌ للمطلب، فعلق به هذا الاسم ، ووالد عبد المطلب هو (**هاشم**) واسمه عمرو وإنما سمي هاشماً ، لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في أعوام الجوع (**وهاشم**) قبيلة (**من قريش**) أي : من قبيلة قريش وهي أشهر وأشرف قبائل العرب ، (**وقريش**) أصلها (**من العرب**) فهي قبيلة عربية ، (**والعرب من ذرية**) أي من سلالة (**إسماعيل بن إبراهيم الخليل**) أبو الأنبياء (**عليه وعلى نبينا**) محمد (**أفضل**

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله (ص : ١٢٢)

الصلاة والسلام) فإبراهيم عليه السلام بعد كبر سنه وهبه الله بولد سماه إسماعيل ، وإسماعيل هو الملقب بالذبيح وعاش مع العرب ، ثم من بعده وهب إسحاق ، وإسماعيل عليه السلام خرج من نسله نبينا محمد ﷺ ، وإسحاق خرج بقية الأنبياء من نسله فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته فقط قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ لذا سمي إبراهيم أبو الأنبياء ، لأن الأنبياء من بعده من نسله، إما من طريق إسماعيل وهو محمد ﷺ أو من طريق إسحاق، وهم جميع الأنبياء عدا نبينا محمد ﷺ ، قال النبي ﷺ : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » [(١)].

فنبينا أشرف الناس نسباً، فهو هاشمي قرشي ، وهكذا الرسل تبعث في أكرم قومها أحساباً »[(٢)] .

كانت قريش تقول نحن أولى بابراهيم وهم يكفرون و يشركون بالله جل وعلا والله تعالى فبين الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[(٣)].

ـ له من العمر ثلاث وستون سنة وهذا على الصحيح وفيه خلاف بالعمر الذي مات به النبي ﷺ وأرجح الأقوال أنه توفى بعمر ثلاث وستون سنة .

ولادته

ولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل يوم الاثنين ، وفي يوم الاثنين بعث ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر إلى المدينة ، وفيه توفي ، قال ﷺ : « ذلك

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٦)
(٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ١٦٦ . ١٦٧)
(٣) [النحل : ١٢٠]

يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه »رواه مسلم [١] ، ولا يجوز أن يقام احتفال بمولده ﷺ ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يقم لمولده في حياته احتفالاً ، والصحابة رضي الله عنهم وهو أحب الناس إليهم لم يفعلوا ذلك وتوفي أبوه وهو حمل، وكان عند جده عبد المطلب، ثم عند عمه أبي طالب ، وتزوج خديجة وله خمس وعشرون سنة ، وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية وكان النبي ﷺ قبل البعثة يلقب بالأمين (وله من العمر) الذي عاشه في هذه الدنيا (ثلاث وستون سنة) هي مجموع عمره من ولادته إلى مماته (منها) أي : من هذه السنين (أربعون) سنة (قبل النبوة) فلم يوح إليه إلا وعمره أربعون عاماً ، وهذا سن اكتمال الأشد قال سبحانه : ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ﴾[٢]

وهذه الأربعين سنة التي عاشها قبل النبوة عرف بالصادق الأمين .

عرف عليه الصلاة والسلام بعفته فلم تورى له عورة قط .

عرف ترفعه عن أعمال الجاهلية فلم يسجد لصنم ولم يشرب الخمر ولم يلهو كما كانوا يلهون، فقد حفظه الله من جميع أعمالهم ومن جميع المنكرات التي كانوا عليها ، وهذا حفظ الله ورعايته لنبيه ﷺ ، رغم أنه عاش يتيماً، فالله تعالى تولى رعايته وحفظه وتربيته ، ثم أكرمه بزوجة من نساء أهل الجنة رضي الله عنها وارضاها " خديجة بنت خويلد " تلك المرأة الصابرة المؤمنة التي كانت عضداً له وكانت لها اليد الطولى في نصرة دين الإسلام .

فقد أتاها الله المال والجمال والرفعة ، وكانت تكبر النبي" ﷺ " بخمسة عشر سنة ولم يكن هذا الأمر عائق بل كان أنجح زواج على وجه الأرض بكل المقاييس ، بل زواج لم ترى الدنيا مثل هذا الزواج، ويكفي خديجة رضي

(١) صحيح مسلم رقم (١١٦٢) ٢ / ٨١٩ من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ.
(٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ١٦٨)

الله عنها أن الله يبلغها السلام ويبشرها بالجنة ففي الحديث قال رسول الله ﷺ : « أتاني جِبريلُ فقال : يا رسولَ الله ! هذهِ خَديجةُ قد أَتَتْكَ معها إناءٌ فيهِ إدامٌ أو طعامٌ أو شَرابٌ ، فإذا هيَ قد أَتَتْكَ ، فاقرَأ علَيها السَّلامَ مِن ربِّها و مِنِّي ، و بشِّرْها ببَيتٍ في الجنَّةِ مِن قصَبٍ ، لا صَخبَ فيها و لا نَصبَ » (١)

ماذا فعلت هذه الزوجة العظيمة التي بذلت مالها وبذلت راحتها لنصرة دين الإسلام ولم تبخل بشيء -رضي الله عنها- فكان الجزاء بيت في الجنة مافيه صخب ولا نصب؛ لأنها نالت في الدنيا التعب، وكابدت وعاشت مع النبي ﷺ أيام المقاطعة عندما قاطعته قريش ومنعوا عنه البيع والشراء حتى أكل الرسول والصحابة أوراق الشجر وهي ناصرة له ومساندة للرسول ﷺ ـ وأوحي للرسول عليه الصلاة والسلام وهو بعمر أربعين سنة وهذا السن هو سن الرشد قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾(٢)

وهذا السن ليس سن عادى فينبغي للإنسان إذا وصل أربعين سنة أن يتغير لأنه سن اكتمال العقل وسن الرشد فهذا السن لا يليق بالإنسان أن يبقى سفيها لاعبا غافلاً .

فالله اختار للرسول هذا العمر عمر الرشد لكي يحمل الرسالة .

فحبب له الخلاء، ونزل عليه جبريل هذه الفترة ثلاث وعشرين سنة مكث منها ثلاثة عشر عاماً في مكة وعشرة أعوام في المدينة .

---

(١) الجامع الصحيح (٦٩) والبخاري (٣٨٠٢) ومسلم (٢٤٣٢)
(٢) [الاحقاف : ١٥]

المتن

قوله : **نُبِّئَ بـ(اقْرَأ)، وَأُرْسِلَ بـ (الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾**

الشرح

بدء الوحي :ـ

في حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ :مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ :فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ :مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ :مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ :﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهَا، فَقَالَ :زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ :لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهَّ مَا يُخْزِيكَ اللهُّ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ ... وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي

الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ» (١)

انظر لهذه المرأة الحكيمة كيف استدلت على صلاح زوجها واستقامته بإنه لا يمكن أن يكون كاذب فاستدلت بأفعال الخير التي كان يفعلها عليه الصلاة والسلام .

وهذا يدل على صدق النبوة ، كيف عرف ورقة بأنه النبي المنتظر وأنه سيعاد من قومه ؟

لأن الكتب السماوية كانت عنده وكان مطلع على الديانة التي جاء بها موسى وعسى عليهما السلام

فكانت هنا النبوة فأصبح نبي باقرأ .

قال ابن القيم رحمه الله :"أول ما أوحى إليه ربه: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق. وذلك أول نبوته ﷺ. فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره بالتبليغ .ثم أنزل الله عليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ فنبأه باقرأ، وأرسله بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ثم أمره: أن ينذر عشيرته الأقربين. ثم أنذر قومه. ثم أنذر من حولهم من العرب. ثم أنذر العرب قاطبة. ثم أنذر العالمين. فأقام بضع عشرة سنة ينذر

(١) رواه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠)

بالدعوة من غير قتال ولا جزية. ويأمره الله بالكف والصبر. ثم أذن له في الهجرة وأذن له في القتال. ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن لم يقاتله. ثم أمره بقتال المشركين، حتى يكون الدين كله لله [١]".

أول من آمن : ـ

لما دعا إلى الله استجاب له أفراد من كل قبيلة، فكان حائز السبق صديق الأمة أبا بكر رضي الله عنه، فوازره في دين الله. ودعا معه إلى الله.

فاستجاب لأبي بكر عثمان وطلحة وسعد رضي الله عنهم، وبادر إلى استجابته أيضًا صديقة النساء خديجة رضي الله عنها، وبادر إلى الإسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ابن ثمان سنين، وقيل أكثر، إذ كان في كفالة رسول الله ﷺ، أخذه من عمه. [٢]

" .....فهذه بداية الدعوة ولقى النبي ﷺ في مكة من العذاب ما لقى فكانوا يضعون على رأسه سلا الجذور فقد لقي النبي ﷺ سلسلة من العذاب من أهله وعمه وزوجة عمه مما لايقدر عليه إلا من كان عارف بربه فالله اصطفاه لهذه الرسالة .

(**وبلده مكة**) أشرف البقاع عند الله، بها ولد ونشأ ، إلا ما كان منه وهو مع مرضعته السعدية في البرية ، ثم رجع إليها في حضانة جده ، ثم عمه، وأوحي إليه بها، وبقي بها بعد أن أوحي إليه ثلاث عشرة سنة ، (**ثم هاجر إلى المدينة**) بعد أن همُّوا بقتله فتغيب في الغار، ثم سار هو وأبو بكر مهاجراً إلى المدينة ، وذلك بعد أن بايعه أهلها على النصرة والمؤازرة ، وأرّخت الأمة تاريخها من هجرته ﷺ [٣].

---

(١) مختصر سيرة الرسول ﷺ. للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص : ٧٥)
(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ. للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص : ٧٦)
(٣) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ١٦٩)

(بعثه الله بالنذارة من الشرك، وبالدعوة إلى التوحيد) فأول أمر أمره الله به هو التوحيد والتحذير من الشرك ، بل إن حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما يعبد من دون الله، وكان أحدهم يعبد ستة أصنام، ويعبد صنماً من العجوة، وإذا جاع أكله، فكانوا في غاية الضلال والتيهان والأسر للمخلوق ، وينفقون لها النذور ، فكانت حياة وثنية ، حياة شرك و ضياع ، كانت حياة مظلمة ، مجتمع في غاية الانحطاط فيه الظلم وأكل أموال الناس والقتل ووأد البنات ، وهذا يعطي أمل في نجاح الدعوة لله، فهذا رسول لم يكن له نصير وما أسلم معه إلا قلة، وهو عليه الصلاة والسلام يواجه هذا الضلال، ويواجه هذا الشرك، وأناس على الشرك وتشربت قلوبهم على الشرك ، يسجدون لهذه الاصنام ويقتل بعضهم بعضا ويتعاملون بالربا والسحر والكهانة ويأكلون الميتة ، ولكنه صبر عليه الصلاة والسلام ولم يمضي زمناً إلا دخل الناس في دين الله أفواجا وهو يدعوهم إلى التوحيد وينذرهم من الشرك بل لم يمضي زمناً إلا أخرج الله على يديه هذا الجيل الذي لم يرى التاريخ مثله وهو جيل الصحابة رضي الله عنهم .

ـ ويصور حال ذلك المجتمع حديث عياض بن حمار المجاشعي ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قال : « ألا إنَّ رَبِّي أمرني أنْ أُعَلِّمَكُمْ ما جَهِلْتُمْ، ممَّا علَّمَني يوْمِي هذَا، كُلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حلالٌ، وإنِّي خَلَقْتُ عبادي حُنَفاءَ كُلَّهم، وإنَّهُم أتتْهُمُ الشياطينُ فاجْتَالَتْهُمْ عن دينِهِمْ، وحَرَّمَتْ عليهم ما أحْلَلْتُ لهمْ، وأمرتهُمْ أنْ يُشْركُوا بِي ما لَمْ أُنزِلْ بهِ سُلْطَانًا، وإنَّ اللهَ نظر إلى أهْلِ الْأَرْضِ، فمقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وعَجَمَهُمْ، إلَّا بقَايَا من أهْلِ الْكِتَابِ، وقال: إنَّما بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وأَبْتَلِيَ بكَ، وأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لا يَغْسِلُهُ المَاءُ، تَقْرَؤُهُ نائِمًا ويَقْظَانَ، وإنَّ اللهَ أمرنِي أنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: ربِّ إذًا يَثْلَغُوا رأسِي فيدَعُوهُ خُبْزَةً،

قال: اسْتَخْرِجْهُمْ كما اسْتَخْرَجُوكَ، واغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وقَاتِلْ بِمَنْ أطاعكَ مَنْ عصَاكَ، قال : وأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قال : وأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لاَ زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لا يَبْتَغُونَ أَهْلًا ولَا مَالًا، والخائِنُ الذي لا يَخْفَى له طَمَعٌ، وإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، ورجُلٌ لا يُصبحُ ولا يُمْسِي إِلَّا وهو يُخَادِعُكَ عن أَهْلِكَ ومالِكَ وذَكَر الْبُخْلَ أو الكَذِبَ والشِّنْظِيرُ الفَحَّاشُ » (١).

والمقت شدة البغض، فلم يبقى في الأرض موحد إلا بقايا من أهل الكتاب عندهم النصرانية، وبقية المجتمع تموج في الشرك والعياذ بالله، فقام الرسول عليه الصلاة والسلام بهذه الرسالة التي تنوء بحملها الجبال وانزلت عليه سورة المدثر .

(والدليل) على أن الله بعث نبيه محمداً ﷺ لينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد

قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾ المزمل والمدثر بمعنى واحد، وأن الله أمر رسوله ﷺ، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه،

﴿**قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ وأمره هنا بإعلان الدعوة ، والصدع بالإنذار، فقال :﴿**قُمِ**﴾ أي: بجد ونشاط ﴿**فَأَنْذِرْ**﴾ الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه،﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه

(١) الجامع الصحيح (٢٦٣٧)

العباد ويقوموا بعبادته.﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، [ونفاق]، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته. ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة.

ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن [جميع] النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصا في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن .

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل. ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرا له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر بتلك المنة، وترى لك الفضل عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، وانس [عندهم] إحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعالى واجعل من أحسنت إليه وغيره على حد سواء.

وقد قيل: إن معنى هذا، لا تعط أحدا شيئا، وأنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه، فيكون هذا خاصا بالنبي ﷺ.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى، فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه، وبادر إليه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات

البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يبعد عن الله من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس -بعد منة الله- من غير أن يطلب منهم على ذلك جزاء ولا شكورا، وصبر لله أكمل صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصي الله، وعلى أقدار الله المؤلمة ، حتى فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين [1].

فهذه رسالة للنبي عليه الصلاة والسلام وكل من اتبع الرسول أن لا يستكثر ما بذل في الدعوة ؛ لأن بعض الناس يمن على الله انه يدعو ويبذل لدين الله ويرى أنه بذل الكثير من أجل الدعوة لله وهو لا يعلم انه لو يبقى عمره كله يدعو إلى الله في كل طرفة عين ما وفَّ حق الله ودين الله لحظة واحدة فدائماً العبد يكون منكسراً بين يدي الله أنه لم يقم بحق دين الله كما ينبغي . فاللهم ارحم ضعفنا .

ونعود إلى المسائل الأربع التي ذكرها المؤلف رحمه الله في بداية الكتاب

وهي: العلم ،العمل به، الدعوة إليه، الصبر على الأذى فيه .

فهذا هو منهج النبي ﷺ في الصبر على ما يؤذيه في طريق الدعوة وفي تبليغ دين الله وفي تصحيح العقيدة . لأن العقيدة هي الأصل فإذا صحح الأصل صحح ما بعده وإذا فسد الأصل فسد كل شيء لذلك جاءت أهمية التوحيد لأن الشريعة مبنية على التوحيد ، فلو كان الإنسان يصلي ويقوم وهو مشرك لا تقبل منه كالذي يصلى وهو على غير طهارة . فكذلك من لم يصحح عقيدته كما لو أنه يصلي بدون وضوء . فالتوحيد هو الأصل فإذا زال الأصل زال الفرع . فالرسول ﷺ استمر يدعو عشر سنوات في مكة ووجد من الأذى

(١) تفسير الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي (ص : ٩٠٦) الطبعة السابعة عام ١٤٣٠هـ

ومن المعاناة والاعتداء عليه بل اعتدوا عليه جسدياً ليس فقط ألفاظ بل أذى حسي رموه بالحجارة ووضعوا على رأسه سلى الجزور ونبذوه بأسوء الألقاب وقالوا ساحر وكاهن ومجنون وشاعر، وهو الذي كان الصادق الأمين . ولكن عندما جاء يدعوهم إلى التوحيد تغير كل شيء حتى من أقرب الناس له .

في هذه الفترة تعرض للحصار حوصر في شعب أبي طالب ثلاث سنين حتى أكلوا أوراق الشجر هو وأصحابه ، وفي هذه الفترة ابتلاه الله بقبض زوجته خديجة وعمه أبي طالب الذي كان نعم النصير له وابتلاه الله ببلاء عظيم وهو صابراً محتسباً عليه الصلاة والسلام سائراً في طريق الدعوة مبلغاً دين الله . وكانت التسلية له من الله أن عرج به إلى السماء السابعة .

(وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ)

وهذه قصة الاسراء والمعراج

حيث أسري برسول اللهَّ ﷺ إلى بيت القدس راكبا على البراق بصحبة جبريل عليه السلام.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :«لَيْلَةَ أُسْرِيَ برَسولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، أنَّه جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أنْ يُوحَى إلَيْهِ وهو نَائِمٌ في المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقالَ أوَّلُهُمْ: أيُّهُمْ هُوَ؟ فَقالَ أوْسَطُهُمْ: هو خَيْرُهُمْ، فَقالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حتَّى أتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى، فِيما يَرَى قَلْبُهُ، وتَنَامُ عَيْنُهُ ولَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وكَذلكَ الأنْبِيَاءُ تَنَامُ أعْيُنُهُمْ ولَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حتَّى احْتَمَلُوهُ، فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ منهمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ ما بيْنَ نَحْرِهِ إلى لَبَّتِهِ حتَّى فَرَغَ مِن صَدْرِهِ وجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِن مَاءِ

زَمْزَمَ بيَدِهِ، حتَّى أنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ فيه تَوْرٌ مِن ذَهَبٍ، مَحْشُوًّا إيمَانًا وحِكْمَةً، فَحَشَا به صَدْرَهُ ولَغَادِيدَهُ - يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ - ثُمَّ أطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ به إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ بَابًا مِن أبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أهْلُ السَّمَاءِ مَن هذا؟ فَقالَ جِبْرِيلُ: قالوا: ومَن معكَ؟ قالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ، قالَ: وقدْ بُعِثَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالوا: فَمَرْحَبًا به وأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ به أهْلُ السَّمَاءِ، لا يَعْلَمُ أهْلُ السَّمَاءِ بما يُرِيدُ اللهُ به في الأرْضِ حتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ في السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقالَ له جِبْرِيلُ: هذا أبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عليه، فَسَلَّمَ عليه ورَدَّ عليه آدَمُ، وقالَ: مَرْحَبًا وأَهْلًا بابْنِي، نِعْمَ الِابنُ أنْتَ، فَإِذَا هو في السَّمَاءِ الدُّنْيَا بنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقالَ: ما هذانِ النَّهَرَانِ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا النِّيلُ والفُرَاتُ عُنْصُرُهُمَا، ثُمَّ مَضَى به في السَّمَاءِ، فَإِذَا هو بنَهَرٍ آخَرَ عليه قَصْرٌ مِن لُؤْلُؤٍ وزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هو مِسْكٌ أذْفَرُ، قالَ: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا الكَوْثَرُ الذي خَبَأَ لكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ به إلى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقالتِ المَلَائِكَةُ له مِثْلَ ما قالَتْ له الأُولَى مَن هذا، قالَ جِبْرِيلُ: قالوا: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالوا: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالوا: مَرْحَبًا به وأَهْلًا، ثُمَّ عَرَجَ به إلى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وقالوا له مِثْلَ ما قالتِ الأُولَى والثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ به إلى الرَّابِعَةِ، فَقالوا له مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ عَرَجَ به إلى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ، فَقالوا مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ عَرَجَ به إلى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقالوا له مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ عَرَجَ به إلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقالوا له مِثْلَ ذلكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أنْبِيَاءُ قدْ سَمَّاهُمْ، فأوْعَيْتُ منهمْ إدْرِيسَ في الثَّانِيَةِ، وهَارُونَ في الرَّابِعَةِ، وآخَرَ في الخَامِسَةِ لَمْ أحْفَظِ اسْمَهُ، وإبْرَاهِيمَ في السَّادِسَةِ، ومُوسَى في السَّابِعَةِ بتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ، فَقالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أظُنَّ أنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أحَدٌ، ثُمَّ عَلَا به فَوْقَ ذلكَ بما لا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ، حتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المُنْتَهَى، ودَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ العِزَّةِ، فَتَدَلَّى حتَّى كانَ منه قَابَ قَوْسَيْنِ

أوْ أدْنَى، فأوْحَى اللهُ فِيما أوْحَى إلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلَاةً علَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، مَاذَا عَهِدَ إلَيْكَ رَبُّكَ؟ قالَ: عَهِدَ إلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَومٍ ولَيْلَةٍ، قالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ ذلكَ، فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وعنْهمْ، فَالْتَفَتَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ في ذلكَ، فأشَارَ إلَيْهِ جِبْرِيلُ: أنْ نَعَمْ إنْ شِئْتَ، فَعَلَا به إلى الجَبَّارِ، فَقالَ وهو مَكَانَهُ: يا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فإنَّ أُمَّتي لا تَسْتَطِيعُ هذا، فَوَضَعَ عنْه عَشْرَ صَلَوَاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إلى مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إلى رَبِّهِ حتَّى صَارَتْ إلى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الخَمْسِ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ واللهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ قَوْمِي علَى أدْنَى مِن هذا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أجْسَادًا وقُلُوبًا وأَبْدَانًا وأَبْصَارًا وأَسْمَاعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذلكَ يَلْتَفِتُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عليه، ولَا يَكْرَهُ ذلكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الخَامِسَةِ، فَقالَ: يا رَبِّ إنَّ أُمَّتي ضُعَفَاءُ أجْسَادُهُمْ وقُلُوبُهُمْ وأَسْمَاعُهُمْ وأَبْصَارُهُمْ وأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقالَ الجَبَّارُ: يا مُحَمَّدُ، قالَ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، قالَ: إنَّه لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، كما فَرَضْتُهُ عَلَيْكَ في أُمِّ الكِتَابِ، قالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بعَشْرِ أمْثَالِهَا، فَهي خَمْسُونَ في أُمِّ الكِتَابِ، وهي خَمْسٌ عَلَيْكَ، فَرَجَعَ إلى مُوسَى، فَقالَ: كيفَ فَعَلْتَ؟ فَقالَ: خَفَّفَ عَنَّا، أعْطَانَا بكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثَالِهَا، قالَ مُوسَى: قدْ واللهِ رَاوَدْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ علَى أدْنَى مِن ذلكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أيضًا، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يا مُوسَى، قدْ واللهِ اسْتَحْيَيْتُ مِن رَبِّي ممَّا اخْتَلَفْتُ إلَيْهِ، قالَ: فَاهْبِطْ باسْمِ اللهِ قالَ: واسْتَيْقَظَ وهو في مَسْجِدِ الحَرَامِ»[1].

(١) رواه البخاري(٧٥١٧)، ومسلم(١٦٢).

«فلمَّا أصبَح رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في قومِه أخبَرهم بما أراه اللهُ عزَّ وجلَّ مِن آياتِهِ الكبرىَ، فاشتَدَّ تكذيبُهم له، وأذاهم وضراوتُهم عليه، وسأَلوه أن يَصِفَ لهم بيتَ المقدِسِ، فجلَّاه اللهُ له حتى عايَنه، فطَفِق يُخبِرُهم عن آياتِه، ولا يستطيعون أن يرُدُّوا عليه شيئًا»[1].

وأخبرهم عن عيرهم التي رآها في مسراه ومرجعه وعن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها، فكان كما قال فلم يزدهم ذلك إلا ثبورا وأبى الظالمون إلا كفورا [2] .

فخرج عليه الصلاة والسلام من مكة وهي أحب البلاد له وكان يقول هي أحب البلاد لي ولكن أهلك أخرجوني، فخرج الرسول من مكة إلى المدينة وهذه هي الهجرة .

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ معرفة الأصل الثالث من الأصول الثلاثة .

ـ معرفة نبينا محمد ﷺ من حيث .

ـ نسبه .

ـ نشأته .

ـ حاله قبل الدعوة .

ـ بداية دعوته .

ـ موقف خديجة رضي الله عنها من الدعوة ونصرتها .

ـ بيان قصة الأسراء والمعراج .

ـ توضيح منهج النبي عليه الصلاة والسلام في الصبر على الأذى في سبيل الدعوة .

---

(١) زاد المعاد(٣/٣٥).

(٢) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص : ١٠٥ . ١٠٦)

المتن

وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلام.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلام، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّه أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّه عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[2]

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ : «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلام، مِثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلام، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلاَ حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

---

(١) [النساء: ٩٧-٩٩].

(٢) [العنكبوت: ٥٦].

الشرح

معنى الهجرة : ـ

مامعنى الهجرة التي أمر بها النبي ﷺ ؟

الهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام . وهي واجبة إلى أن تقوم الساعة

وتعريف (الهجرة) هي: (الانتقال) والتحول (من بلد الشرك إلى بلد الإسلام) وكل من فارق بلده فهو مهاجر، والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومقاطعته ومباعدته، وسمي المهاجرون مهاجرين؛ لأنهم هجروا ديارهم ومساكنهم التي نشئوا بها لله ولحقوا بدار ليس لهم فيها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة.

وشرعت الهجرة: حفظاً للدين من الزوال أو النقصان وفراراً به من الفتن، ولخشية عدم إظهار شعائر الإسلام قال شيخ الإسلام رحمه الله : " لا يسلم أحد من الشرك إلا بالمباينة لأهله "[1].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللُّه أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللُّه عَفُوًّا غَفُورًا﴾[2] إن الذين توفّاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، تقول لهم الملائكة حال قبض أرواحهم توبيخًا لهم: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ فيجيبون معتذرين: كنا ضعفاء لا حول لنا ولا قوة نرد بها عن

---

(١) الفتاوى١ / ٩٤ .

(٢) [النساء: ٩٧-٩٩].

أنفسنا، فتقول لهم الملائكة توبيخًا لهم: ألم تكن بلاد الله واسعة فتخرجوا إليها لتأمنوا على دينكم وأنفسكم من الإذلال والقهر؟! فأولئك الذين لم يهاجروا مثواهم الذي يستقرون فيه هو النار، وساءت مرجعًا ومآبًا لهم ، لأن عدم هجرة هؤلاء مع مقدرتهم تدل على عدم صدق إسلامهم " [١]

وقوله تعالى : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾

قال البغوي رحمه الله:" يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون (قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة، يقول : إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة ، إن أرضي – يعني المدينة – واسعة آمنة . قال مجاهد : إن أرضي المدينة واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها . وقال سعيد بن جبير : إذا عمل في أرض بالمعاصي فاخرجوا منها فإن أرضي واسعة . وقال عطاء : إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة . وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتهيأ له العبادة . وقيل : نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة ، وقالوا : نخشى ، إن هاجرنا ، من الجوع وضيق المعيشة ، فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج . وقال مطرف بن عبد الله :" أرضي واسعة " أي : رزقي لكم واسع فاخرجوا. " [٢]

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين)

---

(١) المختصر في التفسير لمركز تفسير الدراسات القرآنية (ص : ٩٤) الطبعة الثانية عام ١٤٣٦ هـ
(٢) تفسير البغوي (ص : ٩٩٩) الطبعة الثانية عام ١٤٣٥هـ

الحديث دل على أن التوبة لا تنقطع إلا إذا طلعت الشمس من مغربها وطلوع الشمس من مغربها هو المراد بقوله تعالى في آخر سورة الأنعام ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[1] قال المفسرون إن معنى ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ (أنه طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت) لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا (فلا تنفع التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها كما قال هنا ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها (فالهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، والتوبة لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها ، وذلك لأن تارك الهجرة حتى طلعت الشمس من مغربها قد ترك فرضا عليه ، إذا طلعت الشمس من مغربها ليس ثم عمل ينفع العبد قال ﴿ لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ والعمل بعض الإيمان."[2]

(١) [الأنعام:١٥٨]

(٢) شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح آل الشيخ (ص : ٢١٦) الطبعة الثانية دار الحجاز عام ١٤٣٥هـ

المتن

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلاَ حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

الشرح

ولما استقر النبي ﷺ في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام ، كالزكاة ، والحج، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والآذان ، والجهاد ، وغير ذلك من الشرائع الإسلام كلها جاءت بعد استقراره في المدينة عليه الصلاة والسلام، أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي عليه الصلاة والسلام فدعوته استمرت ثلاث وعشرين سنة أكمل الله به الدين وأتم النعمة قال تعالى : وقوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١)

واختار الله له الدين وهو الدين الباقي إلى قيام الساعة .

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ بيان معنى الهجرة .

ـ الدليل على الهجرة من القرآن والسنة .

---

(١) [المائدة:٣]

تفسير قولة تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللُّه أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللُّه عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

ـ تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ فَإِيَّاىَ فَاعْبُدُونِ ﴾

ـ بيان متى فرضت بقية الشرائع .

المتن

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(١)، ﴿وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾(٢)

الشرح

فالرسول ﷺ ما بقي أمر إلا ودل الأمة عليه، وأعظم أمر دل الأمة عليه هو التوحيد .

ودعوته عامة بعثة الله للناس كافة وهذا يدل على عموم بعثة النبي ﷺ .

فرسالته عامة لجميع الثقلين وليست خاصة بالعرب وإنما هي عامة للناس كافة عربهم وعجمهم وذكرهم وانثاهم حرهم وعبدهم وافترض على الناس طاعته إلى يوم القيامة قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

ورسالته شاملة للجن والأنس قال تعالى في شأن الجن عندما سمعوا : ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٥)

---

(١) [الأعراف: ١٥٨].
(٢) [المائدة: ٣].
(٣) [سبأ : ٢٨].
(٤) [الأحقاف : ٣١]
(٥) [الأعراف : ١٥٨]

فنادى باسم الناس يدخل فيهم العرب والعجم وأهل الكتاب وجميع الأمة كما جاء في الحديث : ـ

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : «أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً»(١)

وأكمل الله به الدين فكان ديناً كاملاً وأنزل الشرائع كاملة كما قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾(٢) .

(١) رواه البخاري : ٣٣٥
(٢) [المائدة: ٣].

المتن

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (١)

الشرح

ذكر الله تعالى الدليل على موته ليبين الله تعالى بإن النبي ﷺ بشر يعتري ما يعتري الناس من الموت والجوع والحزن والمرض ولكن الله فضله واختصه بالرسالة وهو يعيش حياة البشر

لذلك لما مات الصحابة قالوا أنه نبي لايمكن أن يموت حتى أنهم كادوا أن يقعوا بالفتنة حتى جاءهم أبو بكر وتلا عليهم هذه الآية : ـ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾، فقد مات وغسل وكفن صلي عليه ﷺ ودفن بالمدينة سنة ١١هـ ، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ أي: كلكم لا بد أن يموت ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ، فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل، ويجازي كُلًّا ما عمله " (٢)

(١) [الزمر: ٣٠، ٣١].

(٢) تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي (ص : ٧٣٢) الطبعة السابعة عام ١٤٣٠هـ

المتن

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(١). وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾(٢)

الشرح

وهذا دليل البعث وإثبات البعث ، لأن مسألة البعث م المسائل التي ينكرها أهل الجاهلية فالله عزوجل يثبت لهم البعث وأدلة البعث ما نراه أمام أعيننا وهو قوله :﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(٣)

" أَيْ: مِنَ الْأَرْضِ مَبْدَؤُكُمْ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ آدَمَ مَخْلُوقٌ مِنْ تُرَابٍ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أَيْ: وَإِلَيْهَا تَصِيرُونَ إِذَا مُتُّمْ وَبَلِيتُمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى .﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا﴾ (٤)

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾(٥)

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي السُّنَنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَضَرَ جِنَازَةً، فَلَمَّا دُفِنَ الْمَيِّتُ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ فَأَلْقَاهَا فِي الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ ثُمَّ [أَخَذَ] أُخْرَى وَقَالَ :﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ ثُمَّ أَخَذَ أُخْرَى وَقَالَ :﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(٦).

---

(١) [طه: ٥٥]

(٢) [نوح: ١٧، ١٨].

(٣) تيسير الوصول لشرح ثلاثة الأصول د . عبد المحسن القاسم (ص : ١٩٤ . ١٩٥)

(٤) [الْإِسْرَاءِ: ٥٢]

(٥) [الْأَعْرَافِ: ٢٥]

(٦) تفسير ابن كثير سورة طه (ج ٦ ص : ٤٨)

وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتا ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجًا ﴾

﴿﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ يقول: والله أنشأكم من تراب الأرض، فخلقكم منه إنشاء

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يقول: ثم يعيدكم في الأرض كما كنتم ترابا فيصيركم كما كنتم من قبل أن يخلقكم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يقول ويخرجكم منها إذا شاء أحياء كما كنتم بشرا من قبل أن يعيدكم فيها، فيصيركم ترابا إخراجا. (١)

وهذه أدلة عينية نراها في أعيننا ، كل يوم نرى أمثلة البعث ، نرى النبات يخرج من الأرض ونرى المولود يولد ، ونرى النار تخرج من الشجر اليابس كلها أمثله لقدرت الله عزوجل على احياء الميت وإعادته بعد الموت والذي ابتدأ قادر على الإعادة فمن ابتدأ من العدم قادر على إعادته سبحانه جل وعلا .

(١) تفسير ابن جرير الطبري سورة نوح (٥٧١)

المتن

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾(١)

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٢)

الشرح

ذكر بعد البعث الجزاء والحساب وهذا مصير كل مسلم فإذا كنت تقيم هذه الأصول الثلاثة فأنت تحاسب على إيمانك وتحاسب على عقيدتك . فهذه حقائق حيث نرى الناس يموتون ونراهم يدفنون في الأرض فما بعد ذلك ؟

بعده حساب وبعده جزاء : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ .

" يخبر تعالى أنه مالك الملك، المتفرد بملك الدنيا والآخرة، وأن جميع من في السماوات والأرض ملك لله، يتصرف فيهم تصرف الملك العظيم، في عبيده ومماليكه، ينفذ فيهم قدره، ويجري عليهم شرعه، ويأمرهم وينهاهم، ويجزيهم على ما أمرهم به ونهاهم عنه، فيثيب المطيع، ويعاقب العاصي، ليجزي الذين أساؤوا العمل السيئات من الكفر فما دونه بما عملوا من أعمال الشر بالعقوبة البليغة ، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ في عبادة الله تعالى، وأحسنوا

---

(١) [النجم: ٣١].
(٢) [التغابن: ٧].

إلى خلق الله، بأنواع المنافع ﴿بِالْحُسْنَى﴾ أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجله رضا ربهم، والفوز بنعيم الجنة "[١]

﴿بِالْحُسْنَى﴾ وهي: الجنة ، بل ولهم الزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم كما قال سبحانه : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وقد فسر النبي ﷺ تلك الزيادة " بالنظر إلى وجه الله الكريم "[٢] وهذا من حكمة الله العظيمة في بعث الناس ومحاسبتهم ، فلو لم يكن هناك جزاء ولا حساب لَظَلَم الناسُ بعضهم بعضاً ، وسَلَبَ بعضهم مال بعض ، وعمَّت الفوضى في الحياة ، والذي يحجز الناس عن البغي والمعاصي هو تذكر الحساب والعقاب ، ولما غفل الكفار عن الحساب تمادوا في الكفر والطغيان قال سبحانه : ومن كذب بالبعث كفر لتكذيبه لله ولرسوله واجماع المسلمين والدليل على كفر من أنكر البعث قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق،﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾فإنه وإن كان عسيرًا بل متعذرًا بالنسبة إلى الخلق، فإن قواهم كلهم، لو اجتمعت على إحياء ميت [واحد]، ما قدروا على ذلك وأما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، قال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [٣].

---

(١) تفسير السعدي سورة النجم (ص : ٨٣٣)
(٢) رواه مسلم (٢) .
(٣) تفسير ابن السعدي (ص: ٨٧٩)

وهذه مسألة مهمة بين المشركين والنبي ﷺ وكفار قريش الذين كانوا ينكرون البعث .

ولازال الملحدون إلى اليوم ينكرون البعث .

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ أن رسالة النبي ﷺ عامة لجميع الناس .

ـ بيان الدليل على أن الرسول ﷺ أرسل إلى الثقلين الجن والأنس .

ـ بيان أن الله أكمل بالرسول عليه الصلاة والسلام الدين .

ـ الرسول عليه الصلاة والسلام بشر ويعتريه ما يعتري البشر من مرض وموت ..

ـ الإيمان بالبعث .

ـ الدليل على البعث من الكتاب .

ـ الحكمة من البعث .

ـ حكم من أنكر البعث .

المتن

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١)

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ـ ﷺ ـ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نبي بعده والدليل قوله تعالى :﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٢)

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾(٣)

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللَّه وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٤) وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

الشرح

هذه مسائل تابعة لما قبل في بيان إرسال الرسل فالله عزوجل أرسل إلى جميع الأمم رسل مبشرين ومنذرين فما يوجد أمة إلا وأرسل الله لها نبي مبشر لمن يوحد وينذر من يشرك بالله تعالى .

رسول منذرين للعصاة وأهل الذنوب والشرك والله عزوجل أقام الحجة .

والدليل قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾

---

(١) [النساء: ١٦٥]. تفسير ابن السعدي (ص: ٨٧٩)
(٢) [الأحزاب: ٤٠]
(٣) [النساء: ١٦٥].
(٤) [النحل: ٣٦].

﴿رُسُلًا﴾ جمع رسول بمعنى المرسل، والظاهر أنها حال من قوله :﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ حال كونهم رسلًا مبشرين ومنذرين، وكانت حالًا لأنها بمعنى المشتق؛ إذ إن ﴿رُسُلًا﴾ بمعنى مرسلين، ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ البشارة: الإخبار بما يَسُرُّ، والإنذار: التخويف بما يُخاف منه؛ وذلك أن الشرائع التي جاءت بها الرسل أوامر ونواهٍ، فما الذي يناسب الأوامر؟ البشارة، يبشر العامل لهذا العمل بالثواب، والذي يناسب الإنذار هو النواهي، فينذر الإنسان من الوقوع فيها، ولهذا كانت أنواع التكليف اثنين: أمر، والثاني: نهي، فالذي يليق بالأمر البشارة، والذي يليق بالنهي الإنذار، هذا هو ما جاءت به الرسل: البشارة والإنذار، حتى محمد عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1]

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ اللام هنا في قوله: ﴿لِئَلَّا﴾اللام للتعليل، أي لأجل ألا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، الحجة ما يحتج به الغير على آخر لدفع الملامة عنه ورفع العقوبة عنه، هذه هي الحجة، يعني الدليل أو البينة أو ما أشبه ذلك.[2]

(وأولهم) أي : أول الرسل .

قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ﴾ هَذَا متصل بقوله: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ﴾[3] فَأَعْلَمَ تَعَالَى أَنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَأَمْرِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ:" نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ- مِنْهُمْ سُكَيْنٌ وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ- قَالُوا لِلنَّبِيِّ

(١) [الأحزاب ٤٥]
(٢) تفسير ابن عثيمين (ج / ٢ ص : ٤٨٤)
(٣) [النساء: ١٥٣]

ﷺ: مَا أَوْحَى اللهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَعْدِ مُوسَى فَكَذَّبَهُمُ اللهُ. وَالْوَحْيُ إِعْلَامٌ فِي خَفَاءٍ، يُقَالُ: وَحَى إِلَيْهِ بِالْكَلَامِ يَحِي وَحْيًا، وَأَوْحَى يُوحِي إِيحَاءً. "إِلى نُوحٍ" قَدَّمَهُ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَبِيٍّ شُرِعَتْ عَلَى لِسَانِهِ الشَّرَائِعُ. وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا، ذَكَرَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَوَّلُ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " (١)

والدليل من السنة على أن أولهم نوح ، ما ورد في حديث الشفاعة ، «أن الناس يأتون إلى آدم فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولـون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض »متفق عليه (٢).

وكان بين نوح وبين آدم عشرة قرون ، كلهم على الإسلام، فلما حدث الشرك بسبب الغلو في الصالحين أرسل الله إليهم نوحاً ، وهو أول رسول إلى أهل الأرض .

وأول من يطلب منه الشفاعة يوم القيامة فقد دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، بل أنه لم يترك وسيلة من وسائل الدعوة إلا قام بها قام بالدعوة سراً وجهاراَ وليلاً وتهاراً وكلما دعاهم وضعوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً قال تعالى :

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾(٣)حتى أغرقهم الله إلا الفئة القليلة التي نجاها الله معه في السفينة .

---

(١) تفسير القرطبي (ص : ١٠٤)
(٢) صحيح البخاري رقم (٣١٦٢) ٣ / ١٢١٥، وصحيح مسلم رقم (١٩٤) ٤ / ١٨٤ – ١٨٥.
(٣) [نوح: ٧]

ـ عدد الأنبياء كثير وجاء في الأحاديث أن عددهم مائة الف وأربع وعشرون ألفاً ففي الحديث

قال أبو ذر ﷺ« قلت : يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : " مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً" قلت : كم الرسل منهم؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر،جـم غفير »رواه ابن حبان [١]

(**وآخرهم محمد ﷺ**) بالكتاب والسنة والإجماع، والدليل على أن آخرهم محمد ﷺ قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [٢] .

وقوله ﷺ : « وإنه لا نبي بعدي » متفق عليه [٣].

أي: لم يكن الرسول ﴿مُحَمَّدٌ﴾ ﷺ ﴿أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أيها الأمة، فقطع انتساب زيد بن حارثة منه من هذا الباب.

ولما كان هذا النفي عامًّا في جميع الأحوال، إن حمل ظاهر اللفظ على ظاهره، أي: لا أبوة نسب، ولا أبوة ادعاء، وقد كان تقرر فيما تقدم أن الرسول ﷺ، أب للمؤمنين كلهم، وأزواجه أمهاتهم، فاحترز أن يدخل في هذا النوع، بعموم النهي المذكور، فقال:﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ أي: هذه مرتبته مرتبة المطاع المتبوع، المهتدى به، المؤمن له الذي يجب تقديم محبته، على محبة كل أحد، الناصح الذي لهم، أي: للمؤمنين، من بره ونصحه كأنه أب لهم.

---

(١) صحيح ابن حبان رقم (٣٦١) ٢ / ٧٦ – ٧٩ من حديث أبي ذر ﷺ.

(٢) [الاحزاب: ٤٥]

(٣) صحيح البخاري رقم (٣٢٦٨) ٣ / ١٢٧٣، وصحيح مسلم رقم (١٨٤٢) ٣ / ١٤٧١ من حيث أبي هريرة ﷺ .

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾أي: قد أحاط علمه بجميع الأشياء، ويعلم حيث يجعل رسالاته، ومن يصلح لفضله، ومن لا يصلح. (١)

وهناك رسل قصصهم الله ورسلاً لم يقصصهم الله قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٢)

فقام الله الحجة وقطع المعاذير بانزال الكتب وأرسال الرسل .

فالله بعث رسلاً من نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام يأمرونهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت . وهذه هي الرسالة التي بعث بها جميع الأنبياء وكلهم جاءوا بالدعوة بالتوحيد والنذارة من الشرك ،

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾

" يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ﴿أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٣)

فكل أمة أرسل الله لها رسول يأمرهم بعبادة الله وحده وأخلصوا له بالعبادة واجتبوا الطاغوت . فهذه رسالة الأنبياء من أولهم إلى أخرهم نوح ، عاد ، صالح ، لوط ، إبراهيم ، شعيب ، موسى ، عيسى ،

فهذه رسالتهم إلى أقوامهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾(٤)

---

(١) تفسير السعدي لسورة الأحزاب (ص : ٦٧٣)
(٢) [النساء:١٦٤]
(٣) تفسير السعدي (ص : ٤٤٠)
(٤) [هود : ٨٤]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1]

وهذا يبين عظمة التوحيد وأن الأنبياء رسول حق فلو لم يكن المصدر واحداً لكان كل نبي يأتي بقصة جديدة ودعوة جديدة .. فدعوة الأنبياء حق ، والله حق ، ودينه حق ، والجنة حق ، والنار حق.

(١) الأنبياء (٢٥)

المتن

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِالله "

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إِلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله).

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الشرح

ختم المؤلف رحمه الله بذكر تعريف الطاغوت وأنواع الطواغيت ، لعطيك فائدة وهي الحذر من الطواغيت والحذر من الانحراف عن التوحيد .

" فالطاغوت هو (**ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع**) .

أراد شيخ الإسلام رحمه الله بهذا أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت.

وقد فرض الله ذلك على عبادة **والطاغوت**: مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد .

---

(١) [البقرة: ٢٥٦].

تعريف الكفر بالطاغوت : ـ

معنى الكفر بالطاغوت :"أن تَبْرَأَ من كل ما يعتقد فيه غير الله من جني أو إنسي، أو شجر أو حجر، أو غير ذلك، وتشهد عليه بالكفر والضلال وتبغضه، ولو كان أباك وأخاك " (١)

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾، وهي أنه لا يتم الإخلاص لله إلا بنفي جميع الشرك؛ لقوله تعالى :﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾؛ فمن آمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت فليس بمؤمن " (٢)

الطواغيت خمسة : ـ

ـ أولهم : (**إبليس**) الشيطان الرجيم، وهو رأسهم الأكبر، فهو أول الطواغيت، وقد لعنه الله فهو مطرود مبعد عن رحمة الله .

ـ و الثاني : (**من عُبِد وهو راض**) بأي نوع من أنواع تلك العبادة، سواء عبد في حياته، أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

ـ و الثالث من الطواغيت:(**من دعا الناس إلى عبادة نفسه**) فمن دعا الناس إلى عبادة نفسه، وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت.

ـ و الرابع من الطواغيت : (**من ادعى شيئًا من علم الغيب**) كما يزعمه الكهان ونحوهم.

ـ و الخامس من الطواغيت: (**من حكم بغير ما أنزل الله**) (٣).

---

(١) الجواهر المضيئة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص : ٣٣)

(٢) تفسير الشيخ ابن عثيمين لسورة البقرة (ج / ٣ . ٢٦٨)

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٠٤)

وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٥١)

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى :﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ أي : لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا .

وقوله :﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي : من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ أي : فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم.

وقوله ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ أي : فقد استمسك من الدين بأقوى سبب ، وشبه ذلك بالعروة الوثقى التي لا تنفصم فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد ولهذا **قال"** ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾. (١)

ـ قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله: " قد ذكر أهل العلم رحمهم الله في تفسير هذه الآية ما معناه: أن هذه الآية خبر معناه: النهي، أي: لا تكرهوا على الدين الإسلامي من لم يرد الدخول فيه، فإنه قد تبين الرشد، وهو دين محمد ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان، وهو توحيد الله بعبادته

(١) تهذيب تفسير ابن كثير . صفي الرحمن المباركفوري (ص : ١٨٥) الطبعة الثانية لعام ١٤٢٠هـ

وطاعة أوامره وترك نواهيه مِنَ الْغَيِّ وهو: دين أبي جهل وأشباهه من المشركين الذين يعبدون غير الله من الأصنام والأولياء والملائكة والأنبياء وغيرهم، وكان هذا قبل أن يشرع الله سبحانه الجهاد بالسيف لجميع المشركين إلا من بذل الجزية من أهل الكتاب والمجوس، وعلى هذا تكون هذه الآية خاصة لأهل الكتاب والمجوس إذا بذلوا الجزية والتزموا الصغار فإنهم لا يكرهون على الإسلام لهذه الآية الكريمة ولقوله سبحانه في سورة التوبة : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[1] فرفع سبحانه عن أهل الكتاب القتال إذا أعطوا الجزية والتزموا الصغار.

وثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر، أما من سوى أهل الكتاب والمجوس من الكفرة والمشركين والملاحدة فإن الواجب مع القدرة دعوتهم إلى الإسلام فإن أجابوا فالحمد لله، وإن لم يجيبوا وجب جهادهم حتى يدخلوا في الإسلام، ولا تقبل منهم الجزية؛ لأن الرسول ﷺ لم يطلبها من كفار العرب، ولم يقبلها منهم، ولأن أصحابه لما جاهدوا الكفار بعد وفاته ﷺ لم يقبلوا الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس، ومن الأدلة على ذلك قوله سبحانه:﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [2].

(١) [التوبة: ٢٩]
(٢) [التوبة: ٥]

فلم يخيرهم سبحانه بين الإسلام وبين البقاء على دينهم، ولم يطالبهم بجزية، بل أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فدل ذلك على أنه لا يقبل من جميع المشركين ما عدا أهل الكتاب والمجوس إلا الإسلام، وهذا مع القدرة. والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى منها: قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل» متفق على صحته، فلم يخيرهم النبي ﷺ بين الإسلام وبين البقاء على دينهم الباطل، ولم يطلب منهم الجزية، فدل ذلك: أن الواجب إكراه الكفار على الإسلام حتى يدخلوا فيه ما عدا أهل الكتاب والمجوس لما في ذلك من سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وهذا من محاسن الإسلام، فإنه جاء بإنقاذ الكفرة من أسباب هلاكهم وذلهم وهوانهم وعذابهم في الدنيا والآخرة إلى أسباب النجاة، والعزة والكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة، وهذا قول أكثر أهل العلم في تفسير الآية المسئول عنها.

أما أهل الكتاب والمجوس فخصوا بقبول الجزية والكف عن قتالهم إذا بذلوها لأسباب اقتضت ذلك، وفي إلزامهم بالجزية إذلال وصغار لهم، وإعانة للمسلمين على جهادهم وغيرهم، وعلى تنفيذ أمور الشريعة ونشر الدعوة الإسلامية في سائر المعمورة، كما أن في إلزام أهل الكتاب والمجوس بالجزية حملا لهم على الدخول في الإسلام، وترك ما هم عليه من الباطل والذل والصغار؛ ليفوزوا بالسعادة والنجاة والعزة في الدنيا والآخرة[1] ".

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٨/ ٢٨٧) .

ثم ذكر جزء من الحديث الطويل الذي رواه الترمذي [١]

وَفِي الْحَدِيثِ: « رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله».

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال :« قلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال : لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا؟ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ، ثم قال : " ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة، والصدقة تطفي الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم قال : " ألا أخبرك برأس الأمر كله ، وعموده ، وذروة سنامه؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال: رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ " قلت : بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه ، قال : كف عليك هذا ، فقلت يا نبي الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟! ".

(رأس الأمر الإسلام)

أراد المؤلف رحمه الله تعالى الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأساً فرأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ الإسلام.

(وعموده الصلاة)

لأنه لا يقوم إلا بها ولهذا كان الراجح كفر تارك الصلاة .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦١٦) ٥ / ١١ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(وذروة سنامه الجهاد)

أي أعلاه وأكمله الجهاد في سبيل الله، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غيره "

(والله أعلم)

ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسالته هذه برد العلم إلى الله عز وجل والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ(١).

مسائل مستفادة من الدرس : ـ

ـ ارسال الله تعالى الرسل للأمم السابقة .

ـ أول الرسل نوح عليه السلام وأخرهم محمد ﷺ.

ـ أدلة على أول الرسل وأخرهم .

ـ الحكمة من ارسال الرسل .

ـ معاناة الرسل في سبيل الدعوة .

ـ دعوة الأنبياء واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله عزوجل .

ـ افتراض الله على الناس الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .

ـ معنى الطاغوت .

ـ أنواع الطواغيت .

ـ توضيح معنى رأس الأمر وذروة سنامه وعموده .

ـ ختم الشيخ الأصول برد العلم لله تعالى .

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص: ١٦٠)

الخاتمة

تم شرح هذه الأصول العظيمة، وأسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته أن يتقبله ويجعله خالصاً صواباً، وينفع به من كتبه وجمعه وقرأه والمسلمين أجمعين إلى قيام الساعة، و أن يثقل به موازيننا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا ويثبتنا على التوحيد الخالص حتى نلقاه إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

١- الإبانة عن أصول الديانة، للشيخ أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري، ط مطابع الجامعة الإسلامية، تقديم: حماد الأنصاري، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٢- الأحاديث المختارة للمقدسي، ط. الأولى ١٤١٠هـ، نشر مكتبة النهضة، مكة المكرمة، تحقيق: عبدالملك بن دهيش.

٣- الأدب المفرد، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط. الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار البشائر الإسلامية، تخريج محمد فؤاد عبدالباقي.

٤- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٥- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق: أسعد تميم، ط١ مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٥هـ.

٦- اسم الله الأعظم د عبد الله بن عمر الدميجي ، الناشر : دار الوطن للنشر والتوزيع ، تاريخ النشر : ١٩٩٨م.

٧- أسماء الله الحسنى الهادية إلى الله والمعرفة به د عمر سليمان الأشقر ، الناشر : دار النفائس للنشر والتوزيع تاريخ النشر : ٢٠٠٤

٨- الأسماء والصفات، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق وتعليق: عماد الدين أحمد حيدر، طبع ونشر: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٩- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي عبد الله القرطبي ، دار الصحابة للتراث بطنطا.

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، ط دار الكتب العلمية.

١١- أصول الاعتقاد في سورة يونس د قذلة محمد القحطاني الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ..

١٢- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة المؤلف: نخبة من العلماء الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ -مقدمة الكتاب لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

١٣- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

١٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نشر مكتبة ابن تيمية، ط. ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٥- أعلام السنة المنشورة لإعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ أحمد الحكمي ، تحقيق: حازم القاضي الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.

١٦- الأعلام تأليف خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين، ط٩، ١٩٩٠م.

١٧- إغاثة اللهفان، للإمام محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، ط المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٨- اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية / ، تحقيق محمد حامد فقي، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٩- اقتضاء العلم العمل المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧

٢٠- الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته وآثار دعوته أ. طرفة عبد العزيز إبراهيم آل الشيخ.

٢١- الإنصاف، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق عماد الدين أحمد، ط عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢- الإيمان بالملائكة -عليهم الصلاة والسلام- أحمد عزالدين البيانوني

دار السلام ١٤٠٥- ١٩٨٥م.
٢٣- الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة، للشيخ صالح الفوزان، الناشر الميراث النبوي للنشر والتوزيع.
٢٤- الإيمان بالملائكة، للشيخ محمد بن سليمان الدريوش، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٢هـ-١٤٠٣هـ، مكتوبة على الآلة الكاتبة.
٢٥- الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح ، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٢٦- الإيمان لابن تيمية، طبعة عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي، بيروت، تخريج العلامة ناصر الدين الألباني.
٢٧- الإيمان لابن منده أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦
٢٨- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٢٩- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر دار الريان للتراث، القاهرة.
٣٠- بدائع الفوائد، للعلامة أبي بكر محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن القيم الجوزية، نشر دار الكتاب العربي، توزيع دار النفائس.

٣١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق محمد علي النجار، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٣٢- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير ، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي الناشر: دار المعارف

٣٣- التبيان في أقسام القرآن، للعلامة، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، طبعة دار الطباعة المحمدي بالأزهر، نشر مكتبة الرياض الحديثة، سنة ١٣٨٨هـ.

٣٤- التحرير والتنوير، تأليف محمد بن الطاهر بن عاشور، الدار التونسية ١٩٨٤م.

٣٥- تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي العلي محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، نشر المكتبة السلفية، تصحيح: عبدالوهاب عبداللطيف.

٣٦- التحفة العراقية، لابن تيمية، مطبوع ضمن الرسائل المنيرية.

٣٧- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم بن محمد البيجوري دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٨- التدمرية في تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، طبعة شركة العبيكان، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد عبد الحليم عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عودة السعوي، طبعة شركة العبيكان، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٩- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط دار الفكر.

٤٠- الترغيب والترهيب، للمنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

٤١- تصحيح الدعاء، بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار العاصمة سنة النشر: ١٤١٩ -١٩٩٩

٤٢- التعريفات، تأليف: علي بن محمد الشريف الجرجاني، ط. عام ١٩٨٥م، مكتبة لبنان، بيروت.

٤٣- تغليق التعليق على صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي الناشر: المكتب الإسلامي أ دار عمار - بيروت أ عمان - الأردن الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٤٤- تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، المحقق: عبيد بن علي العبيد ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ - السنة ٣٣ -١٤٢١هـ.

٤٥- تفسير الإمام البغوي الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ طباعة دار ابن حزم

٤٦- تفسير الإمام الشافعي ، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م

٤٧- تفسير الآيات الكونية، د. عبد الله شحاتة، طبعة دار الاعتصام، ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤٨- تفسير الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

٤٩- تفسير الفاتحة والبقرة ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

٥٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، د. دار الفكر، بيروت.

٥١- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب ، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة التفسير القيم لابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان ، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ

٥٢- تفسير المعوذتين، لابن القيم الجوزية، تحقيق مصطفى بن العدوي، نشر مكتبة الصديق، ط. الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٣- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين لأبي الحسين القاسم بن محمد الراغب الأصفهاني، تقديم وتحقيق، د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٤- تقريب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر دراسة محمد عوامة، طبعة دار القلم، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩١م.

٥٥- تلبيس إبليس ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان ، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٥٦- تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيميَّة

٥٧- التمهيد، لابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد البكري.

٥٨- التَّنبيهات اللَّطيفة على العقيدة الواسطيَّة تأليف: الإمام عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ رحمه الله علَّق عليها: الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رَحِمَهُمَا اللهُ تعالى ـ.

٥٩- تهذيب التهذيب للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٠- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،

الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م تهذيب تفسير ابن كثير صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الثانية لعام ١٤٢٠هـ.

٦١- تيسر الأصول بشرح ثلاثة الأصول د عبد المحسن القاسم

٦٢- تيسر الكريم المنان في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن ابن سعدي / .الطبعة السابعة.

٦٣- تيسير لمعة الاعتقاد د عبد الرحمن المحمود، الناشر: أضواء السلف

٦٤- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م تيسر الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان للإمام عبد الرحمن السعدي الطبعة ١٤٢٤هـ.

٦٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

٦٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، ط، عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي طباعة عام ١٤٢٤هـ.

٦٨- تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول د عبد المحسن القاسم

٦٩- تيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول د . عبد الله الفريح .

٧٠- تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول د عبد المحسن القاسم.

٧١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة دار الفكر، ط عام ١٤٠٥هـ.

جامع الرسائل، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، المحقق : د. محمد رشاد سالم، الناشر : دار العطاء – الرياض ، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الشهير بابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩١م.

٧٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تصحيح أحمد البردوني، ط، الهيئة المصرية العامة.

٧٤- الجزء الأول من سلسلة مكايد الشيطان في مسائل الاعتقاد، د. قذلة بنت محمد القحطاني.

٧٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم وإشراف علي السيد المدني، مطبعة المدني.
٧٦- الجواب الكافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة – المغرب ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٧٧- الجواهر المضية (ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ، الناشر: مطبعة المنار بمصر ١٣٤٩ هـ الطبعة الأولى الطبعة الأولى، النشرة: الثالثة لدار العاصمة ١٤١٢ هـ.
٧٨- حاشية (الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب) ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي ، الناشر: دار الزاحم ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م
٧٩- الحبائك في أخبار الملائك للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق مصطفى عاشور، طبعة مكتبة القرآن.
٨٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع المدخلي، نشر دار الراية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٨١- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مكتبة المعارف، الرياض.
٨٢- حلية الأولياء، لأبي نعيم، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي،

بيروت.
٨٣- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، الطبعة: الأولى، ١٤١٩/ ١٩٩٩م
٨٤- خلق أفعال العباد، للبخاري، تحقيق: د عميرة، دار المعارف، الرياض
٨٥- دائرة معارف القرن العشرين، تأليف محمد فريد وجدي، طبع ونشر دار المعرفة، بيروت، ط، الثالثة.
٨٦- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الفكر.
٨٧- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم توزيع مكتبة ابن تيمية.
٨٨- دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق محمد رواس قلعة وعبد البر عباس، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار النفائس، بيروت.
٨٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد الحسين البيهقي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية، دار البيان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٩٠- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تعليق وتصحيح محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٣٥٨هـ.
٩١- الرد على الجهمية ، أبي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بن سعِيدٍ الدَّارِمِيِّ ، المحقق: أَبُو عَاصِم الشَّوَامِيّ الأَثَرِي، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٩٢- رسالة العبودية، لابن تيمية ، المحقق: محمد زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩٣- رسائل في العقيدة ، للشيخ محمد إبراهيم الحمد .

٩٤- الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مكتبة الفلاح، الكويت.

٩٥- الروح لابن القيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

٩٦- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن علي محمد الجوزي، طبعة المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٩٧- زاد المعاد، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م

٩٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٩٩- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال دراسة وتحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٠٠- السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠١- سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط، المكتبة العلمية، بيروت.

١٠٢- سنن أبي داود ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

١٠٣- سنن الترمذي ، دار الغرب الإسلامي - بيروت
١٠٤-سنن الدارمي للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فؤاد زمرلي وخالد السبع العلمي، ط١٤٠٧،١هـ/ ١٩٨٧م، ط، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠٥- السنن الكبرى، البيهقي، نشر مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا.
١٠٦- سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
١٠٧- شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، الناشر: دار الثقافة العربية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
١٠٨- شرح ثلاثة الأصول اللشيخ ابن عثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع.
١٠٩-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض.
١١٠- شرح أصول الايمان، الطبعة الثانية د قذلة القحطاني

١١١-شرح أصول الإيمان، محمد بن صالح بن عثيمين، إصدار دار الوطن، توزيع مؤسسة الجريسي.

١١٢- شرح الأصول الثلاثة للإمام محمد بن عبد الوهاب شرح لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م

١١٣- شرح الأصول الثلاثة للشيخ صالح آل الشيخ، تحقيق وعناية عادل بن محمد مرسي رفاعي ، مكتبة دار الحجاز ، القاهرة.

١١٤-شرح العقيدة الأصفهانية، تأليف أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تقديم حسين محمد مخلوف، نشر دار الكتب الإسلامية، طبع مطبعة الاعتصام، القاهرة، عام ١٣٥٨هـ..

١١٥- شرح العقيدة السفارينية لمحمد بن صالح بن عثيمين، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض.

١١٦- شرح العقيدة الطحاوية لمحمد علاء الدين بن أبي العز الطبعة لعام ١٤١٨هـ.

١١٧- شرح العقيدة الطحاوية للإمام علي بن علي بن أبي العز من تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي و شعيب الأرنوؤط الطبعة ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢م.

١١٨- شرح العقيدة الطحاوية للشيخ عبد الرحمن البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس الناشر: دار التدمرية

١١٩- شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن عثيمين الطبعة الخامسة ١٤٣٣هـ دار ابن جوزي.

١٢٠- شرح الفقه الأكبر بشرح ملا على القاري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

١٢١- شرح القواعد الأربعة د قذلة محمد القحطاني

١٢٢- شرح ثلاثة الأصول . د . صالح الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

١٢٣- شرح ثلاثة الأصول للشيخ صالح آل الشيخ الطبعة الثانية دار الحجاز عام ١٤٣٥هـ.

١٢٤- شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد ابن عثيمين الطبعة الثانية لعام ١٤٢٦هـ.

١٢٥- شرح قصيدة ابن القيم للشيخ أحمد بن عيسى، اعتنى به وخرجه : طارق بن عوض الله محمد الطبعة : الأولى ، ١٤٣٩ هـ الناشر : المكتب الإسلامي.

١٢٦-الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق محمد حامد فقي، طبعة الكتب العلمية.
١٢٧-الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي.
١٢٨-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٢٩- الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وآثار دعوته أ . طرف آل الشيخ
١٣٠-الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٣١- صحيح ابن حبان، ط. الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، بيروت، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
١٣٢- صحيح البخاري، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
١٣٣- صحيح الترغيب والترهيب، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
١٣٤-صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ط، المكتب الإسلامي.
١٣٥- صحيح الكلم الطيب، محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف • سنة النشر: ١٤٠٧ - ١٩٨٧ • رقم الطبعة: ٨.

١٣٦- الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي، ط. عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، مكتبة المعارف، الرياض.
١٣٧- صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط. الثالثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، نشر مكتب التربية.
١٣٨- صحيح سنن أبي داود، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مكتب التربية العربي، نشر المكتب الإسلامي.
١٣٩-صحيح سنن النسائي للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ط١، عام ١٤٠٩هـ.
١٤٠- صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
١٤١-صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤٢- الصلاة لابن القيم رحمه الله تعالى، الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.
١٤٣- الصمت، تحقيق: أبو إسحاق الأثري، ط الثانية١٤١٧هـ/ ١٩٩٧، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤٤-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، تحقيق وتخريج وتعليق د. محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤٥- ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٤٦- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، وقف على طبعه وصححه: محمد حامد الفقي الناشر: مطبعة السنة المحمدية - القاهرة

١٤٧- طريق الإيمان لسميح عاطف، الناشر: الشركة العالمية للكتاب الطبعة: العاشرة.

١٤٨- طريق الهجرتين ، ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٤٩-عالم الملائكة الأبرار، د. عمر سليمان الأشقر، ط٦، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، طبع ونشر مكتبة الفلاح، بيروت، دار النفائس، الكويت.

١٥٠- العبودية للإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٥١- عدة الصابرين ، ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م

١٥٢- العقيدة الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ط٥، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار القلم، دمشق.
١٥٣- عقيدة التوحيد في القرآن لمحمد ملكاوي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، نشر دار ابن تيمية، الرياض.
١٥٤- عقيدة التوحيد، د صالح الفوزان
١٥٥- عقيدة المؤمن، تأليف أبي بكر الجزائري، طبعة دار الشروق، جدة، ط٥، ١٤٠٧هـ.
١٥٦- العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، نشر مكتبة الفلاح ودار النفائس، ط٧، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٥٧- العلم يدعو إلى الإيمان كريس موريسون، ترجمة محمود، صالح الفلكي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
١٥٨- علماء نجد للشيخ عبد الله البسام .
١٥٩- عمدة التفسير، أحمد شاكر ، دار النشر : دار ابن حزم
١٦٠- غاية المرام، محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٥.
١٦١- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
١٦٢- فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى للشيخ عبد الله ابن جبرين

١٦٣- فتح الباري لابن رجب، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

١٦٤- فتح الباري، لابن حجر، ط دار المعرفة، بيروت

١٦٥- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد علي الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.

١٦٦- فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد . للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ .

١٦٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل.

١٦٨- فقه الأسماء الحسنى د عبد الرزاق البدر، الناشر: دار التوحيد للنشر.

١٦٩- الفوائد لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق.

١٧٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للشيخ عبدالرؤوف المناوي، دار الحديث، القاهرة.

١٧١- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتبة تحقيق التراث ومؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٧٢- القاموس المحيط لمجد الدين محمد يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة

الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٧٣- القصاص والمذكرين لابن الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.

١٧٤- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ عبد الرحمن المحمود رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٧٥- قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني، تحقيق وتقديم د. إبراهيم إبراهيم هلال، مطبعة حسان، نشر دار الكتب.

١٧٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، ط٣، ١٤٠٨هـ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض.

١٧٧- القول السديد في مقاصد التوحيد مجموعة ابن سعدي، الناشر :مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع.

١٧٨- القول المفيد على كتاب التوحيد . للشيخ محمد بن عثيمين. الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية

١٧٩- القيامة الصغرى د عمر الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح - دار النفائس.

١٨٠- القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة الفلاح، الكويت.

١٨١- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، الناشر: دار عطاءات العلم للنشر.

١٨٢- كتاب الإيمان ، عبد الله الأثري ، مراجعة د. عبد الرحمن المحمود.

١٨٣- كتاب العلم للشيخ محمد بن عثيمين، المحقق: صلاح الدين محمود الناشر: مكتبة نور الهدى.

١٨٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث، للمفسر الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني، ط. الخامسة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت، تصحيح: أحمد القلاش.

١٨٥- الكواشف الجلية من معاني الواسطية، للشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان، ط١٧، ١٤١٠هـ.

١٨٦- الكواشف الجليلة للشيخ عبد العزيز السلمان .

١٨٧- الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، تأليف محمد بن عبد العزيز بن مانع، مطبعة المدني، نشر المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة.

١٨٨- لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، نشر مؤسسة صادر، بيروت.

١٨٩- لسان الميزان للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، ط١، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٩٠- لطائف المعارف ، ابن رجب ، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر

١٩١- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مع شرحه لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، مكتبة البخاري، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٩٢- الله جل جلاله، لسعيد حوى، دار القلم، ط٣، ١٤٠١هـ.

١٩٣- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية، تأليف العالم الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، منشورات مؤسسة الخافقين، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دمشق.

١٩٤- مباحث في العقيدة للدكتور الطيار، الناشر مكتبة الرشد الطبعة الثانية.

١٩٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير العراقي وابن حجر نشر دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٩٦- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، طبع ونشر مكتبة ابن تيمية.

١٩٧- المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي. تحقيق: محمد نجيب المطيعي. ط. عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٩٨- مجموع فتاوى ورسائل للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله.

١٩٩- مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ ابن باز، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية

٢٠٠-مجموع فتاوي ورسائل للشيخ محمد بن عثيمين / . طبعة: دار الثريا للنشر

٢٠١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ط. عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٠٢- محمد المثل الأعلى، تأليف أحمد جاد المولى، عالم الكتب

٢٠٣-مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، طبعة مكتبة لبنان، بيروت، عام ١٩٨٨م.

٢٠٤-مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف الإمام المحقق محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، اختصار محمد الموصلي، المطبعة السلفية، دار الفكر، ط عام ١٣٤٩هـ.

٢٠٥- مختصر العلو، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط. الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.

٢٠٦- مختصر سيرة الرسول ه للشيخ محمد بن عبد الوهاب، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة

٢٠٧- مختصر شرح تسهيل العقيدة الإسلامية أ. د عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الناشر: مكتبة الرشد

٢٠٨- المختصر في التفسير لمركز تفسير الدراسات القرآنية الطبعة الثانية عام ١٤٣٦ هـ

٢٠٩- مختصر معارج القبول للشيخ الحكمي الطبعة السابعة عشر لعام ١٤٣١ دار الصفوة للنشر

٢١٠-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد فقي، نشر دار الكتاب العربي، ط عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢١١-المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢١٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة قرطبة، مصر.

٢١٣- مسند الحميدي عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة، تحقيق: حبيب الأعظمي.

٢١٤- المسند، لأبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، نشر دار المأمون، دمشق.

٢١٥-مشكاة المصابيح، تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢١٦- المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير للمباركفوري الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ

٢١٧- مصنف أبي شيبة، ط. الأولى، عام ١٤٠٩هـ، نشر مكتبة الرشد، تحقيق: كمال الحوت.
٢١٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف حافظ أحمد حكمي، تعليق عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ.
٢١٩-معالم التنزيل للإمام أبي الحين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق خالد العك ومروان سوار، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٢٠-معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٢١- المعجم الكبير، للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، ط. الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، تحقيق: حموي بن عبدالحميد السلفي.
٢٢٢- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق عبدالسلام محمد هارون. ط. الأولى. ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.
٢٢٣-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للعلامة الإمام ابن القيم الجوزية، طبعة دار الفكر.
٢٢٤-المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت.

٢٢٥- مقامع الشيطان في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: سليم الهلالي، ص ٣٥، ط الثالثة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

٢٢٦- مكايد الشيطان د قذلة القحطاني

٢٢٧-الملل والنحل، تأليف أبي الفتح، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٢٨-منهاج السنة النبوية لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢٩-المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق حلمي محمد فودة، طبعة دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٣٠-المهذب، للشيرازي ، الناشر: دار الكتب العلمية

٢٣١- المواجهة، تأليف حسن أحمد قطامش، ط. الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٣٢-المواقف في علم الكلام لعضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، مطبعة عالم الكتب، بيروت.

٢٣٣-موقع الشيخ ابن باز رحمه الله.

٢٣٤-موقع د. قذله محمد القحطاني.

٢٣٥-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبد الله بن محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي.

٢٣٦-النهاية في الفتن والملاحم، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تصحيح وضبط الأستاذ أحمد عبد الشافي، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٣٧-النهج الأسني في شرح أسماء الله الحسنى . محمد الحمود النجدي.

٢٣٨- نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

٢٣٩- هندسة النظام الكوني في القرآن، عبد العليم عبد الرحمن خضر، الناشر : دار تهامة ١٩٨٣.

٢٤٠- الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية. مع شرح محمد خليل هراس، راجعه عبدالرازق عفيفي ط. الثانية.

٢٤١-يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، صديق حسن خان، تحقيق أحمد حجازي السقا، نشر دار التراث الإسلامي، الأزهر.

٢٤٢-اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، تأليف د. فرج الله عبدالباري أبو عطا الله، طبع ونشر دار الوفاء للطباعة، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩١١م.

الفهرس

مقدمة ٣
نسبه: ١١
مولده: ١١
نشأته: ١١
رحلاته في طلب العلم :..... ١٢
مؤلفاته: ١٣
المعالم التي تميزت بها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ١٤
المعلم الأول :..... ١٤
المعلم الثاني: ١٤
المعلم الثالث:..... ١٤
المعلم الرابع: ١٥
المعلم الخامس: ١٥
المعلم السادس:..... ١٥
وفاته: ١٦
اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:..... ١٧
معاني أسماء الله الحسنى التي وردت في البسملة ١٧
الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى: ٢٨
دليل الفطرة: ٢٨
أدلة وجود الله تعالى من العقل :ـ..... ٣٢
أدلة الحس الدالة على وجود الله ومنها :- ٣٢

أولاً : ما نشاهده ونراه ونلمسه من إجابة الداعين وإغاثة الملهوفين ومن ذلك ما وقع للنبي ﷺ ٣٢
ثانياً : ـ معجزات الأنبياء والرسل من عهد آدم عليه السلام إلى نبينا محمد عليه السلام ومنها : ـ..... ٣٣
١ ـ القرآن الكريم..... ٣٣
٢ ـ انشقاق القمر ٣٣
٣ ـ حنين جذع النخلة..... ٣٣
٤ ـ نبوع الماء من بين أصابعه ٣٤
٥ ـ وضع بيت المقدس أمامه وهو بمكة..... ٣٤
٦ ـ حجرٌ يسلم على رسول الله ٣٤
٧ ـ ومعجزات موسى عليه السلام..... ٣٥
٨ ـ معجزات عيسى عليه السلام :..... ٣٥
أدلة الشرع على وجود الله تعالى :..... ٣٥
الإيمان بربوبية الله تعالى : ـ..... ٣٥
دلائل الربوبية : ـ..... ٣٦
١ ـ أدلة الربوبية في خلق السماوات والأرض: ـ..... ٣٦
٢- تدبير الأمر..... ٣٨
٣- خلق الشمس والقمر ٣٩
٤- اختلاف الليل والنهار ٤٠
٥- ما خلق الله في السماوات والأرض : -..... ٤١
أولاً: الدلائل السماوية: ٤٢
ثانياً: الدلائل الأرضية: ٤٣

٦- جريان الفلك في البحر ٤٥
٧- الرياح ٤٥
٨- الرزق..... ٤٦
٩- خلق السمع والبصر ٤٧
١٠- إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ٤٧
الإيمان بألوهيته سبحانه وتعالى :ـ ٤٨
استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية وتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية:ـ ٤٩
معنى توحيد الأسماء والصفات :ـ..... ٥٠
الإيمان بأسمائه وصفاته:ـ..... ٥٠
وصفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ٥١
أولاً: صفات ثبوتية:ـ ٥١
وتنقسم الثبوتية إلى ثلاثة أقسام: ٥١
ثانياً: صفات سلبية: ٥١
بيان منهج السلف في الأسماء والصفات :ـ..... ٥٢
مسائل مستفادة من الدرس :ـ..... ٥٢
قال المؤلف رحمه الله: (ومعرفة نبيه ﷺ)..... ٥٤
ما يجب علينا تجاه النبي ﷺ:ـ..... ٥٤
(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة) ٥٧
(الثانية: العمل به) ٥٧
(الثالثة: الدعوة اليه) ٥٨
(الرابعة: الصبر على الآذى فيه)..... ٦٠

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " فجهاد النفس أربعُ مراتب أيضاً: ـ..... ٦٠
مسائل مستفادة من الدرس : ـ..... ٦٤
فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ ٦٥
أنواع الشرك الأكبر : ـ..... ٧١
القسم الأول : الشرك الأكبر : سبق تعريف الشرك الأكبر ٧١
النوع الأول : شرك العبادة..... ٧١
النوع الثاني من الشرك: شرك الدعاء..... ٧٢
أقسام الدعاء : ـ ٧٣
ـ النوع الثالث من الشرك شرك المحبة : ـ ٧٣
والمحبة تنقسم إلى ثلاثة أنواع : ـ..... ٧٤
النوع الرابع : شرك الشفاعة : ـ ٧٥
أنواع الشفاعة المثبتة: ـ ٧٧
النوع الأول: الشفاعة العظمى..... ٧٧
ـ النوع الثاني والثالث من الشفاعة: ـ..... ٧٩
النوع الرابع : ـ..... ٧٩
النوع الخامس : ـ ٨٠
النوع السادس :ـ..... ٨٠
النوع السابع :ـ..... ٨١
النوع الثامن : ـ..... ٨١
النوع الثاني من أنواع الشفاعة: الشفاعة المنفية: ٨١
النوع الخامس : شرك الطاعة والاتباع..... ٨٢
القسم الثاني : الشرك الأصغر..... ٨٥

أمثلة للشرك الأصغر :ـ ٨٦
الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :ـ ٨٧
قال المؤلف رحمه الله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ). ... ٨٩
قال المؤلف رحمه الله : (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ ٩٣
وَمِنْ آيَاتِهِ الدالة على كمال قدرته و وحدانيته ونفوذ مشيئته وسعة سلطانه ورحمته بعباده : ٩٧
صفة العرش :ـ ٩٩
مسائل مستفادة من الدرس :ـ ١٠١
ـ الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان..... ١٠٩
الفرق بين الكافر والمشرك :ـ ١١١
الخوف:- ١١٦
الخوف ينقسم إلى ثلاثة أنواع :ـ ١١٧
أنواع الرجاء كما ذكر ابن القيم رحمه الله :ـ ١١٩
والتوكل على الله نوعان:ـ ١٢١
علاقة التوكل بالتوحيد:- ١٢٥
الفرق بين الرغبة والرجاء :ـ ١٢٧
أقسام أحكام الخشية هي أقسام أحكام الخوف ١٣٢
وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ ().. ١٣٦
مالفرق بين الإنابة والتوبة ؟ ١٣٧
الاستعانة طلب العون وهي أنواع: ١٤٢
والاستعانة بالله تعالى بأمور: ١٤٣

صيغ الاستعاذة: ١٥٧
مواضع الاستعاذة: ١٥٧
١- عند الشعور بنزغات الشيطان ووساوسه، عموماً في كل وقت وعلى أي حال: ١٥٧
٢- عند الدخول في الصلاة..... ١٥٨
٣- عند دخول المسجد: ١٦٠
٤- عند تلاوة القرآن: ١٦٠
٥- عند الغضب:..... ١٦٢
٦- عند الجدل والمراء:..... ١٦٣
٧- عند دخول الخلاء: ١٦٤
٨- عند الفزع من النوم:..... ١٦٥
٩-عند الوحشة: ١٦٧
١٠-عند نزول المنزل: ١٦٧
١١-عند نباح الكلاب ونهيق الحمير:..... ١٦٧
١٢-عند الحلم: ١٦٨
١٣-تعويذ الأولاد: ١٦٨
١٤- عند المرض والحمى:..... ١٦٩
١٥- من غلبة الدين:..... ١٧٠
والاستعاذة أنواع: ١٧٠
والفرق بين الاستغاثة والاستعاذة : ١٧٢
والاستغاثة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : ـ..... ١٧٣
ولهذا وردت أدعية الكرب منها : -..... ١٧٦

الذبح:- ١٧٨
النذر:- ١٧٩
كفارة النذر : ـ ١٨٠
مسائل مستفادة من الدرس : ـ ١٨١
مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ. ١٨٣
الإسلام:- ١٨٤
شروط لا إله إلا الله : ـ ١٩٦
المسائل المستفادة من الدرس :- ١٩٩
وَدِليلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: ٢٠٦
مسائل مستفادة من الدرس : ـ ٢١٥
الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ ٢١٧
المسائل التي يجب على الإنسان معرفتها في مسائل الإيمان : ـ ٢١٧
الإيمان شرعاً : ـ ٢١٨
الفرق بين الإسلام والإيمان : ـ ٢٢٠
شعب الإيمان : ـ ٢٢٣
زيادة الإيمان ونقصانه ٢٢٦
تعريف الكفر الأكبر : ـ ٢٢٩
تعريف النفاق الاعتقادي : ـ ٢٣١
للشرك الأكبر ثلاثة أقسام رئيسة هي: ٢٣٣
أولاً: شرك العبادة ٢٣٤
ثانياً: شرك الشفاعة: ٢٣٥
أولاً: الشفاعة المنفية: ٢٣٦

ثانياً: الشفاعة المثبتة: ٢٣٦
ثالثاً: شرك الطاعة والاتباع: ٢٣٦
رابعاً: شرك الدعاء : ٢٣٧
خامساً : شرك المحبة..... ٢٣٧
نواقض الإسلام : ـ..... ٢٣٨
أركان الإيمان : ـ ٢٤٠
أركان الإيمان ستة هي: ٢٤٠
والإيمان بالله وما بعده مندرج فيه و يتضمن أربعة أمور: ٢٤١
أدلة وجود الله تعالى : ـ ٢٤١
الفطرة : ـ..... ٢٤١
العقل : ـ..... ٢٤٢
الشرع الكتب السماوية : ٢٤٤
وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:..... ٢٤٤
من معجزات النبي ﷺ :..... ٢٤٥
معجزات موسى عليه السلام :..... ٢٤٦
الثاني: الإيمان بربوبيته : ـ..... ٢٤٧
أولاً: إفراد الله تعالى بالخلق : ـ..... ٢٤٨
ثالثاً: إفراد الله بالتدبير، (فالله عز وجل منفرد بالتدبير) : ـ ٢٤٩
الثالث: الإيمان بألوهيته..... ٢٤٩
توحيد الألوهية : ـ..... ٢٥٤
معنى العبادة : ـ..... ٢٥٥
العلاقة بين توحيد الربوبية والألوهية : ـ..... ٢٥٧

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته..... ٢٥٧
معنى التحريف والتعطيل والتشبيه والتمثيل والتكييف ٢٥٨
الفرق التي ضلت في الأسماء والصفات : ـ ٢٦١
ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات : ـ..... ٢٦٣
المسائل المستفادة من الدرس : ـ..... ٢٦٣
أهمية الإيمان بالملائكة :..... ٢٦٥
تعريف الملائكة: ـ ٢٦٦
الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة ومقتضاه: ٢٦٧
والإيمان بهم يقتضي ما يلي: - ٢٦٧
كتابة أعمال القلوب:..... ٢٧٨
من ثمرات الإيمان بالملائكة:..... ٢٨٠
مسائل مستفادة من الدرس :ـ ٢٨١
الإيمان بالكتب..... ٢٨٢
ما المراد بالكتب: ـ..... ٢٨٣
والإيمان بالكتب يتضمن ما يلي: ٢٨٣
القرآن الكريم..... ٢٨٥
أوصاف القرآن الكريم: ـ..... ٢٨٥
ثمرات الإيمان بالكتب:..... ٢٨٨
مسائل مستفادة من الدرس : ـ..... ٢٨٨
الإيمان بالرسل..... ٢٩٠
تعريف النبي والرسول : -..... ٢٩٠
ويتلخص الفرق بين النبي والرسول فيما يلي : -..... ٢٩١

معنى الإيمان بالرسل : ـ ٢٩٦
ما يتضمن الإيمان بالرسل : ـ ٢٩٦
ومن دلائل النبوة ما يلي: ٢٩٨
وخصائص النبوة أربعة: ٣٠٢
مهمة الرسل ووظائفهم: ٣٠٧
ثمرات الإيمان بالرسل : ـ ٣٠٩
مسائل مستفادة من الدرس : ـ ٣١٠
الإيمان باليوم الآخر ٣١١
معنى الإيمان باليوم الآخر : ٣١١
اليوم الآخر له أسماء كثير ة منها : ـ ٣١٣
علامات الساعة تنقسم إلى قسمين : ٣١٣
العلامات الصغرى أكثرها وقع منها : ـ ٣١٣
أمارات الساعة الكبرى : ـ ٣١٥
الدخان : ـ ٣١٥
الدابة : ـ ٣١٦
النار التي تحشر الناس : ـ ٣١٧
الدجال : ـ ٣١٧
ـ نزول المسيح ابن مريم : ـ ٣١٩
يأجوج ومأجوج : ـ ٣١٩
الخسوف الثلاثة : ـ ٣٢٠
طلوع الشمس من مغربها : ـ ٣٢١
حال العبد عند الموت ٣٢٢

نعيم القبر وعذابه :ـ ٣٢٣
الإيمان بالبرزخ :ـ ٣٢٥
النفخ بالصور : ٣٢٦
الإيمان بالبعث :ـ ٣٢٧
التعريفُ بالبَعث وَالنشور ٣٢٧
والخلاصة أنَّ الناس في البعث على أربع طوائف: ٣٢٩
ومن الأدلة العقلية على البعث: ٣٣٤
أما الأدلة على البعث من الحس: ٣٣٦
الإيمان بالحشر: ٣٣٧
عموم الحشر للثقلين والبهائم والوحوش: ٣٣٨
أحوال أهل المحشر: ٣٣٩
أهوال يوم القيامة :ـ ٣٤٠
نشر الصحف : ٣٤٦
الميزان ومعناه عند أهل السنة والجماعة :..... ٣٤٦
الحوض - حوض النبي ﷺ : ٣٤٧
الصراط :ـ ٣٤٨
القنطرة :..... ٣٤٩
الحشر إلى دار القرار: الجنَّة أو النار:ـ ٣٥٠
إخراج الموحدين من النار وعن آخر أهل الجنة دخولا الجنة، وآخر
الخارجين من النار خروجًا منها ٣٥٣
أحوال أهل النار :ـ ٣٥٤
مجيء النار :ـ ٣٥٤

الإيمان بالجنة والنار : ـ ٣٥٥
مسائل مستفادة من الدرس : ـ ٣٥٥
ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر: ٣٥٧
وللإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب يجب الإيمان بها جميعاً ٣٥٧
المرتبة الأولى: العلم ٣٥٨
المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة ٣٥٩
المرتبة الثالثة: المشيئة ٣٦٠
المرتبة الرابعة: الخلق ٣٦٢
وقد ضل في القدر طائفتان: ٣٧٠
والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والواقع: ٣٧٠
ثمرات الإيمان بالقدر: ٣٧١
مسائل مستفاد من الدرس : ـ ٣٧٢
المُرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإحسان ٣٧٤
معنى الإحسان : ـ ٣٧٦
مراتب الإحسان : ٣٧٦
آثار الإحسان: ٣٧٦
وأعظم ما يعين العبد للوصول لمرتبة الإحسان : ـ ٣٧٨
مسائل مستفادة من الدرس : ـ ٣٨٤
الأَصْلُ الثَّالِثُ : مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ ٣٨٦
ولادته ٣٨٨
بدء الوحي : ـ ٣٩١
وهذه قصة الاسراء والمعراج ٣٩٨

مسائل مستفادة من الدرس : ـ..... ٤٠١
معنى الهجرة : ـ..... ٤٠٣
تعريف الكفر بالطاغوت : ـ..... ٤٢٣
الطواغيت خمسة : ـ..... ٤٢٣
الخاتمة..... ٤٢٩
المراجع ٤٣٠
الفهرس ٤٥٩